

بين

المصرية القديمة واليهودية والإسلام



د. هدى درويش

رئيس قسم الأديان المقارنة

بمعهد الدراسات الآسيوية - جامعة الزقازيق

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

نبي الله إدريس عليه السلام

بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام

تأليف
د. هدى درويش
رئيس قسم الأديان المقارنة بمعهد الدراسات الآسيوية
جامعة الزقازيق

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

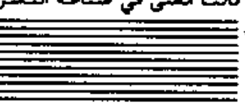
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

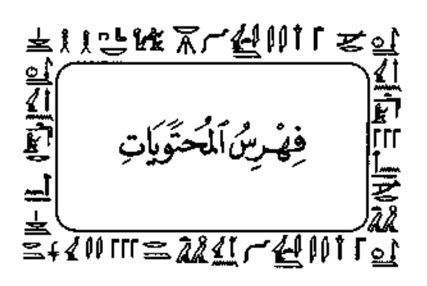
درويش ، هدى .
نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام /
تأليف هدى درويش . - ط ١ . - القاهرة : دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٨م .
٢٧٢ ص ؛ ٢٤سم .
تدمك ٧ ٦٩٤ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - الديانات المقارنة .
أ - العنوان .
٢٩١

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر



جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية .
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +) .
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +) .
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +) .
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com




فهرس المحتويات

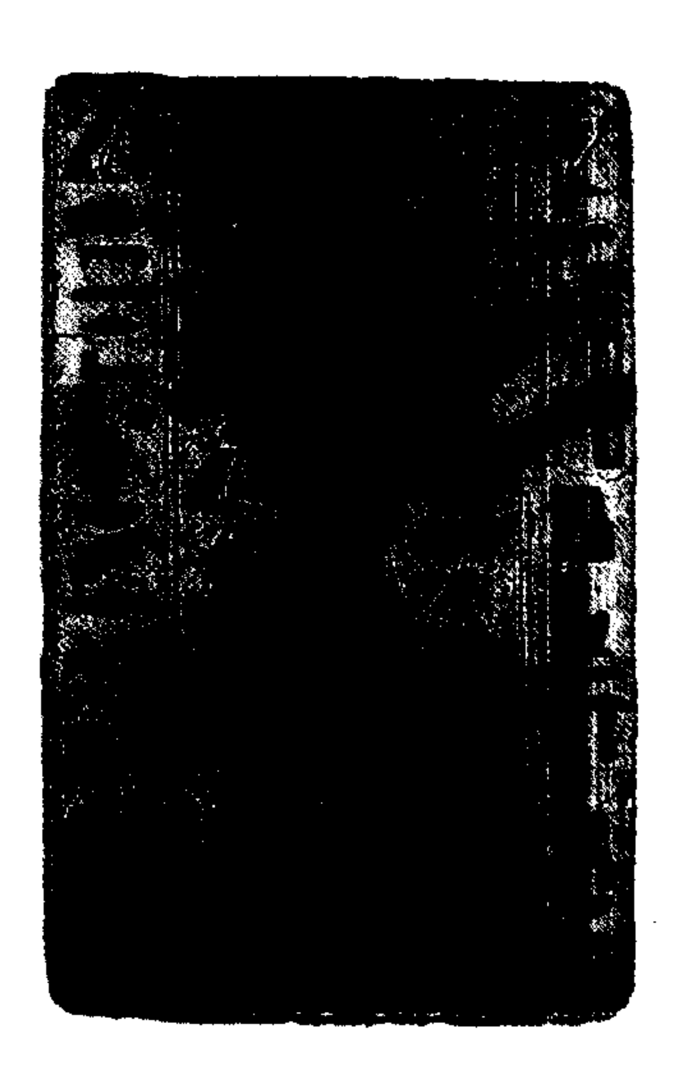
الفصل الثاني

أخنوخ (إدريس عليه السلام) بين المرويات اليهودية والتفاسير الإسلامية

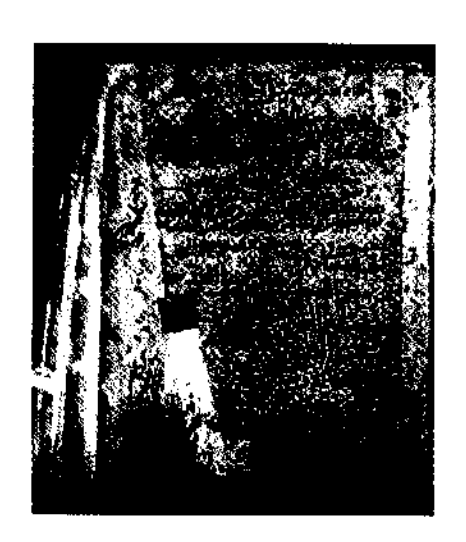
الفَصۡلُ الرَّابِعُ

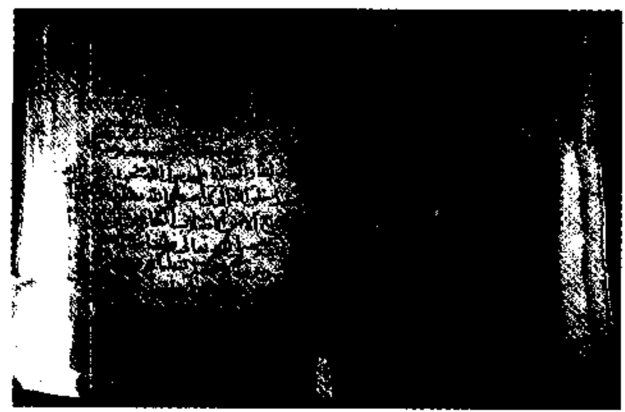
إدريس عليه السلام(تأملاته وصفاته وحكمه)

***



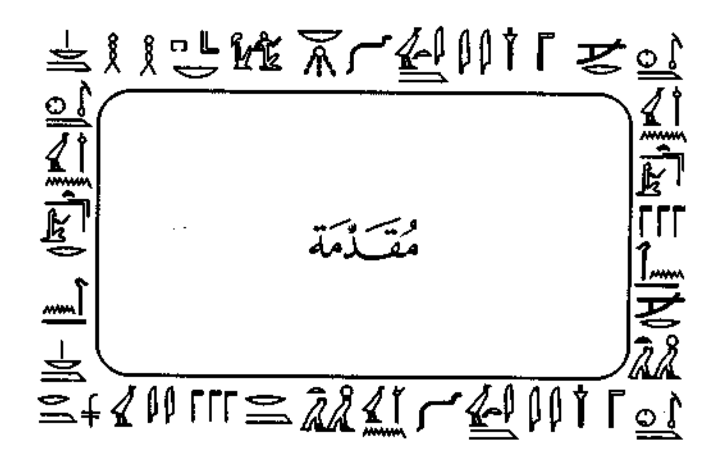
نقش مصري قديم يمثل تحوت = أخنوخ = هرمس = إدريس كاتبًا في صورة الطائر أبي منجل







نسخة نادرة من الصحائف المنسوبة إلى إدريس النبي، والمخطوطة النادرة محفوظة حاليًا بمكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت



مُقَدِّمَة

إدريس عليه السلام من الأنبياء الذين يكتنف معارفنا عنه الكثير من الغموض؛ بسبب ندرة الكتابات عنه على الرغم من مكانته العالية التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، حيث كرمه المولى عز وجل وخصه بالرفع إليه بقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فهو أول نبي مرسل بعد آدم عليه السلام، عاش فترة ما قبل الطوفان وقبل نوح عليه السلام.

وقد اختلف في مسمى إدريس عليه السلام، فهو هِرمِس أو الكائن الإلهي تحوت أو توت عند قدماء المصريين، وهو حنوخ عند اليهود، وأخنوخ في الترجمة العربية للكتاب المقدس.

وكان قريب العهد بآدم عليه السلام، وهو الذي قابله رسول الله ﷺ ليلة المعراج في السماء الرابعة، وسلم عليه ودعاه بالأخ الصالح [(١)] ، وهو الذي قال النبي ﷺ في حقه: « **إنه أول من خط بالقلم** [(٢)] **وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة** » [(٣)] .

وهو ليس من أنبياء بني إسرائيل، وجاء ذكره في القرآن الكريم مجملًا حيث ذكره المولى عز وجل في سورتي مريم والأنبياء، بأنه صدِّيق نبي، ومكرم برفعه إلى مكان عليٍّ، وأنه من الصابرين، حيث توقف معظم المفسرين الإسلاميين وكُتَّاب سير الأنبياء عن سرد تفاصيل قصته؛ لأن معظم مصادرها جاءت عن اليهود، واليهود

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، (٣٥٩٨) ومسلم في الإيمان، (٢٣٤) وأحمد في مسنده، (٤/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٢/ ٧٧).

(٣) نفسه.

شديدو الولع برواية القصص والأساطير الخرافية وخاصة المتعلقة بالشخصيات التاريخية المقدسة التي تمثل جزءًا مهمًا في تراثهم الديني والثقافي، كما أن بعض علماء الإسلام يفضلون البعد عن النصوص الإسرائيلية بسبب التحريفات التي أدخلها الكتاب والمدونون اليهود في النصوص، تجنبًا للوقوع في خطأ إحداث تشويش للمتلقي، والبعض الآخر يذكر الإسرائيليات بحرص وحذر للتأكد من موافقة ما يرويه منها مع نهج القرآن والسنة، وآخرون يذكرون الإسرائيليات تاركين للمتلقي الحكم فيها، وهذا الأمر يشكل خطورة كبيرة في إمكانية حدوث نوع من البلبلة الفكرية التي قد تؤثر على العقيدة الصحيحة الإيمانية.

وتعد قصة إدريس عليه السلام (حنوخ كما يطلق عليه العبريون) نموذجًا للقصص اليهودية التي دخلت التفاسير الإسلامية والتي تبرز مدى تأثير الرواية اليهودية على كتابات فريق من علماء المسلمين الذين استهوتهم القصص اليهودية والحكايات الواردة في العهد القديم، ووجدوا فيها تفصيل ما أُجمل ذكره في القرآن، وذلك من خلال شخصية هذا النبي. تلك الشخصية التي اكتنفها الغموض والاختلاف في الآراء حول علمه ومكانته من الله تعالى، كما حيكت الكثير من المبالغات حول علاقته الحميمة بالملائكة، سواء في المصادر اليهودية، أو التفاسير الإسلامية.

وعند بني إسرائيل فإن حنوخ (إدريس عليه السلام) من الأنبياء القلائل الذين نالوا تقديرًا في المرويات اليهودية، والتي تدأب على الحط من قدر الأنبياء، وتصفهم بصفات لا تليق بمكانتهم العالية؛ لذا كان من الأهمية بمكان إلقاء الضوء على شخصية هذا النبي من خلال الكتابات اليهودية التي تناولته، وأبرزت مكانته الرفيعة، وجعلته – حسبما زعموا – ملاكًا، بل رئيسًا للملائكة!!!

لذا كان اتجاه الدراسة إلى مقارنة ما أوردته الكتابات المصرية القديمة عن هِرمِس والروايات الواردة عنه في التراث القصصي اليهودي، وما ذكره ابن كثير وغيره من أئمة المفسرين، وما احتوته تفاسيرهم للقرآن من روايات وقصص إسرائيلية، ثم الرجوع إلى أصل ما ورد في القرآن والسنة النبوية الصحيحة .

وتعد هذه الدراسة الأولى التي تجمع بين التناول المصري القديم واليهودي

والإسلامي للنبي إدريس ﷺ، وتهدف إلى التعرف على الجوانب الغامضة حول شخصيته في الروايات اليهودية المتعلقة بالتراث الشفوي في الفكر الديني اليهودي، خاصة فيما يتعلق بالأنبياء والملائكة، من خلال ما ورد ذكره في قصة النبي أخنوخ (إدريس ﷺ)، وما تحتويه من قصص شعبية ودينية مقدسة ومقابلتها بتلك الواردة في التفاسير الإسلامية، والمصادر المصرية القديمة، والعمل على إبراز صورة للفكر اليهودي في نظرتهم إلى الأنبياء في مرحلة ما قبل الطوفان وقبل ظهور أنبياء بني إسرائيل، وما نقله عنهم كبار المفسرين المسلمين فيما أوردوا من إسرائيليات داخل تفاسيرهم. ومقابلة كل منها بالآخر.

ومن أهم الأهداف أيضًا:

• التعرف على الجوانب غير المادية في الفكر الديني اليهودي وخاصة فيما يتعلق بالأنبياء والمرتبطة بالتراث الشفوي الذي حوته قصصهم الشعبية والدينية المقدسة.

• تأثير الرواية اليهودية على كتابات علماء المسلمين الذين استهوتهم القصص اليهودية (الأجاداه) والحكايات والأساطير التي وردت في العهد القديم ووجدوا فيها تفصيل ما خفي وروده في القرآن، وذلك من خلال شخصية النبي إدريس ﷺ.

• الرغبة في دراسة شخصية هذا النبي الذي تعددت فيه الأقاويل حول علمه، ومكانته من الله تعالى، وعلاقته بالملائكة التي أحبته وتعلقت به، سواء في المصادر اليهودية أو الإسلامية، كذلك غموض مسألة صعوده ﷺ إلى السماء والاختلافات حولها.

• التعرف على مدى نسبة شخصية إدريس ﷺ إلى « هِرمِس الحكيم » الذي دان له قدماء المصريين بالعبادة والتقديس، وبيان أن الحضارة المصرية القديمة هي المصدر الذي استلهم منه اليونان أسرار الحكمة فيما عرف بأدب الهِرمِسيات (أدبيات هِرمِس).

• الحكم والمواعظ التي وردت في الروايات اليهودية والإسلامية على لسان إدريس ﷺ وكذلك الواردة في المتون المصرية القديمة لِهرمِس، وإن كانت غير مثبتة في القرآن والسنة الشريفة إلا أننا نرى فيها من العبر ما هو خير لصلاح الإنسانية.

• تأثير شخصية هذا النبي في العلوم الأوربية واليونانية وكذلك الفلاسفة اليونان والمسلمين.

• ندرة الكتابة عن هذا النبي حيث لم تتناول معظم الدراسات الإسلامية سيرة هذا النبي من خلال عمل منفرد فكان لا بد من استنباط ما ذكر في القرآن والسنة والأثر عنه، والعمل على شرحه وتحليل مضمون ما ورد فيه باستفاضة، وما ورد عنه في الكتابات اليهودية إظهارًا لمكانته السامية.

• قيام الكتابات الإسلامية بنقل ما ورد في إدريس ﷺ من روايات وقصص إسرائيلية مما يستوجب البحث فيها للوقوف على الصحيح منها الموافق للنهج القرآني والإسلامي، ورفض كل ما هو خارج عن الحدود الصحيحة ونبذ الخرافات والعمل على استبعادها.

• البحث في مواطن التشابه والاختلاف فيما يخص النبي إدريس ﷺ في الديانتين اليهودية والإسلامية.

وتلتزم الدراسة بشكل منهجي وعلمي بأصول علم مقارنة الأديان؛ من خلال معالجة الموضوع في بيان أهمية القصص والأساطير في الحياة اليهودية من حيث قداستها، كذلك بيان كيفية دخول الإسرائيليات في تفاسيرنا الإسلامية والحكم عليها من حيث صحتها، وما يمكن السماح به داخل الكتابات الإسلامية، كما تتبع الدراسة المنهج التحليلي المقارن واستقراء المفاهيم حول حياة إدريس ﷺ والقصص والروايات التي وردت عنه في كل من الكتابات اليهودية والتفاسير الإسلامية، على أن يتم وضع خلاصة ما انتهى إليه هذا البحث في الخاتمة، واستخلاص كل صحيح يتسق مع نهج القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وإبعاد كل دخيل لا يتفق مع المنهج الإسلامي.

وتهتم **الدراسة** بالرجوع إلى ما ورد في شأن إدريس ﷺ في الكتابات المصرية القديمة والكتابات اليهودية سواء العهد القديم أو القصص اليهودية الواردة في التراث الشفوي اليهودي (الأجاداه) ووثائق المخطوطات اليهودية بهدف القيام بمقابلتها بالمصادر الإسلامية من تفاسير وكتب لغرض البحث عن الحقيقة.

فاعتمدت الدراسة على ما ورد في وثائق ومخطوطات البحر الميت الذي يحوي سفري أخنوخ الأول وأخنوخ الثاني، (ספרי חנוך) اللذين ينتميان إلى كتب الأبوكريفا (الكتب اليهودية غير القانونية)[1]، التي عثر عليها في كهوف منطقة قمران جنوب البحر الميت، وقد قام بترجمة هذه المخطوطات إلى اللغة العربية موسى ديب خوري عن الأصل الفرنسي الذي حققه كل من أندريه دوبون سومر، ومارك فلينكو[2].

كما استعانت الدراسة بما ذكر في كتب التراث اليهودي من القصص التي تركها

---

(١) كتب الأبوكريفا هي الكتب الخارجية للتوراة، والتي يطلق عليها الكتب غير القانونية ومن أبرز هذه الكتب أخنوخ الأول والثاني، كتبهما أحد اليهود في عصر الحشمونائيم، ووجدا في أيامنا هذه باللغة الحبشية، (האינציקלופדיה העברית .כרך שבעה עשר. הוצאת ספרים פועלים. 1988. ע693-698). وكان أصل هذين السفرين مكتوبًا باللغة الآرامية، ثم فقدا. وتوجد نسخة حبشية ترجمت عن اليونانية بين سنة ١٦٣-٨٠ قبل الميلاد، وعثر في قمران على أجزاء آرامية منه نشرها ميليك J.T.Milik بعنوان أسفار أخنوخ (مخطوطات البحر الميت: ٢/ ٢٣)، وأخنوخ هو الاسم المستخدم في الترجمات العربية، والذي ورد في الترجمة العربية للكتاب المقدس وأيضًا الترجمة العربية لمخطوطات البحر الميت. ويعد سفرا أخنوخ من الأسفار الخارجية، ولعل هذا هو السبب في ترجمة موسى ديب خوري للمخطوطات باسم التوراة المنحولة أي الدخيل من الأسفار على التوراة، أو المنحولة من الأسفار المنسوبة لغير مؤلفيها، ولم يحفظ النص بمجمله إلا في النسخة الحبشية التي دونت أثناء ترجمة الكتاب المقدس من اليونانية إلى الحبشية بين القرنين الرابع والسادس، وترجع الترجمة الحبشية إلى ترجمة يونانية لأصل السفر، وهو عبري، وقد يكون آراميًا. وقد لقي السفر إقبالًا كبيرًا من المسيحيين في أول الأمر، ولكن نبذته الكنيسة المسيحية فيما بعد، كما نبذه المعبد اليهودي من قبل، وهذا هو السبب في أنه لم يحتفظ به كاملًا إلا في لغة كنيسة فرعية (الكنيسة الحبشية) (مخطوطات البحر الميت: المقدمة، ٢/ ٨ - ١٢) و(ناظم: منى، حولية كلية الآداب، ٣٢، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٩م) وأيضًا (موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون تاريخ، ص٣٨٢) ومؤلف سفري أخنوخ كما جاء في مقدمة مخطوطات البحر الميت - ليس أخنوخ نفسه، وإنما يرجع إلى مجموعة من الأحبار - قد يكونون من الجماعة الآسينية الذين اختفوا في عهد ظهور المسيح عليه السلام حيث كتبوها على فترات من الزمان.

(٢) مخطوطات البحر الميت، تحقيق أندريه دوبون سومر ومارك فيلنتكو، ترجمة موسى ديب خوري، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ١٩٩٨م وقد اعتمدنا في بحثنا المتناول على الترجمة العربية عن الأصل الفرنسي.
Dupont-Sommer, André, Philonenko, Marc, éds, La Bible, Écrits, Intertestamentaires, La Pléiade, Gallimard, Paris, 1987 عدد صفحاته ٢٠٦٤.

اليهود حول هذا النبي الكريم، وخاصة كتاب (أساطير اليهود) لمؤلفه لويس جنزبرج الذي قام بجمع وترتيب هذا التراث [١].

وأيضًا تناولت ما كتب عن إدريس عليه السلام في التفاسير الإسلامية خاصة تفسير ابن كثير.

كما اعتمدت الدراسة أيضًا على مصدر مهم وهو (متون هِرمِس) عن أصله الفرعوني المصري القديم الذي يعرف باسم الهِرمِسيات (أدبيات هِرمِس)؛ وذلك بهدف التعرف على علومه العرفانية التي أخذ منها الغرب الكثير.

المصادر الأساسية للبحث:

١- مخطوطات البحر الميت:

مخطوطات البحر الميت من أهم وأحدث الاكتشافات التي تمت في العالم في القرن العشرين حيث يرجع عمرها إلى نحو ألفي عام، وقد حققت ونشر بعض أجزائها منذ حوالي خمسين عامًا فقط. وهي تحوي إرثا غنيًّا من مخطوطات التوراة التي يطلق عليها المنحولة(الكتب غير القانونية عند اليهود) [٢] ، وقد تم اكتشاف المغارة التي تحوي هذه المخطوطات في وادي قمران جنوب البحر الميت بالأردن عام ١٩٤٧م صدفة ودون قصد، وبدأ علماء الآثار والحفريات من مختلف بلاد العالم عملية التنقيب فيها عام ١٩٥١م واستمرت حتى عام ١٩٥٨م، وكان عام ١٩٩١م هو أنجح السنوات في

(١) Legends of the Jews, 7 vols, Jewish Publication Society, Louis ginzberg, Philadelphia, 1989.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية د. جمال الرفاعي وراجعه وقدمه د. محمد خليفة حسن، نشر المجلس الأعلى للثقافة رقم ٤٦٥، ٢٠٠٢م.

(٢) تذكر الموسوعة اليهودية (دعت) أن التوراة المنحولة تنتمي إلى مجموعة الكتب التي يطلق عليها اليهود (الكتب الخارجية)والتي تتكون من قسمين: الأول: كتب الأبوكريفا (אפוקריפה) وتعني الكلمة المخبأة باليونانية؛ وهي الكتب التي أخرجها اليهود من العهد القديم وقاموا بإخفائها حينما قاموا بتجميع العهد القديم وتدوينه.

أما القسم الثاني: فهو (البسيدو جرافون) (פסידואפיגרפון) وتعني الكتب المنحولة؛ وهي الكتابات التي كتبها مؤلف ونسبها لمؤلف سابق عليه .

تاريخ نشر هذه المخطوطات. وما يعنينا في دراستنا هذه هو وجود عشر نسخ من كتاب أخنوخ بالآرامية في هذا المخطوط [١] ترجع إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد [٢] .

ويصف كاتب المخطوطات في مقدمته أن النبي أخنوخ هو نموذج للكائن المتفوق الذي يستمد معرفته من السماء مباشرة، وهو مانح الحضارة للإنسانية، وكاشف فنون المعرفة والعلم، وحياته تمثل رحلة مستمرة من الكشف والمعرفة الإلهيين؛ فهو نموذج البار والكاتب والملك السابع ما قبل الطوفان في التقليد البابلي [٣] .

كتاب أخنوخ: كتاب أخنوخ بشقيه - سفر أخنوخ الأول، وسفر أخنوخ الثاني - هو المصدر الذي ترجع إليه وثائق البحر الميت في الإخبار عن أخنوخ (إدريس عليه السلام)، ويرجع إلى القرن الثاني ق.م كما ورد في سفر يهوذا [٤] ، وهو عبارة عن مجموعة من الأسفار اليهودية غير القانونية كتبت باللغة الآرامية في الأصل ثم فقدت ووجدت أجزاء منها في الترجمة اليونانية. وتوجد نسخة حبشية ترجمت عن النسخة اليونانية بين سنة (١٦٣-٨٠) قبل الميلاد ،كما توجد نسخة سلافية تختلف عن النسخة الأخرى.

ويشتمل سفر أخنوخ الأول على خمسة أجزاء [٥]:

الجزء الأول: يشتمل على فاتحة وسقوط الملائكة ورحلات أخنوخ الرؤيوية.

الجزء الثاني: يشتمل على حكم أخنوخ.

الجزء الثالث: يشتمل على بحث في الفلك.

الجزء الرابع: يشتمل على أحلام أخنوخ الرؤيوية.

الجزء الخامس: يشتمل على الخطب الأخلاقية.

ويكشف كتاب أخنوخ الأول - كما يقول موسى ديب خوري مترجم هذا العمل

---

(١) مخطوطات البحر الميت، الكتب الأسينية، (١/ ٤٧).

(٢) المرجع نفسه، (٢/ ١٠).

(٣) مخطوطات البحر الميت، المقدمة، (٢/ ٨).

(٤) زكار: سهيل، المحذوف من التوراة كاملًا، دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م، (ص ١٩).

(٥) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٨).

إلى العربية – أن أخنوخ كان قد أوصى أبناءه بتوزيع كتبه على أولاده من جيل إلى جيلٍ [(١)] ، وقد يكون هذا هو سبب كتابة الأسفار؛ وهو حفظ العلوم التي عرفها أخنوخ ونقلها إلى الأجيال القادمة [(٢)].

أما سفر أخنوخ الثاني أو أسرار أخنوخ فقد كان مكتوبًا أولًا باليونانية في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، ثم فقد الأصل اليوناني، ويوجد الآن الترجمة السلافية المثبتة بواسطة مخطوطات متأخرة من القرون ١٥، ١٦، ١٧، وسفر أخنوخ الأصلي كان ضائعًا، إلا أنه عثر في منطقة قمران في البحر الميت على أجزاء آرامية منه نشرها ميليك J.T.Milik بعنوان أسفار أخنوخ.

وعلى الرغم من ذلك فسفر أخنوخ لم تثبته الكنيسة الكاثوليكية بين الأسفار المقدسة، كذلك فإن اليهود لا يعدونه ضمن أنبياء بني إسرائيل، ولا يقولون بقانونيته بل يعتبرونه سفرًا خارجيًا غير قانوني.

ولم يحفظ النص بمجمله إلا في النسخة الأثيوبية التي دونت أثناء ترجمة الكتاب المقدس من اليونانية إلى الأثيوبية بين القرنين الرابع والسادس، والكنيسة الأثيوبية هى الوحيدة التي بقي فيها سفر أخنوخ شرعيًا [(٣)] .

ويحتوى سفر أخنوخ الثاني أو (أسرار أخنوخ) على:

رحلة أخنوخ في السموات السبع وإعلانات الله له، وتحذيراته لأبنائه، ويذكر أن كاتب هذا العمل ليس أخنوخ نفسه وإنما يرجح أنه يعود إلى مجموعة من الأحبار – قد يكونون من الجماعة الآسينية الذين عاشوا في القرن الثاني قبل الميلاد، وأوائل القرن الأول الميلادي واختفوا قبل ظهور المسيح ﷺ – كتبوها على فترات من الزمان، ويقال أنهم تلقوا معلوماتهم من تلامذة أخنوخ الذين كانوا بدورهم ينقلونها عن أخنوخ شفاهة [(٤)] .

---

(١) مخطوطات البحر الميت، المقدمة، (٢/ ٦).
(٢) المرجع نفسه، (٢/ ٨).
(٣) مخطوطات البحر الميت، مقدمة المترجم، (٢/ ٨ – ١٢).
(٤) قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، دار مكتبة العائلة، القاهرة، طبع بمطبعة الحرية، بيروت، (ص ٣٢، ٣٣).

وجماعة الآسينيين فرقة يهودية ظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد وعاصرت السيد المسيح أوائل القرن الميلادي الأول، وقد كانوا جماعة من المزارعين والحرفيين، وعاشوا حياة تنسكية تقوم على ممارسة عبادتها الروحية في البرية (صحراء يهوذا) في شكل جماعة متحدة على البساطة والزهد والعزلة، ويعتمدون في حياتهم على نظام دقيق، لم يسمحوا بدخول غرباء بينهم إلا بعد اختبارات قاسية ولفترة طويلة قد تمتد إلى ثلاث سنوات، ويقدسون الجماعة في المأكل والعمل والصلاة والعبادة والنوم، ويحرصون على ارتداء الثوب الأبيض (הבגד הלבן) طوال الوقت، يعملون بالنهار في وقت مبكر، ويتعبدون بالليل ويعكفون على دراسة الوحي، وكانوا يعتقدون أنهم وحدهم الذين يمتلكون المعارف الغيبية والحسية في آن واحد، ولذلك فقد كانوا مضطهدين من قبل السلطة الدينية اليهودية، وعلى الرغم من إختفائهم المفاجئ عن التاريخ، إلا أنهم كانوا يشكلون نمطًا متميزًا وخاصًا لما لهم من آثار مهمة تركوها مخبأة داخل مغاراتهم، فكان ظهور مخطوطات قمران التي تمت على أيديهم اكتشافًا مذهلًا في القرن العشرين [١].

والخلاصة فإن ما نرجع إليه فيما يخص أخنوخ في مخطوطات البحر الميت يرجع إلى جهود جماعية ساهم فيها نساخ وكتاب كثيرون على مدى فترات زمنية طويلة؛ ولهذا فقد تلاشى مفهوم الكاتب أو المؤلف الواحد لهذه الأسفار، مما أدى إلى اختلاط المؤلفات، وتعدد النسخ، وكثرة التنويعات على النص الواحد.

ويطرح موسى ديب خوري مترجم المخطوطات إلى العربية في مقدمته للمخطوط تساؤلًا مهمًا حول أخنوخ من خلال النص الوارد بسفر التكوين، الذي جاء فيه: (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) [٢] فيتساءل: هل كانت هذه

---

[١] مخطوطات البحر الميت، مقدمة مترجم المخطوطات، موسى ديب الخوري، الجزء الأول، الكتب الآسينية، (١/ ٧). انظر بحث الآسينيين في الفكر الديني اليهودي (دراسة في النشأة والعقائد)، هدى درويش، القاهرة، ٢٠٠٧م.

כתבי יוסף בן מתתיהו (יוסיפוס פלויוס).תולדות מלחמת היהודים עם הרומאים.בשבעה ספרים.ספר שני.פרק שמיני.(ב – יג) דף (קיד –קיט). מתורגמים מן המקור היווני על ידי ד"ר י.נ. שמחוני.הוצאת אברהם יוסף שטיבל. ורשה.תרפ"ג.

[٢] سفر التكوين: (٥/ ٢٤).

الفقرة نقطة انطلاق لدور أسطوري متعلق بأخنوخ؟ أم هو تلخيص لموروث قديم اشتق منه كتاب أخنوخ؟ أم أن هذه الأسطورة صدىً لأساطير سابقة في المنطقة التي استقت منها أسفار التوراة [١] والبحث الذي بأيدينا يحاول الرد على هذه التساؤلات.

أما كتاب أساطير اليهود لمؤلفه لويس جنزبرج العالم والمتخصص في التراث اليهودي الذي كتب كمًّا زاخرًا من الأجاداه (القصص اليهودى) التي شكلت أعمق الأثر في الوجدان الشعبي اليهودي، فقد اعتبرناه من المراجع التي تشتمل على روايات خاصة بعدد من الشخصيات المهمة في تاريخ ديانة بني إسرائيل والمذكورة في العهد القديم. ومؤلف هذا العمل أستاذ الدراسات التلمودية الذي تخصص بشكل أساسي في القصص اليهودية (الأجاداه) التي تمثل الجزء غير التشريعي في التلمود [٢] ، وتشتمل على إضافات مهمة للقصص الوارد في التوراة.

وينطوي هذا الكتاب على معتقدات وشرائع لازال اليهود يؤمنون بها ويطبقونها حتى وقتنا الحاضر، حيث تشكل لديهم جزءًا من الذاكرة الجمعية التي تجعل من تاريخهم تاريخًا مقدسًا.

---

(١) مخطوطات البحر الميت: مرجع سابق، (١/ ١٠).

(٢) التلمود هو مجموعة الشروح التي وضعها حاخامات اليهود لنص المقرا (التوراة) والشرائع الدينية الواردة فيها. ويتألف التلمود من تلمودين:

١ - التلمود البابلي الذي كتب في بابل في القرن الخامس الميلادي ويتكون من ٣٧ قسمًا.

٢ - والتلمود الأورشليمي الذي كتب في طبرية ودون في القرن الرابع الميلادي ويتكون من ٣٩ قسمًا.

وينقسم التلمود إلى قسمين:

١ - المشنا: وهو شروح وتفاسير حاخامات اليهود للعهد القديم .

٢ - الجمارا: وهي شرح ما جاء في المشنا كتبت بالآرامية .

وتنقسم مادة التلمود إلى قسمين:

- الهالاخاه: وهي من فعل (هالخ) بمعنى سار وتعني الشريعة - الطريق وتتضمن كيفية أداء الوصايا الواردة في التوراة والأحكام الملزمة لليهودي في حياته اليومية من شرائع.

- الهاجاداه: وهي كلمة عبرية مشتقة من الفعل «هجيد » بمعنى أخبر، والمقصود بها التراث اليهودي المشتمل على القصص والأساطير التي تتناول تفسير ما جاء في العهد القديم من شرائع دينية وقصص وأحداث تاريخية في شكل قصصي وحكايات. ولتفاصيل أخرى. انظر محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، عدد ٢٠، القاهرة، ٢٠٠١م. وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م.

وقد بدأ جنزبرج سلسلة دراساته في التراث اليهودى عام ١٨٩٩م، وترجع أهمية هذا العمل إلى قيام مؤلفه بتصنيف القصص تصنيفًا علميًا دقيقًا؛ حيث أعاد تنظيمها وترتيبها حسب شخصياتها الرئيسية، بدلًا من تبعثر التراث اليهودي في كل مكان، وقد اعتمد فيها على إعادة كتابة القصة تبعًا لتوالي الأحداث والشخصيات في التوراة، وكان من سبقه يقوم بجمع الأساطير والقصص بشكل مختلط المادة والمكان، فأصبح عمله مادة إضافية على هذا التراث الذي تحتفظ به الروايات الأجادية في التلمود، ويعد العمل الأول من نوعه في اللغة الإنجليزية [١] ، وهو من أهم الأعمال التي تمت خلال القرن العشرين التي تهدف إلى جمع التراث الأجادي (القصصي) وتحديد تطوره وانتشاره بين اليهود وغيرهم. وقد وصف عمل جنزبرج هذا بأنه أعظم إسهام فردي في دراسة التراث اليهودي خلال قرن كامل من مصادره الأصلية، ويمثل أحدث الأعمال في هذا التراث بشكل مرتب ومنظم [٢] .

ويذكر شبيجل هذا العمل القصصي، حيث يربطه بالعهد القديم من حيث تأصيله، ويفرق بين مادة العهد القديم التي تم تدوينها، ومادة هذه القصص التي ظلت شفوية تمثل التراث الشفوي لبني إسرائيل، فيثبت أن هذه المادة مقدسة على الرغم من أنها لم تدخل في صلب كتاب العهد القديم [٣].

ويذكر الدكتور جمال الرفاعي مترجم كتاب قصص اليهود إلى اللغة العربية عن الأصل الإنجليزي، أن القصص التي يحتويها هذا الكتاب تمثل مرحلة بدائية من الفكر اليهودي يصعب على العقل تقبلها، إلا أنها لا زال بعض منها يقرأ حتى يومنا هذا في الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية، ولا تزال تلك القصص تسيطر على الوجدان الشعبي اليهودي؛ لأنها تمثل تراثه الديني [٤].

---

(١) قام جنزبرج بتأليف هذا العمل في سبعة مجلدات عام ١٩٠٩م، ثم اختصرت في مجلد واحد نشرته هيئة النشر اليهودي بأمريكا في فيلادلفيا عام ١٩٧٢م. وقد بدأ جنزبرج عمله هذا باللغة الألمانية ثم أكمله باللغة الإنجليزية.

(٢) لويس جنزبرج، قصص اليهود، المقدمة، (ص ٢٤).

(٣) المرجع نفسه، (ص ٢٢).

(٤) لويس جنزبرج، قصص اليهود، المقدمة، (ص ١٨).

٢- متون هِرمِس:

تعزى متون هِرمِس إلى الحكيم المصري تحوت الذي قيل عنه: أنه تحول بحكمته إلى كائن رباني كان مقدسًا في مصر القديمة قبل عام ٣٠٠٠ ق.م على أقل تقدير، ويعزى إلى هِرمِس اختراع الكتابة الهيروغليفية، ويصور على حوائط المعابد المصرية والمقابر على شكل طائر تحوت، ويمثل لديهم رسول الآلهة وكاتب أعمال الإنسان. وهذا الحكيم تحوت معروف جيدًا في تاريخ الفكر الغربي بدءًا من اليونان حتى الاكتشافات التي أطلقتها النهضة الأوربية في القرن السادس عشر، وكان له تأثير عظيم على أكبر مفكري العالم الغربي وفنانيهم أمثال: ليوناردو دافنشي، وروجر بيكون، ونيوتن، وميلتون، وفيكتور هوجو، وكارل يونج، إلى جانب تأثيره الكبير على شكسبير، كما وحد اليهود في تراثهم التنسكي بين هِرمِس والنبي أخنوخ الذي يقال أنه النبي إدريس عليه السلام.

وقد صدرت هذه المتون في كتاب من تأليف تيموثي فريدرك وبيتر غاندي باللغة الإنجليزية عن اليونانية التي بدورها أخذته من المصرية القديمة، وقام بترجمة الكتاب الإنجليزي إلى العربية عمر الفاروق عمر، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر[1].

وتكمن أهمية هذه المتون في تأكيد أثر الحضارة المصرية القديمة في حضارات العالم وعلى وجه الخصوص التراث العرفاني، الذي تميزت به حضارة مصر القديمة، أقدم وأعظم الحضارات التي عرفتها البشرية.

وقد ظن كثيرون أن هذه المتون ترجع إلى اليونان، بينما هي من أصول مصرية فرعونية، كشفت لليونان علوم الفلك والتنجيم والعمارة والهندسة والطب والإلهيات والتى تعلموها عن المصريين؛ حيث اعتقد اليونانيون أن تحوت هو باني الأهرام، كما اعترف اليهود والمسيحيون بعظمة الكائن الإلهي تحوت.

وفي القرن التاسع الميلادي أصبحت متون هِرمِس كتابًا مقدسًا لدى الصابئة، كما أخذ بقدسية هذه المتون يحيى السهروردي الفيلسوف الفارسي معتقدًا - هو وغيره من

---

(١) تيموثي فريدرك، بيتر غاندي، متون هِرمِس، حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة عمر الفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، رقم ٣٥٧، مصر، ٢٠٠٠م.

الفلاسفة الآخرين - أنه يمكن التوفيق بين المتون الهرمسية التي سبقت الإسلام، وبين ما جاء في الإسلام بدعوته لدين التوحيد، والاعتقاد بأن الوجود واحد متجل عن جوهر واحد[١].

وقد استهل كتاب متون هِرمِس بدايته بآخر كلمات أدلى بها هِرمِس (إدريس عليه السلام) قبل انتقاله للعالم الآخر والتي جاء فيها:

(كلمات حكيمة كتبتها يدي الفانية، استمرت باقية على طول العصور، مضمخة ببلسم الأبدية الذي أبدعه المعلم الأكبر، لم تكشفها عيون العامة الرائحين الغادين الجائلين في خضم الحياة القفر. وظلت خافية حتى خلق الرب قديم الإحسان الكائن الإنساني الجديد بفهم حكمته). وبعد أن تفوه هِرمِس بتلك الكلمات التي خطتها يده استقبلته رحاب الأبدية في مكانه العلي[٢].

وفي حق هذه المتون قال المؤرخ اليوناني هيرودوت في القرن الخامس ق.م: (إن المصريين متدينون إلى أقصى حد أكثر من أية أمة في العالم، وهم بالغو التدقيق فيما يتعلق بدينهم... ولم يكن الأمر - إذا جاز القول - سوى أن اليونانيين لم يعلموا - سوى أمس الأول - شيئًا عن الآلهة... لقد جاءت أسماء كل الآلهة من مصر... فقد عرفت كل الآلهة في مصر منذ الأزل)[٣].

وهذه الشهادة تدل على مدى تأثر الفلسفة اليونانية القديمة بالديانة المصرية القديمة.

كذلك أخذت المسيحية الكثير عن هِرمِس ومتونه، وكان هِرمِس يطلق عليه كاتب الإله، وسيد الكلمة، فقال القديس أوغسطنيوس في القرن الرابع الميلادي في تعريفه للهِرمِسيات: « إن ما يدعى الدين المسيحي، كان يوجد بين القدماء، ولم يحدث أن انعدم وجوده أبدًا، ومنذ بداية الجنس البشري حتى تجسد المسيح، وبدأ منذ ذلك الحين إطلاق اسم المسيحية على الديانة التي وجدت سلفًا »[٤].

---

(١) تيموثي فريدرك، بيتر غاندي، متون هِرمِس، حكمة الفراعنة المفقودة، مقدمة المترجم، (ص ١٦).

(٢) المرجع نفسه، (ص١١). (٣) المرجع نفسه ، (ص٢٥).

(٤) المرجع نفسه، (ص ٢٧).

وتعد متون هِرمِس رمزًا لوحدة الأديان، ووحدة الحكمة، ووحدة العلوم، وكانت مصر هي الموطن الذي ظهرت فيه تلك المتون التي تجمع فيها الحكمة والمعرفة التي وصلت لمختلف الديانات والشعوب.

٣- تفسير ابن كثير:

تفسير ابن كثير هو المصدر الإسلامي الذي اعتمدناه أساسيًا في هذه الدراسة حول إدريس عليه السلام النبي، وكان ناقلًا لكثير من الروايات الإسرائيلية التي دخلت التفاسير الإسلامية [(١)] ، ويعتبر مادة ثرية خصبة وقوية بحيث يمكن الاستعانة به ممثلًا للمصادر الإسلامية للمقارنة مع المصادر اليهودية في مجال بحثنا [(٢)].

أسباب اختيار ابن كثير في إخباره عن إدريس عليه السلام: يرجع اختيارنا لتفسير ابن كثير وما ورد به من إسرائيليات إلى النقاط التالية:

١-مكانة ابن كثير بين المفسرين وعلماء المسلمين فهو علم بارز، حافظ وفقيه، محيط بجوانب مختلفة في العلوم الإسلامية من علوم القرآن، وعلوم السنة، وعلل وكتب الحديث، والتاريخ والأدب، والنحو، واللغة، وعلوم التراجم والرجال والجرح والتعديل والفقه والمتون وغيرها.

٢-تبحره في الملل والنحل والتي أفاد منها كثيرًا في معرفة منابع النصوص التي دخلت إلى التفاسير الإسلامية من كتب أهل الكتاب.

---

(١) ابن كثير هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، البصري، الدمشقي المفسر المحدث والفقيه الشافعي. ولد عام ٧٠٠ هـ وتوفي عام ٧٧٤هـ، من أشهر المفسرين وأشهر كتبه، كتابه في تفسير القرآن، وهو الكتاب الثاني في التفسير بالمأثور عند كثير من العلماء بعد تفسير الطبري. وابن كثير مفسر ومؤرخ يمتاز بأنه غالبًا ما ينبه على ما في التفسير من الإسرائيليات ومنكراتها. كان محدِّثًا دقيقًا يتوخى الصحة وينبه غالبًا على ما يورده في تفسيره من الإسرائيليات التي لا أصل لها وكان له قوة النقد للمأثورات. مقدمة التحقيق لتفسير ابن كثير، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة، ١٤٢١ هـ (١/ ١١، ١٢) .

(٢) أبو شهبة: محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٦م، (ص ١٢٥) يقول أبو شهبة عن خصائص كتاب التفسير العظيم لابن كثير: يعتبر نسيج وحده في التنبيه على الإسرائيليات وكل من جاء بعده من المفسرين ممن تنبه إلى الإسرائيليات وحذر منها، هم عالة عليه في هذا. المرجع نفسه، (ص ١٢٦).

٣-شخصيته الفذة وعقله واسع الإدراك؛ مما جعل مصنفاته قبلة للعلماء في كافة العصور، في مختلف العلوم التفسيرية والفقهية والسنية والتاريخية .. وغيرها.

٤-احترام كبار العلماء لمكانته العلمية حيث عدوه قدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، وعمدة المؤرخين، وعلم المفسرين، وعماد الدين، وثقة المحدثين [(١)].

٥-منهج ابن كثير في جمع الروايات من سابقيه من المفسرين كالطبري وابن أبي حاتم ومجاهد وغيرهما، مما جعله جامعًا قدرًا كبيرًا من النصوص وحاكمًا عليها؛ بحيث يمكن دراسة ما جاء لدى سابقيه من المفسرين من خلاله.

٦-أهمية كتابه في التفسير بحيث إنه يعد الثاني بعد تفسير الطبري في التفسير بالمأثور.

٧-حرص ابن كثير عند نقله للإسرائيليات – في أغلب الأحيان – على الرجوع إلى أسانيد الرواة والتنبيه على كونها من الإسرائيليات وذكر رأيه، بخلاف كثيرين غيره من المفسرين، ومنهم الطبري الذي نقل كثيرًا من الروايات دون حكم عليها مما جعل – ابن كثير – حجة في نقدها وتفنيدها.

مكانة البحث في مجال دراسات مقارنة الأديان:

إن اختيار موضوع هذه الدراسة ينطلق أساسًا مما جرى العرف عليه في مجال علم مقارنة الأديان، فينهج دراسة شخصية النبي إدريس ﷺ دراسة مقارنة بين المصادرالمصرية القديمة من خلال متون هِرمِس، والمصادر اليهودية المعتمدة على نص المقرا (العهد القديم) والتراث القصصي الشفوي اليهودي الذي تضمنته روايات الأجداده، ومخطوط البحر الميت الوثائقي الذي ورد فيه أسفار أخنوخ، وبين ما ورد ذكره في أحد التفاسير الإسلامية للقرآن وما فيها من روايات وقصص إسرائيلية، ثم الرجوع إلى أصل ما ورد في القرآن عنه والسنة الصحيحة ومدى مطابقتها له.

---

(١) مقدمة التحقيق لتفسير ابن كثير، مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة، ١٤٢١ هـ، (١/ ١١، ١٢).

وإذا ما افترضنا أن مثل هذا العمل يمكن أن يكون قد بحث من قبل في مجال دين من الأديان على حدة، إلا أن الباحثة تزعم أن دراسة هذا الموضوع في إطار مقارنة الأديان يعتبر هو البحث الرائد فيها، وذلك إسهامًا في إثراء هذا الحقل من الدراسات الهامة والتي لا تزال تشق طريقها بصعوبة وسط الدراسات المتصلة بالأديان في الأقسام العلمية المعنية بذلك.

ويحاول البحث الرد على الاستفسارات التالية:

- الإسرائيليات: من حيث مفهومها، وأسباب دخولها التفاسير الإسلامية، وإمكانية قبولها خاصة في حالة الحديث عن نبي مرسل ذي مكانة خاصة.
- بيان مدى إمكانية الرجوع إلى هذه الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية.
- توضيح موقف رواة الإسرائيليات ومدى قبول روايتهم.
- تحديد المبالغات والأساطير التي قد تصورها مؤلفو الكتابات الإسرائيلية أثناء كتاباتهم عن هذا النبي ومقابلتها بما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ في حقه.
- حكم علماء المسلمين على الإسرائيليات.
- كيفية تناول ابن كثير للإسرائيليات والذى اتخذته الدراسة نموذجًا.
- البحث في شخصية هذا النبي من حيث الاختلاف في مسماه، نسبه، صفاته، نشأته، وفاته وكيفية رفعه إلى السماء، وهل هو ارتفاع مكان أم مكانة، وهل هو حي أو ميت في السماء، وذلك بين المصادر اليهودية والإسلامية.
- دور الملائكة في صعود أخنوخ (إدريس عليه السلام) إلى السماوات في المصادر اليهودية والإسلامية وما جاء فيها من أساطير وغرائب.
- رؤية المصادر الإسلامية واليهودية لقصة هاروت وماروت وارتباطها بزمن النبي إدريس عليه السلام. وما ورد في الروايات اليهودية عن دعوى خطيئة الملائكة.
- مدى التشابه والاختلاف بين الرواية اليهودية والإسلامية، والحدود التي تمكننا من قبولها أو رفضها.
- معرفة خصائص هذا النبي من خلال متونه وحكمه ومواعظه.

الدراسات السابقة:

استفاد البحث من عدد من الدراسات السابقة منها:

١- الإسرائيليات في التفسير والحديث، تأليف محمد السيد حسين الذهبي، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، سلسلة البحوث الإسلامية، الكتاب السابع والثلاثون، أكتوبر ١٩٧١م.

ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة اشتملت مقدمته على بيان منزلة القرآن الكريم بين الكتب السماوية، وتضمن الفصل الأول معنى الإسرائيليات وتسللها إلى التفسير وخطورتها على عقائد المسلمين وقدسية الإسلام، وشمل الفصل الثاني بيانًا في أقسام الإسرائيليات وحكم روايتها وأشهر رواتها، وأوضح الفصل الثالث الإسرائيليات في كتب التفسير فتحدث عن تفسير الطبري ومروياته في الإسرائيليات وابن كثير، ومقاتل بن سليمان، وتفسير الثعلبي، والخازن، والألوسي وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، ثم جاءت الخاتمة في بيان ما يجب أن يلتزم به مفسر القرآن بالنسبة للروايات الإسرائيلية ودور العلماء في وجوب تنقية كتب التفسير من الإسرائيليات.

ويزخر الكتاب بالكثير من الروايات والحكم بصحتها أو عدمه.

٢- الدخيل والإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم، تأليف سمير عبدالعزيز شليوه، الطبع المؤلف، ١٩٨٣م.

ويشتمل على فصلين، الأول ويبحث في معنى الدخيل ومعنى الإسرائيليات وسبب انتشارها وحكم روايتها وأشهر من عرف برواية الإسرائيليات، ويشمل الفصل الثاني أنواعًا من قصص الإسرائيليات التي ذكرها المفسرون مثل قصة الذبيح وقصة موسى ﷺ والرد على المستشرقين. وقد اتخذ الكاتب المنهج النقدي للروايات سواء بالرد على رواتها أو الخصوم بما هو مثبت بالكتاب والسنة.

٣-الإسرائيليات في تفسير الطبري، د. آمال محمد عبد الرحمن ربيع، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ٢٠٠١م.

نهجت فيه المؤلفة منهج الاستقراء الكامل لتفسير الطبري، ومقارنة النصوص

ودراستها دراسة لغوية للتأكد من انتماء روايات الطبري للأصول الإسرائيلية، ثم قامت المؤلفة بتصنيف مجالات ورود الإسرائيليات في روايات الطبري وأماكنها في تفسيره، والتأكيد على بعدها عن الجانب العقدي والتشريعي، وقسمت الدراسة إلى بابين: يتناول الأول التعريف بالطبري ومكانته وظهور الإسرائيليات وموقف الإسلام منها، والمصادر العبرية التي أخذت عنها الروايات الإسرائيلية، وهي أسفار العهد القديم وكتب المدراشيم (المدارس الدينية اليهودية) وبعض فصول من التلمود، كما تناولت كيفية تعامل الطبري مع الإسرائيليات. والباب الثاني تناول النصوص المتطابقة والنصوص المتفقة في المضمون، والمجملة والمفصلة، وكذا الروايات ذات الإضافات والمبالغات.

وقد أشارت المؤلفة في إثبات نص الأثر الوارد عند الطبري مع الإشارة إلى موضعه من التفسير وإثبات النص العبري من مصادره مع ترجمته إلى العربية، ثم مقارنة النصوص من ناحية الشكل مع إبداء الملاحظات اللغوية على النصوص، واشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، مع تذييل البحث بملحقين تضمنا حصر الروايات الإسرائيلية في تفسير الطبري، وحصر أبرز رواة الإسرائيليات.

٤- هِرمِس في المصادر العربية، د. ماجد مصطفى الصعيدي، دارة الكرز، القاهرة، ٢٠٠٧م.

وهي دراسة جادة تتناول التعريف بالهرامسة، هِرمِس الأول والثاني والثالث، كما تناولت شخصية هِرمِس الأول في عدد من المصادر العربية المهمة مثل (الفهرست) لابن النديم، و(طبقات الأمم) لصاعد الأندلسي، و(الرسالة المصرية) لأبي الصلت الداني، و(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعه، و(إخبار العلماء بأخبار الحكماء) للقفطي. وكذلك تناول أدب هِرمِس في المصادر العربية بالرجوع إلى كتاب (مختار الحكم ومحاسن الكلم) للمبشر بن فاتك، ويذكر فيه حكم هِرمِس وآدابه ومواعظه، إضافة إلى كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني.

كما تناول الكاتب فلسفة هِرمِس من خلال أقوال الفلاسفة والحكماء الإسلاميين،

محللًا شارحًا، وناقدًا، ويختتم كتابه بتوضيح صورة هِرمِس في الفكر العربي ونظرة الغرب له باعتبار أن إدريس = أخنوخ = هِرمِس = تحوت.

وقد استفادت الدراسة التي بين أيدينا بهذه الدراسات القيمة سواء في القسم الخاص بالإسرائيليات التي دخلت التفاسير الإسلامية، أو في مجال تحليل ما جاء حول هِرمِس الذي قيل أنه أخنوخ وأنه إدريس عليه السلام.

أما الجديد الذي نقدمه في موضوع دراستنا فهو البحث في المصادر اليهودية حول شخصية أخنوخ (إدريس عليه السلام) والتي ينظر إليها اليهود أنها مقدسة، ثم مقارنتها بما ورد في تفسير ابن كثير وغيره من المفسرين، واستكشاف مواطن التشابه والاختلاف، ثم إرجاعها إلى النص القرآني الذي ورد في شأنه.

تقسيم الدراسة:

تنقسم الدراسة التي نحن بصددها إلى أربعة فصول:

الفَصْلُ الأوَلُ: منهجية الروايات والقصص الإسرائيلية ودخولها في التفاسير الإسلامية.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: القصص بين العقيدة اليهودية والإسلامية.

المَبْحَثُ الثَّانِي: قصص الأنبياء بين القرآن والتوراة.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: الإسرائيليات في تفسير ابن كثير في ذكره إدريس عليه السلام.

الفَصْلُ الثَّانِي: أخنوخ (إدريس عليه السلام) بين المرويات اليهودية والتفاسير الإسلامية.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: أخنوخ (إدريس عليه السلام) في النصوص الدينية.

المَبْحَثُ الثَّانِي: التصور اليهودي لقصة أخنوخ (إدريس عليه السلام).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: حياة أخنوخ (إدريس عليه السلام).

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: صحف إدريس عليه السلام (أخنوخ).

الفَصْلُ الثَّالِثُ: مكانة أخنوخ (إدريس عليه السلام) بين اليهودية والإسلام.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: دعوى خطيئة الملائكة في زمن أخنوخ (إدريس عليه السلام) بين اليهودية والإسلام.

المَبْحَثُ الثَّانِي: دور الملائكة في صعود أخنوخ (إدريس عليه السلام) إلى السماء بين المصادر اليهودية وتفسير ابن كثير.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: صفات أخنوخ في الروايات اليهودية.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: خصائص نبوة إدريس عليه السلام وصفاته في القرآن الكريم والكتابات الإسلامية.

الفَصْلُ الرَّابِعُ: إدريس عليه السلام تأملاته وصفاته وحكمه.

ويشتمل على أربعة مباحث:

المَبْحَثُ الأَوَّلُ: إدريس عليه السلام (هرمس) نبي المصريين القدماء.

المَبْحَثُ الثَّانِي: تأملات إدريس عليه السلام من خلال متونه المصرية القديمة.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: عبادة النبي إدريس عليه السلام.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: حكم إدريس عليه السلام.

الخاتمة: وتشتمل على نتائج الدراسة.

* * *

نبي الله إدريس عليه السلام

بين

المصرية القديمة واليهودية والإسلام

الفصل الأول

منهجية الروايات والقصص الإسرائيلية ودخولها في التفاسير الإسلامية

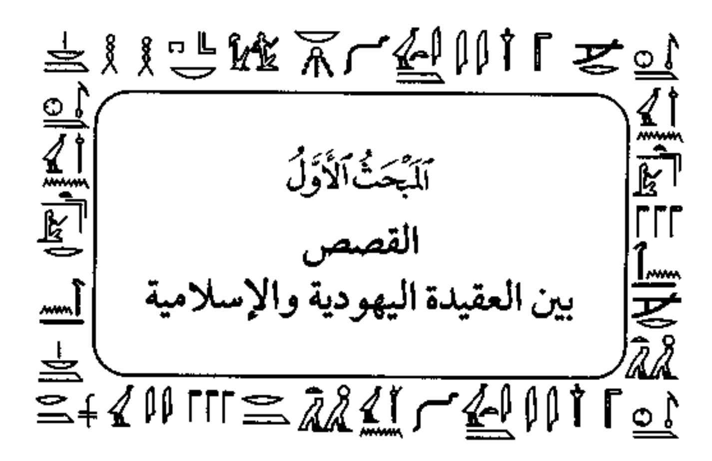
ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: القصص بين العقيدة اليهودية والإسلامية.

المبحث الثاني: قصص الأنبياء بين القرآن والتوراة.

المبحث الثالث: الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية.

المبحث الرابع: الإسرائيليات في تفسير ابن كثير في ذكره إدريس عليه السلام.



المَبْحَثُ الأَوَّلُ

القصص
بين العقيدة اليهودية والإسلامية

ارتبطت القصص والأساطير في حياة اليهود بالعقيدة والفكر الديني نظرًا لاشتمال التوراة على كثير من القصص والأمثال والعبر، والتي نأت كثيرًا عن روح الوحي الإلهي؛ فنجد في التوراة كثيرًا من الحكايات التي تتحدث عن بداية الخلق وأصل الكون من خلال ما ورد في سفر التكوين، إلى جانب ما ورد في التلمود [1] من قصص الآباء والحكماء التي تمثل لديهم تراثًا مهمًّا ومقدسًا.

---

(١) التلمود (תלמוד) كتاب فقهي يضم شريعة اليهود لا يقل في قدسيته عن العهد القديم، وهو شرح وتدوين لنقاشات حاخامات اليهود حول الشريعة اليهودية، الأخلاق، الأعراف، وقصص موثقة من التراث اليهودي، وهو أيضًا المصدر الأساسي لتشريع الحاخامات في الدعاوى القانونية، ويتكون من قسمين: المشنا (משנה - Mishnah) - وهي النسخة الأولى المكتوبة من الشريعة اليهودية التي كانت تتناقل شفويًّا التي قام بعملها يهودا الناسي (١٣٢ - ٢١٧م) كنسخة نموذجية لعدد من النسخ التي قام بها عدد من فقهاء وأحبار اليهود يطلق عليهم (التنائيم).

والقسم الأخر من التلمود، الجمارا (גמרא - Gemara) ويتناول المشنا بالبحث والشرح والدراسة. ويصنف الجمارا كتعليقات على المشنا وككتابات للحاخامات الحكماء، ويخوض في مواضيع أخرى في العهد القديم ويتناولها بالشرح الواسع. والجمارا هو المبادئ الأساسية لجميع قوانين شريعة الحاخامات، وكذلك هو اقتباسات من مؤلفات أدبية لحاخامات آخرين. وقد طبع التلمود لأول مرة في البندقية سنة ١٥٠٤م، وأهم طبعاته طبعة أمستردام ١٦٤٤م.

وللاستزادة انظر: محمد بحر عبد المجيد، اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد ٢٠، ٢٠٠١م، (ص ١٢١ - ١٤٢) وحسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٩٩٩م، (ص ٨٢ - ٩٣).

ويلاحظ أن الأساطير التي زخرت بها منطقة الجزيرة العربية منذ آلاف السنين قبل الميلاد في رواياتها عن قصص الخلق والغواية والطوفان وكانت منتشرة في بلاد الشرق الأدنى قد استقى منها اليهود الكثير أثناء احتكاكهم بشعوب تلك المناطق أثناء سبيهم في بابل.

ويؤكد هذه المقولة ول ديورانت فيقول: « إن القصص الشعبية العالمية كانت مصدرًا من المصادر التي اقتبس منها كتاب أسفار العهد القديم، فقد كان شائعًا في مصر والهند، والتبت، وبابل والفرس واليونان والمكسيك وغيرها من البلاد، قصص شعبية عن الجنة وما فيها من نعيم، وما فيها من الأشجار المحرمة والأفاعي التي سلبت الناس الخلود أو نفثت السم في الجنة [1] كما يذكر: أن معظم الآداب المصرية الأولى كانت آدابًا دينية، وأقدم العقائد المصرية ترانيم نصوص الأهرام » [2].

وعلى هذا يمكن القول بأن القصص والأساطير اليهودية أخذت القدر الأكبر من الثقافات القديمة والنصوص الدينية من عهود السومريين والكنعانيين والفنيقيين والأكديين والبابليين والآشوريين والكلدانيين والمصريين.

ويؤكد أحمد سوسة على ذلك بقوله: « إن مدوني التوراة الذين دونوها خلال الأسر في بابل في عهد الكلدانيين كانوا يحيطون بالمدونات القديمة التي كانت موجودة في ذلك الوقت فاقتبسوا منها » [3].

ومن هنا تتضح أمامنا قضية التأثير والتأثر، حيث أورد المؤرخون أن القصص اليهودية بما فيها من أساطير وروايات إنما ترجع إلى تأثيرات سومرية وبابلية وكنعانية ومصرية كانت موجودة قبل الميلاد بآلاف السنين، وذلك نتيجة لاحتكاك اليهود بهم أثناء سبيهم إلى تلك المناطق.

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، الترجمة العربية، (١/ ٥٧٠).

(٢) المرجع نفسه، (١/ ٣١٨).

(٣) أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، العربي للطباعة والنشر، طبعة سابعة، دمشق، بدون تاريخ، (ص٥١٣).

ويستخدم الباحثون في اليهودية لفظ (أجاداه)(אגדה) [١] بمعنى قصة والتي تتناول قصص الأنبياء الأوائل، وعلوم التنجيم والفلك والطب، وأيضًا شخصيات وردت في العهد القديم، إلى جانب مجموعة من الحكم والأمثال وتأملات في الكون وخالقه، والبحث في الأسرار الإلهية، وتمثل الأجاداه ثلث التلمود البابلي، وسدس التلمود الأورشليمي [٢] مما يوضح أهمية القصة وبناء العقيدة عليها في الفكر اليهودي.

وقد ظهرت الأجاداه (القصص اليهودي) في عهد عزرا في القرن الخامس الميلادي في شكل جذاب، واستمرت حتى القرن الحادي عشر الميلادي؛ حيث مثلت قصص الأجاداه جاذبية وقدسية لليهود خاصة في أوقات المحن والشدائد، ويزعم علماؤهم أن ما دونه الحاخامات والأحبار أسهم في تشجيع التراث الشفهي وأضاف إليه [٣] . وهي قصص نجدها متفرقة في المشنا والتلمود في كلا التلمودين الأورشليمي والبابلي وهي تأتي لتفسر ما لم تفسره التشريعات في التلمودين، كما يوجد فصول من المشنا أساسها قصص من الأجاداه سواء في فصل الآباء (ماسيخيت آفوت)(מסכת אבות) أو في فصل درابي ناثان (מסכת דרבי נתן)، وكذلك فصل ديرِخ إيرتص رابًا (מסכת דרך ארץ רבה) وفصل ديرخ ايرتص زوطا (מסכת דרך ארץ זוטא) [٤] .

ويمكننا تصنيف القصص اليهودية إلى أنواع متعددة:

١- أجادوت (אגדות) (قصص) أو دراشوت (דרשות): وتقوم بتوسيع القصة المقرائية (أى الواردة في العهد القديم) بحيث تضع إضافات وتفاصيل لها، غير واردة في النص الأصلي.

---

(١) تستخدم الأجاداه للتعبير عن القصة بدلًا من (هاجاداه)(הגדה) التي تتناول قصة خروج اليهود من مصر، مرسي:أحمد علي، وجودي: فاروق محمد. الفولكلور والإسرائيليات، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م، (ص١٧) .

(٢) مرسي: أحمد علي، وجودي: فاروق محمد، مرجع سابق، (ص١٨)

(٣) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) האינציקלופדיה היהודית –דעת- ערך אגדה. http://www.daat.ac.il/encyclopedia ولفظ ماسيخيت يعني فصل.

٢- حكايات تاريخية(אגדות הסטורית): وهي قصص تاريخية تصف أحداث فترة المشنا والتلمود.

٣- قصص تتعلق بحياة التنائيم(תנאים) (علماء المشناه) والأمورائيم (אמוראים) (علماء التلمود) وتصف فضائلهم ومسيرتهم وطريقة تعليمهم ونظم حياتهم.

٤- أقوال أخلاقية (דברי מוסר): وهي أقوال تقوم بإرشاد الفرد إلى نظم حياتية مثل كتاب فصول الآباء (פרקי אבות) [١] .

والبحث الذي بين أيدينا ينتمي إلى النوع الأول من الحكايات وهو (الأجادوت) التي تقوم بتوسيع القصة التوراتية بحيث تضع إضافات وتفاصيل لا وجود لها في الأصل التوراتي عن طريق الحاخامات والأحبار والمفسرين اليهود. ومثال ذلك الفقرة التي ذكر فيها أخنوخ في التوراة (وسار أخنوخ مع الله ...) حيث أفردوا كتبًا وروايات عديدة حول هذه الفقرة.

وتشمل الأجادوت قصصًا جذابة بالإضافة إلى توجيهات من أجل حياة صحيحة، كما تضم قصصًا عن حياة العلماء، ويركز حاخامات اليهود على أهمية دراسة القصص بقولهم: « إن الرب لم يقم عهده مع إسرائيل إلا بفضل الشريعة الشفهية التي تشمل كلًّا من نص المشنا والأجاداه والتلمود » [٢] .

ويؤكد الحاخامات على أن الرب اختارهم وأقام العهد معهم، فلم تعد القداسة مقصورة على أوامر الرب ونواهيه، وإنما تتمثل في نتاج الحاخامات التشريعي والقصصي.

وقد ظهرت الأساطير اليهودية بشكل مكثف عبر الشروحات التي دونها الكتاب والقصاصون لروايات الكتاب المقدس، حيث ظهرت في التلمود، فتناولت الأساطير والحكايات التي تخص الشخصيات التاريخية المقدسة، حتى أصبحت تشكل مادةً تراثيةً مقدسةً لديهم [٣] .

---

(١) האינציקלופדיה היהודית –דעת- ערך אגדה. www.daat.ac.il/encyclopedia

(٢) لويس جنزبرج، قصص اليهود، مقدمة المترجم، (ص ١٦). ول ديورانت، قصة الحضارة، الترجمة العربية، ٢، (١/ ٣٦٨ - ٣٧٠).

(٣) عوض إبراهيم، الأسطورة، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

والأسطورة في اليهودية كما حددها رابي شموئيل هناجيد كمصطلح في كتابه مقدمة للتلمود هى: كل تفسير يأتي في التلمود في أي موضوع، لا يمت للشريعة بصلة، وأن كل أجزاء التلمود التي لا نستقي منها تشريعات هي: أجاداه (قصة) [١] .

وعن أثر الأسطورة على الوجدان الشعبي اليهودي يقول د. حسن ظاظا: « قد تكون الأسطورة التي يؤمن بها فئة من الناس أعمق أثرًا من الوثيقة التاريخية، وقد تكون البدعة التي اختلطت بالدين، أقوى عندهم من الدين نفسه، وقد تكون حادثة قديمة عندهم أضخم بكثير من الحادثة نفسها » [٢]. ويعتبر كتابا أخنوخ من أعظم نماذج الأبوكاليبس (אפוקליפוס) (الأدب الرؤوي) الذي يقوم بوصف الإسكاتولوجية (אסקטולוגייה) أي آخرة الأيام [٣] .

وقد ظهرت القصص اليهودية التي تحتوي الحديث حول الآخرة بعد أن وقعت منطقة الشرق الأدنى تحت الحكم اليوناني والروماني الذي تميز بالشدة والقسوة. وكانت رسالة تلك الآداب تدعو بني إسرائيل إلى التمسك بالشريعة حتى يأتي العصر الذي يتحقق فيه خلاصهم في نهاية الأيام [٤]. وكانت الظروف السياسية عاملًا مهمًا في إثراء تلك الآداب المنتمية إلى عصر التلمود [٥] .

يقول د. محمد خليفة في مقدمته لكتاب قصص اليهود: « إن قصص اليهود تقدم خدمة كبرى في مجال تفسير القرآن؛ وذلك لأن المفسر المسلم للقرآن يحتاج إلى مصادر

---

(١) האינציקלופדיה היהודית –דעת– ערך אגדה. www.daat.ac.il/encyclopedia

(٢) ظاظا: حسن، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م، (ص١٢، ١٣).

(٣) الأبوكاليبس: مصطلح مشتق من اللغة اليونانية ومعناه بالعبرية (التجلي) وهو نوع أدبي في الأساس ينتمي إلى المجال الديني ويقوم بوصف (الأسكاتولوجية) آخرة الأيام he.wikipedia.org/wiki/ وفي موسوعة يديعوت أحرونوت اليهودية الأبوكاليبس تعني رؤية تهتم بالأخرويات אינציקלופדיה ידיעות אחרונות ערך אפוקליפס www.ynet.co.il/yaan ٢٠-١-٢٠٠٧ والأدب الذى ينتمى اليه هو الأدب الرؤوي الذي يهتم بالكشف عن الأشياء الغامضة التي تقع في ما وراء الطبيعة والخافية عن العين البشرية وتجعلها أكثر معرفة ووضوحًا للناس. ناظم: منى: المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، مؤسسة الاتحاد والصحافة والنشر، أبو ظبي، (ص١٠٨).

(٤) ناظم: منى: المسيح اليهودي، المرجع نفسه، (ص١٠٨).

(٥) المرجع نفسه، (ص١١٥).

متعددة يستخدمها في تفسيره في الوقت الذي أصبحت فيه التوراة وبقية أسفار العهد القديم، لم تعد مادة كافية لشرح ما يتعلق بتاريخ الدين اليهودي وتاريخ الأنبياء، حيث توفر للباحث مادة أثرية ضخمة تم اكتشافها في القرنين الأخيرين مثل كتابات الأبوكريفا، ووثائق البحر الميت، التي أمدتنا بنصوص جديدة لبعض أسفار العهد القديم، وكذلك المعرفة الحديثة بالمشنا والجمارا الذي يعرف بالتلمود وما اشتمل عليه من هالاخاه وهاجاداه »[١].

ويستخدم الباحثون لفظ (أجاداه) بمعنى قصة، وهي كلمة آرامية بدلًا من العبرية هاجاداه التي تتناول قصة خروج اليهود من مصر[٢].

ويقول جنزبرج: « لقد كان اليهود أعظم نقلة للفولكلور، ففي تجوالهم الطويل من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق، أحضروا معهم نتاج الخيال الشرقي إلى الأمم الغربية، ونقلوا إبداعات الخيال الغربي إلى الشعوب الشرقية »[٣].

وفى بحث ألقاه جنزبرج في جامعة هارفارد عام ١٩٣٦م قال فيه: « توجد حدود واضحة بين التراث الديني اليهودي قبل هدم الهيكل، وبين ما تم من تبادل واستعارة وإضافة لهذا التراث من التراث المسيحي في شرق أوربا ووسطها، إلى جانب تداخل كثير من الخرافات المسيحية ».

ويرى جنزبرج، أن اليونان هم المنبع الأساسي للموضوعات القصصية الشعبية الدينية اليهودية[٤].

وإذا نظرنا إلى الروايات اليهودية التي تناولت موضوع دراستنا عن النبي أخنوخ (إدريس عليه السلام) نجد أن الأسفار المنحولة (غير القانونية) التي ظهرت في نهاية العصر الهليني وتضاعفت في العصر الروماني، ومنها أسفار أخنوخ الأول والثاني،

---

(١) مقدمة محمد خليفة حسن، قصص اليهود، مرجع سابق، (ص ٢٦ - ٣١).

(٢) لويس جنزبرج، قصص اليهود، مرجع سابق، (ص ٢٦ - ٣١).

(٣) محمد خليفة حسن، قصص اليهود، تقديم، (ص ٤٠)، نقلًا عن
Ginzberg, Legends of the Bible, p. xlx .

(٤) أحمد علي مرسي وفاروق محمد جودى، مرجع سابق، (ص٢٠ - ٢٣).

نجدها تعبر عن مرحلة صراعات فكرية عاشها اليهود على المستوى السياسي والثقافي فتسعى إلى تخليص النفس مما أصابها من تشتت وإبعاد، وذلك باللجوء إلى المعاني الدينية التي تمنح الأمل في مستقبل أبدي خالد في الحياة الأخرى؛ فكان التوجه إلى أسلوب الأسطورة الذي أخذ شكلًا من أشكال السرية بما يتناسب مع العصر والمكان، حيث اعتبروا كتاباتهم مقدسة لأنهم أعدوا أنفسهم ورثة للأنبياء، وهذا الوضع أظهر لنا أن كُتَّاب هذه الأسفار ومؤلفيها يفترض أنهم جماعة وليسوا فردًا، يؤمنون بمبادئ خاصة تؤهلهم لهذا العمل المقدس، وقد اتفق الكثيرون على أنهم ملة أو جماعة الآسينيين، الذين قاموا بكتابة هذه الأسفار من أجل إرساء قواعد ومبادئ للدين محددة ومنظمة طبقًا لرؤيتهم. وتقول بعض المصادر أن هذا السفر قد كتب من قبل يهودي في الشتات بلغته الخاصة ربما العبرية أو الآرامية المتأخرة التي تعلمها في المنفى، وأنه كتب قبل قيام المسيحية، وعلى الأرجح في أوائل حقبة هيرودت حوالي منتصف القرن الثاني ق.م [١] .

والأُسطورة في المعاجم العربية بالضم لغة: مفرد الأساطير، وهي الأباطيل، والأحاديث العجيبة، والأحاديث التي لا نظام لها [٢]. واصطلاحًا هي: حكايات غريبة خارقة ظهرت في العصور الموغلة في القدم، وتناقلتها الذاكرة البشرية عبر الأجيال، والهدف منها تفسير الظواهر الطبيعية، أو العقائد الدينية، أو الأحداث التاريخية الموغلة في التاريخ القديم [٣] .

ويعرف علماء الأنثروبولوجيا الأسطورة: أنها قصة تقليدية من عالم غير موجود، مجهولة المؤلف وأبطالها خياليون، وتلعب دورًا رئيسًا في الحياة الاجتماعية والدينية للشعوب البدائية، خاصةً وأن ممارسة تلك الشعوب لاحتفالاتها ونظمها القيمية والاجتماعية تحتاج إلى تبرير، في علاقتها بالماضي، وطقوس التقديس [٤] .

---

(١) زكار، مرجع سابق، (ص ٢٢ – ٢٤).

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (٤/ ٣٦٣).

(٣) عوض إبراهيم، الأسطورة، مرجع سابق.

(٤) حنفي: السيد، علم الإنسان، ط١٤، القاهرة، ٢٠٠٥م، (ص٢١٠).

ومن الوظائف الاجتماعية للأساطير، تثبيت الأفكار التي يقوم عليها الدين [١]، والقيم السائدة في المجتمع، وتوجيه الناس إلى المثل الاجتماعية التي عليهم أن يحققوها في حياتهم [٢]. وتعد الأسطورة ناتجًا انفعاليًّا غير عقلاني، يصدر عن حالة انفعالية تتخطى العقل التحليلي، وهي نوع من الحدس بالكليات يظهر في صورٍ لشخصياتٍ مفعمة برموز ذات دلالات بعضها يتصل بعالم الشعور، وبعضها يتصل بعالم اللاشعور [٣].

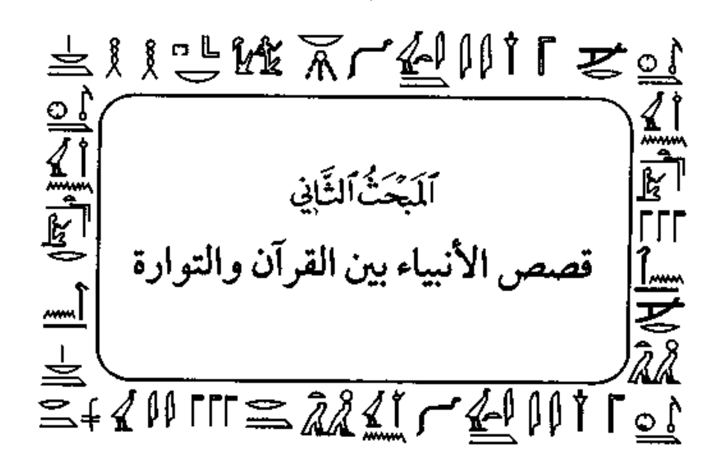
***

---

(١) المقصود هنا الدين بمعناه العام القائم على الاعتقاد في شخص معين أو في ظاهرة طبيعية أو في شيء مقدس على وجه العموم وهو - بهذا العموم - يختلف عن المعنى الخاص الذي يطلق على أديان الوحي الوارد من الله تعالى على يد نبي من أنبيائه.

(٢) حنفي: السيد، علم الإنسان، ط١٤، القاهرة، ٢٠٠٥م، (ص ٢١٠، ٢١١).

(٣) السواح: فراس، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠١م، (ص ٣٥).



المَبْحَثُ الثَّاني

قصص الأنبياء بين القرآن والتوارة

تختلف القصص الواردة في القرآن عن مثيلاتها الواردة في التوراة اختلافًا بينًا، سواء في الأسلوب أو في استخدام الألفاظ والمعاني، أو السياق الأدبي، أو المصدر نفسه، إضافة إلى الجانب الوظائفي التعليمي والأخلاقي والقيمي، كما تختلفان في الغاية والهدف الذي تبتغي إيصاله للمتلقي.

والقصة لغة: هي الخبر، ومنه القص وهو تتبع الأثر، والقصص هو الأخبار المتتبعة [(١)] .

والقصة في القرآن الكريم اصطلاحٌ ذو خصائص تميزها من حيث المصداقية التاريخية، والجاذبية في العرض، والشمولية في الموضوع، والعلو في الهدف والغاية، والتنوع في الفرض والدلالة، ووضوح في الإعجاز. والقصة هي أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان لما لها من تأثير على النفس وتوجيه للعقل. وتكمن أهمية القصص في القرآن في نسبتها إلى الله ﷻ فهي تعلو عن غيرها بقدسيتها وبلاغتها وإعجازها وجاذبية تأثيرها على المتلقي، ويكفينا في هذا قول المولى ﷻ في كتابه الكريم في سورة (يوسف/ ٣): ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (٧/ ٧٤).

وتختص القصص القرآنية بالمصداقية التاريخية مما ورد من أخبار الأولين ومما قص الله تعالى علينا نبأهم بالحق بهدف التأمل والاتعاظ والاعتبار بها فيها من إشارات وعبر ولطائف وإعجاز، وتتميز القصص القرآنية أيضًا بشموليتها المطلقة من حيث مخاطبة النفوس بطبائعها المختلفة، وموضوعاتها من عبادات وعقائد وأخلاق وفضائل ومعاملات وآداب اجتماعية واقتصادية وروحية، إلى جانب شموليتها الزمنية نظرًا لصلاحيتها في بناء الشخصية الإصلاحية، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، ومخاطبتها لكل الأجناس والطبقات والأنواع البشرية.

وتتمثل أهداف القصة في القرآن كما يحددها فضيلة الإمام الأكبر ا. د. سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف في كتابه القيم (القصة في القرآن الكريم) كالآتي:

- بيان أن الرسل جميعًا أرسلهم الله تعالى برسالة واحدة في أصولها، وهي إخلاص العبادة لله، وأداء التكاليف التي كلف بها الله تعالى خلقه.

- بيان أن القرآن من عند الله تعالى، وأن قصص السابقين التي لا علم للرسول ﷺ بها، علمه الله إياها.

- تثبيت فؤاد النبي، وحثه على الاقتداء بإخوانه الذين سبقوه، وذلك في قوله تعالى في سورة (هود/ ١٢٠-١٢٣): ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

- الاعتبار والعظة بما اشتملت عليه من حكم وآداب وإرشادات [١]، وذلك من خلال عرض ما عاناه الأنبياء السابقون من حيث إن دعوتهم واحدة، ومنهجهم في دعوة قومهم واحد، والقصص القرآنية ذات أهداف سامية سواء في تصحيح العقائد الفاسدة، أو تقويم الأخلاق الاجتماعية والسلوكيات العامة، هذا إلى جانب ما أورده المولى ﷻ من أن الهدف منها الهداية والرحمة بالناس أجمعين، قال تعالى في سورة

(١) طنطاوي: سيد، القصة في القرآن، دار المعارف، ١٩٩٥م، المقدمة، (ص ٤ - ١٤).

(يوسف/ ١١١): ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

ويذكر ابن كثير في تفسيره أهمية ذكر قصص الأنبياء في القرآن فيقول: « إن المقصود من ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام حصول العبرة لمن يسمعها »، ويقول في فوائدها: « إن ذكر قصص الأنبياء وإعراض قومهم عنهم وعنادهم، يفيد في تسلية الرسول وتخفيف ما يعانيه من قومه، كما أن هذه القصص تدل على نبوة محمد ﷺ إذ إنه كان أميًّا ولم يطالع كتابًا، فتدل أنه عرفها بالوحي من الله تعالى »[1].

ويبين الرازي هذا المعنى بقوله: « اعلم أن الله سبحانه شرع في بيان قصص الأنبياء عليهم السلام لوجوه:

أحدها: أن الكلام إذا أطال في تقرير نوع من أنواع العلوم، فربما حصل نوع من أنواع الملالة، فإذا انتقل الإنسان من ذلك الفن من العلم إلى فن آخر، انشرح صدره، وطاب قلبه، ووجد في نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميلًا قويًّا.

وثانيها: ليكون للرسول عليه الصلاة والسلام ولأصحابه أسوة بمن سلف من الأنبياء؛ فإن الرسول إذا سمع أن معاملة هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كانت إلا على هذا الوجه، خف ذلك على قلبه، كما يقال المصيبة إذا عمت، خفت.

وثالثها: أن الكفار إذا سمعوا هذه القصص، وعلموا أن الجهال وإن بالغوا في إيذاء الأنبياء المتقدمين إلا أن الله تعالى أعانهم بالآخرة، ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم، فكان سماع هؤلاء الكفار لأمثال هذه القصص سببًا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل في صدورهم، وحينئذ يقللون من أنواع الإيذاء والسفاهة.

ورابعها: أن محمدًا عليه الصلاة والسلام لما لم يتعلم علمًا، ولم يطالع كتابًا، ثم ذكر هذه الأقاصيص من غير تفاوت، ومن غير زيادة، ومن غير نقصان، دل ذلك على أنه ﷺ إنما عرفها بالوحي والتنزيل »[2].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ (١٤/ ٤٤).

(٢) الرازي، التفسير، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ، (١٧/ ١٠٩).

هذا وتمثل قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم إشكالية لدى بعض العلماء، خاصة اليهود، وذلك لوجود تشابه بينها وبين بعض القصص خلال عهود اليهود. ويرد الدكتور محمد خليفة حسن أستاذ تاريخ الأديان على هذه المقولة بقوله: « إنه في حالات التوافق هذه يمكن وصف ما جاء في القصص اليهودي أنه من بقايا الوحي القديم، بحيث يجب إعادتها مرة أخرى إلى النصوص اليهودية في التوراة »، فيقول الدكتور خليفة:

« يعطي القرآن الكريم بعض الأنباء الواردة عن الأنبياء، وليس لها مقابل في مادة التوراة وبقية أسفار العهد القديم، وقد وجدت هذه المادة طريقها إلى بعض قصص اليهود، وتشير هذه الظاهرة إلى أن اليهود حرفوا هذه المادة أو بدلوها؛ بحيث إنها لم تدون في العهد القديم أو أنها ضاعت، أو أنها لم تضم إلى التوراة في شكلها المكتوب، وخضعت لعمليات الحذف التي تعرضت لها مادة التوراة قبل أن يتم تدوينها في القرن الخامس قبل الميلاد. وظهور هذه المادة في بعض المصادر اليهودية المتأخرة خارج حدود العهد القديم، ثم ظهورها في القرآن الكريم يجعلنا نحكم عليها بأنها من بقايا الوحي الذي ضاع خلال عمليات الحذف والتحريف والتبديل؛ فتحولت هذه المادة من مادة وحي واجبة الظهور في التوراة إلى مادة شفوية »[(١)] .

ويضيف د. خليفة: « إن قصص الأنبياء في القرآن الكريم تعد مقياسًا لمدى صحة قصص اليهود وتفنيد القَصص اليهودي ونقده، وورود بعض هذه المادة في القرآن الكريم دليل على أنها من بقايا الوحي المفقود، ودليل على صحتها، وأنها يجب أن تعود إلى موقعها الحقيقي في التوراة أو في أحد أسفار العهد القديم المناسبة »[(٢)] .

ويفرق د. محمد خليفة بين قصص الأنبياء كمصطلح قرآني إسلامي وقصص اليهود فيقول:

– ترتبط قصص الأنبياء في القرآن الكريم بسير الأنبياء فقط، أما قصص العهد القديم فتتحدث عن شخصيات غير نبوية مثل الكهان والملوك والحكام إضافةً إلى الأنبياء.

---

(١) جنزبرج، مرجع سابق، مقدمة د. محمد خليفة، (ص ٤٢، ٤٣).

(٢) المرجع نفسه، (ص ٤٢، ٤٣).

- القصص القرآنية تنزه الأنبياء عن الخطأ، وتدعو لاحترامهم، وتقر بعلو قدرهم، وتؤكد على عصمتهم وعقلانية رسالتهم جميعًا، وتؤكد وحدتهم جميعًا ووحدة رسالاتهم على اختلاف أممهم ودياناتهم، على العكس من القصص اليهودية؛ فهي تؤكد مدى عنصرية اليهود الذين يتحدثون عن أنبياء بني إسرائيل فقط، وكثيرًا ما يتهمونهم بالوقوع في الآثام والفواحش [1].

- يمثل قصص الأنبياء في القرآن وحيًا إلهيًا خالصًا، أما قصص اليهود فهي من وضع المفسرين والشراح اليهود، وليس لها أصل من الوحي في زمن تدوين التوراة [2].

وبالإضافة إلى ما ذكرنا فإننا نجد تنوع طريقة العرض القرآني للقصص؛ فمنها ما جاء على حلقات متتابعة مثلما جاء في قصة موسى عليه السلام، ومنها ما جاء موجزًا ومعجزًا في الوقت نفسه وهذا الأسلوب الموجز يظهر جليًا فيما ذكره القرآن عن إدريس عليه السلام حيث ينطبق عليه ذلك الإجمال الذي يغنينا عن أية تفاصيل أو استطرادات.

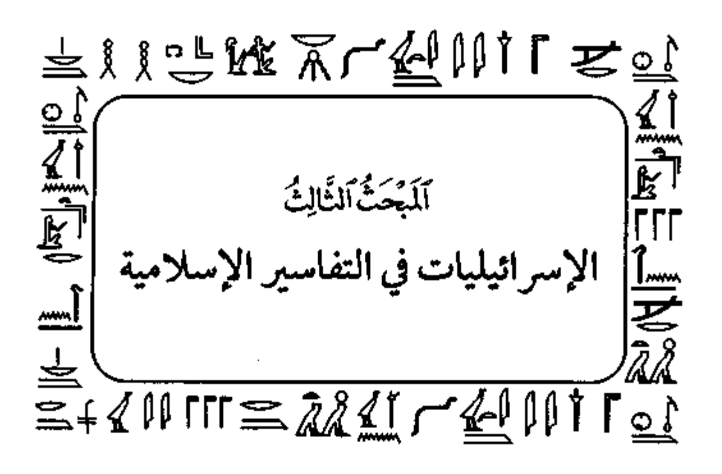
وما ورد في القرآن الكريم عن إدريس عليه السلام قوله تعالى في سورة (مريم/ ٥٦-٥٨): ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾وتعد هذه الآيات الشريفة نموذجًا لكمال الإعجاز القرآني الذي يجمع في إدريس عليه السلام صفات النبوة، والصديقية، والمكانة العلية، وأنه من ذرية آدم عليه السلام، وهو المهدي المجتبى، العابد الخاضع لله.

***

---

(١) جنزبرج، مرجع سابق، مقدمة د. محمد خليفة، (ص٤١).

(٢) المرجع نفسه، (ص ٤١ - ٤٣).



المَبْحَثُ الثَّالِثُ

الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية

زخرت كتب التفاسير الإسلامية بالكثير من الإسرائيليات التي أدخلت عليها وخاصة فيما أوردته عن قصص الأنبياء وبداية الخلق وغيرها، ومن أهم التفاسير التي حوت كمًّا زاخرًا على تلك الإسرائيليات، تفسير مقاتل والطبري وابن كثير والخازن والثعلبي وغيرها.

مفهوم الإسرائيليات:

الإسرائيليات هي مجموع الأفكار الإسرائيلية التي وجدت طريقها إلى الأعمال التفسيرية الإسلامية المتمثلة في كتب التفسير وبعض أمهات كتب التاريخ عند المسلمين [١].

ولفظ الإسرائيليات جمع، مفرده (إسرائيلية) وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي [٢].

وفي اصطلاح علماء التفسير والحديث: هو كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما [٣].

وتوسع بعض المفسرين في معناها فأوردوا أن الإسرائيليات تشمل كل ما دسه

---

(١) لويس جنزبرج، قصص اليهود، مرجع سابق، مقدمة د. محمد خليفة حسن، (ص ٣٤).

(٢) سمير عبد العزيز شليوة، الدخيل والإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم، القاهرة ١٩٨٣م، (ص ١٤).

(٣) المرجع السابق، (ص١٥).

أعداء الإسلام من اليهود على التفسير والحديث بهدف إفساد عقائد المسلمين [١] .

أسباب دخول الإسرائيليات كتب التفسير الإسلامية:

كان العرب يغلب عليهم البداوة والأمية، وإذا ما تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنهم كانوا يسألون عنه أهل الكتاب، ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى، وأهل التوراة الذين عاشوا بين العرب يومئذ وكانوا بادية مثلهم، ولا يعرفون إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، وكان معظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال هؤلاء: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبدالله بن سلام، وغيرهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيجب فيها الصحة للعمل بها، وقد تساهل بعض المفسرين في مثل ذلك، وملئوا الكتب بهذه المنقولات، وأصلها – كما قلنا – عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد أن ذاع صيتهم، وعظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ... [٢] .

وترجع أسباب تسرب الإسرائيليات داخل كتب التفسير إلى الآتي:

١- اختلاط عرب الجاهلية بأهل الكتاب من اليهود الذين نزحوا إلى الجزيرة العربية منذ زمن بعيد في عهد المسيح عليه السلام.

٢- رحلات عرب الجاهلية بأغراض التجارة شرقًا وغربًا واختلاطهم بأهل الكتاب ومعظمهم كانوا يهودًا وكانوا ينشرون ثقافتهم إلى العرب.

---

(١) الذهبي: محمد السيد حسين ، الإسرائيليات في التفسير والحديث، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب السابع والثلاثون، ١٩٧١م، (ص١٩، ٢٠).

(٢) ابن خلدون، المقدمة، الباب السادس من الكتاب الأول: في العلوم وأصنافها، الفصل الخامس: في علوم القرآن من التفسير والقراءات.

٣- قلة ثقافة العرب الجاهلية وضآلة أفقهم قبل ظهور الإسلام جعلتهم يقبلون على الثقافة الوافدة عليهم.

٤- انتشار بعض طوائف اليهود وقت ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية؛ مثل بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وخيبر وغيرهم، الأمر الذي أدى إلى تبادل ثقافي بين اليهود والمسلمين بحكم الجوار، وكثيرًا ما كان اليهود يذهبون لرسول الله ﷺ ليحكم بينهم.

٥- دخول جماعات من علماء اليهود وأحبارهم في الإسلام مثل عبد الله بن سلام، وعبد الله بن صوريا، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه وغيرهم، وكان لهؤلاء ثقافتهم اليهودية الواسعة التي أوصلوها إلى المسلمين.

٦- تأثير الثقافة اليهودية في الثقافة الإسلامية وخاصة في علوم التاريخ الذي اهتم بأخبار بني إسرائيل وأنبيائهم مثلما جاء في كتابات الطبري وابن كثير، والرجوع إلى ما خفي تفصيله في القرآن الكريم.

٧- تأثير الثقافة اليهودية في بعض أفكار أهل الكلام والمذاهب الجدلية مثلما فعل ابن الأثير وأبو منصور البغدادي وغيرهما فيما رووه عن السبئية والمعتزلة.

٨- تأثر علماء التفسير بثقافة أهل الكتاب والذي وصل إلى حد كبير من التساهل والتسليم بما جاء عن أهل الكتاب [(١)] .

مراحل تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير والحديث:

مرت علوم التفسير والحديث بمرحلتين: الأولى: مرحلة الرواية، والثانية: مرحلة التدوين.

أولًا: مرحلة الرواية:

بدأت هذه المرحلة عن طريق حديث رسول الله ﷺ مع أصحابه حيث كان يفسر لهم كل ما يعن لهم من أمور خفيت عنهم، وهم بالتالي كانوا يبلغونها لإخوانهم ولمن

---

(١) الذهبي: محمد السيد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب السابع والثلاثون، ١٩٧١م، (ص ٢٣ – ٢٨).

تتلمذ عليهم من التابعين، وكان المفسرون والراوة أيام الصحابة يتحرون الدقة والصحة، ولا يقبلون إلا ما جاء عن رسول الله ﷺ مباشرة.

أما التابعون وتابعو التابعين فقد ظهر بينهم كثرة الوضع بسبب الفتنة وانقسام المسلمين إلى فرق منها شيعة وخوارج وأهل سنة، وتساهل البعض في وضع الأسانيد لكل ما هو مروي، وفي بعض الأحيان كانوا يحذفون السند.

ثانيًا: مرحلة التدوين:

بدأت مرحلة التدوين الرسمي على يد عمر بن عبد العزيز (١٠١ هـ) بهدف جمع الصحيح من حديث رسول الله ﷺ وما هو موقوف على الصحابة والتابعين في التفسير، وكان التفسير والحديث متلاحمين في مرحلتي الرواية والتدوين وكان التفسير بابًا من أبواب الحديث.

وكانت نفوس الصحابة تتوق إلى معرفة التفاصيل التي أجملها القرآن عن حياة الأنبياء وغيرهم، فكانوا يسألون أهل الكتاب على نطاق ضيق، ولا يقبلون منها إلا ما وافق الشرع الإسلامي، إلا أن التابعين أكثروا وتوسعوا في السؤال وسماع القصص والأعاجيب فحذفوا الأسانيد، ولم يتحروا الدقة، وأولعوا بالقصص اليهودية ونقلوا عنها الكثير، وكانت كثرة القصاص اليهود واستمالتهم العامة من الناس لها تأثير وسلطان على قلوبهم، وترجع مصادر الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية إلى عدد من علماء اليهود، الذين أسلموا، ومن أبرزهم:

عبدالله بن سلام [١] ، وكعب الأحبار [٢] ووهب بن منبه [٣] فكان ثلاثتهم مصدرًا

---

(١) اجتمع لعبد الله بن سلام علم التوراة وعلم القرآن ، واشتهر بالكثير من الروايات الإسرائيلية رواها عنه المفسرون في كتبهم (الذهبي: مرجع سابق، (ص ١١٥)).

(٢) أسلم كعب الأحبار في خلافة عمر ﷺ وصحب عمر، وشارك في غزو الروم، وروى عن كعب عدد من الصحابة منهم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير. وأخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وكان عندهم ثقة. وكان كعب يروي الإسرائيليات ولا يسندها للرسول (الذهبي، مرجع سابق، (ص ١٢٨ – ١٤٠)). وكان ابن كثير ينقد منها الكثير.

(٣) أكثر وهب بن منبه من رواية الإسرائيليات، قال ابن حجر: « وهب بن منبه الصنعاني من التابعين، وثّقه الجمهور، وقال النسائي ثقة، ويعتمده البخاري. وقال وهب: لقد قرأت ثلاثين كتابًا نزلت على ثلاثين نبيًا . =

رئيسًا للمفسرين الإسلاميين فيما رووه من إسرائيليات، وقد حدث غير واحد من كبار المفسرين بأن هؤلاء ثقة، وعلى الرغم من أنهم كانوا يرجعون إلى مصادرهم الإسرائيلية في أقوالهم، ولم ينسبوا أقوالهم لرسول الله ﷺ لكنهم كانوا وسطاء في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين، وفتحوا بها أبوابًا لبلبلة العقائد [١]. هذا وقد رجع عدد من أمهات التفاسير الإسلامية إلى الإسرائيليات وكان من أهمها تفسير الطبري حيث دخل فيه كثير من الإسرائيليات، وكان موقف الطبري منها متساهلًا إلى حدٍّ كبيرٍ فيما نقله عنهم، فكان في اعتماده للأحاديث التي يوردها أنه كان يترك الحكم للجمهور في مدى صحتها [٢].

ويأتي تفسير ابن كثير في الأهمية بعد تفسير الطبري حيث نقل ابن كثير من الإسرائيليات، إلا أنه تميز بنقده لها، وإحالتها إلى أصولها اليهودية، كما أنه لم يكن متساهلًا، بل كان ناقدًا ومبطلًا لها في أحايين كثيرة، وهو التفسير الذي اعتمدناه في دراستنا المتناولة في مجال المقارنة فيما رواه عن إدريس عليه السلام [٣]. وقد نتج عن الرجوع إلى القصص والروايات اليهودية ظهور عدد من التفاسير التي دخلت فيها كثير من الإسرائيليات تتضمن أساطير وخرافات ومنها تفسير الثعلبي وتفسير مقاتل والخازن وغيرها. وكان منهج المفسرين في جواز النقل عن الإسرائيليات أنهم يرجعونه إلى قول الله تعالى في سورة (يوسف/ ١١١): ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ

= (ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت. (٥/ ٥٤٣)) ومع هذا فقد واجه وهب اتهامات ونقدًا شديدًا من قبل بعض المفسرين الإسلاميين، بينما برأه آخرون من هذه التهم ومنهم الذهبي في كتابه (الإسرائيليات في التفسير والحديث)، أما ابن كثير فيذكر مروياته ويبين في بعضها ما جاء فيها من زيف وبطلان، على سبيل المثال تفسير الآية ١٥٨ من سورة الأنعام، والآية ٢٤٨ من سورة البقرة في تفسير ابن كثير.

(١) ربيع: آمال: الإسرائيليات في تفسير الطبري، مرجع سابق، (ص٤٨).

(٢) لمزيد من التفاصيل، ربيع: أمال، المرجع السابق، (ص١٤١ – ١٦٣).

(٣) من التفاسير الإسلامية الأخرى التي دخلت فيها كثير من الإسرائيليات، تفسير(لباب التأويل في معاني التنزيل) للخازن الذي كان ناقلًا للإسرائيليات غير ناقد، و(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للنسفي، وكان ينقدها أحيانًا وأحيانًا يذكرها دون تعقيب، وتفسير (أبي السعود)، وتفسير الثعالبي في كتابه (الكشف عن بيان تفسير القرآن) وقد احتوى كثيرًا من الإسرائيليات التي لا يصدقها عقل دون الحكم عليها أو تكذيبها، وغيرها.

حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾. حيث اعتمدوا على ذكر الروايات اليهودية من منطلق أخذ الاعتبار والموعظة منها وذلك في قوله تعالى (يوسف/ ٩٤): ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ .وكذلك حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري عن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا عليَّ، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** »[1] .

أبرز رواة الإسرائيليات من التابعين:

أشهر الذين أسلموا من أهل الكتاب عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب ابن منبه، وتميم الداري.

عبد الله بن سلام:

اجتمع لعبد الله بن سلام علم التوراة وعلم القرآن، واشتهر بالكثير من الروايات الإسرائيلية التي رواها عنه المفسرون في كتبهم.

كعب الأحبار:

أسلم كعب في خلافة عمر ﷺ وصحبه وشارك في غزو الروم، وفي رواية عن كعب أنه سُئل عن عدم إسلامه في عهد رسول الله ﷺ وسلم مع أنه أدركه فقال: « إن أبي كتب لي كتابًا من التوراة، ودفعه إلي وقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ علي بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر ولم أر بأسًا، قالت لي نفسي: لعل أباك غيب عنك علمًا كتمك فلو قرأته، ففضضت الخاتم، فقرأته فوجدت فيه صفة محمد وأمته، فجئت الآن مسلمًا »[2] – وتدل هذه الرواية على إقرار أحبار اليهود بصفات رسول الله ﷺ، وقد والى كعب، العباس عم النبي ﷺ[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، (٣٢٠٢) والترمذي في العلم، (٢٥٩٣).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، (٧/ ٤٤٥).

(٣) عبد العزيز عزت الخياط، اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس، أيلول، ٢٠٠٤م، دار المتقدمة للنشر، القاهرة، (١/ ٢٥).

وروى عن كعب عدد من الصحابة منهم: أبو هريرة، وعبدالله بن عمر، وعبدالله ابن الزبير. وأخرج له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وكان عندهم ثقة. فلما أسلم كعب في زمن عمر كان يتحدث بين يدي عمر بن الخطاب ﷺ بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر، تأليفًا له وتعجبًا مما عنده، مما يوافق كثير منه الحق الذي ورد به الشرع المطهر، فاستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأحبار، إلا أنه في كثير من الأحيان كان عمر بن الخطاب ﷺ يمنع كعبًا عن التحدث خوفًا من التشويش على عقائد العامة. ويذكر السدي عن كعب أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الإسرائيليات. لهذا ولما جاء من الإذن في التحديث عن بني إسرائيل، كان الكثيرون يقعون في غلط كبير وخطأ كثير، وكان كعب يروي الإسرائيليات ولا يسندها إلى الرسول ﷺ، ولكن يرويها على أنها من الإسرائيليات التي في كتبهم [١]. وكان ابن كثير ينقد منها الكثير [٢]. وقد روى البخاري في صحيحه عن معاوية أنه كان يقول في كعب الأحبار: « وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب، أي فيما ينقله، لا أنه يتعمد ذلك، والله أعلم » [٣].

وهب بن منبه:

أكثر وهب بن منبه من رواية الإسرائيليات، وعن توثيقه قال ابن حجر: « وهب ابن منبه الصنعاني من التابعين، وثقه الجمهور » وقال النسائي: « ثقة » ويعتمده البخاري.

وقال وهب: لقد قرأت ثلاثين كتابًا نزل على ثلاثين نبيًّا [٤].

ومع هذا فقد واجه وهب اتهامات وانتقادات من قبل بعض المفسرين الإسلاميين، بينما برأه آخرون من هذه التهم ومنهم الذهبي في كتابه (الإسرائيليات في التفسير والحديث) فيقول في دفاعه عن وهب بن منبه: « لا نقول إلا أنه رجل مظلوم من

---

(١) الذهبي، مرجع سابق،(١٢٨ – ١٤٠).
(٢) انظر تفسير الآية ١٠٢ من سورة الصافات والآية ٥٧ من سورة مريم في تفسير ابن كثير وغيرهما كثير.
(٣) تفسير ابن كثير، (١/ ١٨).
(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، (٥/ ٥٤٣).

متهميه، ومظلوم هو وكعب من أولئك الذين استغلوا شهرة الرجلين ومنزلتهما العلمية فنسبوا إليهما ما لا يصح عنهما، وشوهوا سمعتهما، وعرضوهما للنقد اللاذع والطعن المرير» [١]. وكان ابن كثير يذكر مرويات وهب ويبين في بعضها ما جاء فيها من زيف وبطلان [٢].

تميم الداري:

نصراني الأصل، كان محدثًا بارعًا وقاصًا ماهرًا، اشتهر بمعارفه النصرانية إلى جانب معارف أخرى مثل الملاحم وأخبار من سبق من الأمم [٣].

أما أشهر من عرف برواية الإسرائيليات من تابعي التابعين ولا يعتد بهم:

محمد بن السائب الكلبي:

أجمع المفسرون والرواة على ترك حديثه، وقالوا: ليس بثقة، واتهموه بالوضع وعدم إجازة الأخذ عنه. ويذكر مؤلف أبجد العلوم عن كعب الأحبار أن (أوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح، فإن انضم إليه رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب، وكذلك طريق مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي إلا أن الكلبي يفضل عليه) [٤].

عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج:

رومي نصراني، أول من صنف الكتب في الحجاز من طبقة مالك بن أنس ممن جمعوا الحديث ودونوه، لم يظفر بإجماع العلماء على توثيقه، فمنهم من صدقه ومنهم من كذبه، قال ابن حبان: كان من فقهاء أهل الحجاز وقرائهم ومتقنيهم وكان يدلس [٥].

---

(١) الذهبي، (ص ١٤٣).

(٢) انظر تفسير الآية ١٥٨ من سورة الأنعام، والآية ٢٤٨ من سورة البقرة في تفسير ابن كثير.

(٣) الذهبي، مرجع سابق، (١١٥ - ١٢٤).

(٤) القنوجي: صديق حسن خان، أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، تحقيق عبد الجبار زكار، (٢/ ١٧٩).

(٥) المزي: أبو الحجاج: يوسف بن الزكي عبد الرحمن، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، ط ١، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، تحقيق بشار عواد، (١٨/ ٣٣٨، ٣٣٩).

هذا وقد أدخل عدد من المفسرين بعض الإسرائيليات في كتبهم إلا أنه يلاحظ أنهم انقسموا في تناولهم لها إلى:

١- كتب يعرض مؤلفوها كل ما عندهم من إسرائيليات سواء كان مقبولًا أو غير مقبول لكنهم يسندون إلى رواته إسنادًا تامًّا عملًا بقاعدة (من أسند لك فقد حملك).

٢- كتب تعرض إسرائيليات وترويها بأسانيدها ثم يتعقبونها بالنقد لكشف حقيقتها.

٣- كتب تعرض للإسرائيليات كل ما عندها، ولا تستند إلى شيء من مصادرها، ولا تعقب بنقدها، وتسلم على ما فيها، ولا تشير إلى كونها من الإسرائيليات.

٤- كتب تذكر الإسرائيليات ولا تسندها، وأحيانًا تشير إلى ضعف ما ترويه.

٥- كتب تحمل حملة شعواء على من سبقهم من المفسرين الذين أطلقوا الإسرائيليات حتى ولو كانوا من خيار الصحابة أو التابعين.

٦- كتب تكتفي بذكر أنها من الإسرائيليات ولا تسندها.

وتعد كتب التفسير مرجعًا مهمًّا لكل مسلم يريد أن يتعرف على شروح وتفسير القرآن الكريم وآياته، وتقع على كُتابها مسؤولية أمانة تأويل القرآن وشرحه؛ لذا فإن تحري كل الدقة والحرص مطلب مهم وضروري حتى لا يختلط على دارسها أمر من الأمور صغر أو كبر، وتلك مهمة تقع على عاتق كل دارس مسلم وكل مدقق ومحقق من علماء المسلمين جميعًا لإرجاع كل كلمة فيها إلى أصلها الصحيح في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

أدلة جواز الأخذ من أهل الكتاب:

أولًا: أدلة القرآن:

يجيز القرآن التحدث عن أهل الكتب السابقة بهدف الاعتبار بقول الله تعالى في سورة (طه/ ٩٩): ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾.

وقوله تعالى في سورة (يونس/ ٩٤): ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ وقوله تعالى

في سورة (يوسف/ ٣) [١] : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ وقوله تعالى في سورة (يوسف / ١١١): ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فنستدل من الآيات السابقة جواز التحدث عنهم بما نقطع بصدقه بهدف العظة والعبرة وبما حدث به القرآن الكريم.

ثانيًا: السنة النبوية:

إن جواز قبول الإسرائيليات في النصوص الإسلامية يقتضي العمل بمنهج رسول الله ﷺ الذي يتمشى مع قوله ﷺ: « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله ورسله، فإن كان باطلًا لم تصدقوه وإن كان حقًّا لم تكذبوه** » [٢]. وقوله ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا علي، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** » [٣]. وبلاغ الرسول ﷺ بذلك إنما يؤكد به عدة مسائل هي:

١- تأكيد المبدأ الإسلامي بتصديقه الكتب السابقة وإيمانه بها وبالأنبياء والرسل جميعًا.

٢- أن المسلم صحيح العقيدة ثابت الإيمان، يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل، ولا تزعزعه الأهواء.

٣- ثقة الرسول ﷺ في أمته واطمئنانه بما بلغه فيهم من علم وخلق طيب وسماحة فطرية.

٤- من يحيد عن الحق وسنة رسوله فلا بد له من العقاب المنتظر.

ثالثًا: ما رواه صحابة رسول الله ﷺ في جواز الأخذ بقول أهل الكتاب:

روى أبو هريرة وابن عباس، وعبدالله بن عمرو وعبدالله بن سلام كثيرًا من

---

(١) قصة يوسف عليه السلام مذكورة في سفر التكوين الإصحاح (٣٧) وما بعده.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في العلم، (٣١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في أحاديث الأنبياء، (٣٢٠٢).

الإسرائيليات عن كعب الأحبار ووهب بن منبه وفي هذا دليل قاطع على جواز الرواية عنهم يضاف إلى أدلة الكتاب والسنة.

والحكم الذي ينبغي أن يحتذيه كاتب الإسرائيليات هو:

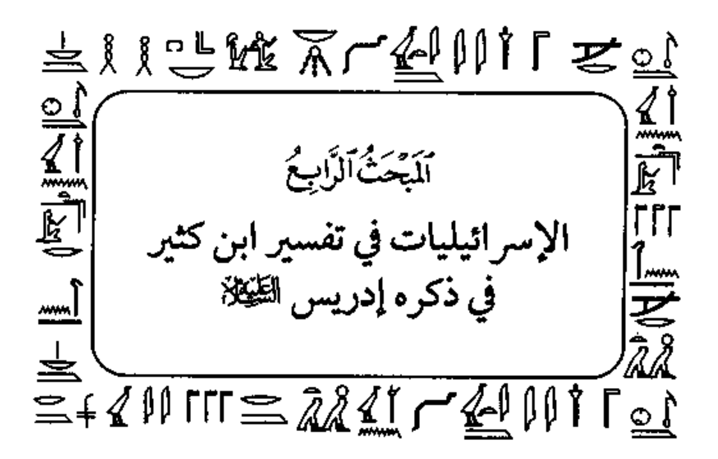
١ - تلقي الإسرائيليات بكل حرص وحذر وتفسيرها بدقة وروية.

٢ - إذا تيقن المتلقي من توافق الرواية مع شرع الإسلام فإنه يصدقها.

٣ - إن كانت مخالفة للشرع الإسلامي معارضة للقرآن أو السنة ردت.

٤ - إن كانت مسكوتًا عنها في شرعنا وتقع بين الصدق والكذب فيتوقف فيه.

* * *



المَبحثُ الرَّابعُ

الإسرائيليات في تفسير ابن كثير في ذكره إدريس عليه السلام

ابن كثير هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، البصري، الدمشقي المفسر المحدث والفقيه الشافعي.

من أشهر المفسرين وأشهر كتبه كتابه في تفسير القرآن، وهو الكتاب الثاني بعد تفسير الطبري، والذي تناول فيه كثيرًا من الإسرائيليات. وابن كثير مفسر ومؤرخ يمتاز بالتنبيه على ما في التفسير من الإسرائيليات ومنكراتها، وكان محدثًا بارعًا يتوخى الصحة وينبه على الإسرائيليات التي لا أصل لها، وكان له قوة النقد للمأثورات.

ويتميز كتاب ابن كثير في تفسير القرآن العظيم بما يلي:

١- جمعه الآيات المتماثلة وإحصائها عدًّا وإبانة الأسرار الدقيقة في تناسقها وانسجام ألفاظها، وتساوق أساليبها وعظمة معانيها.

٢- جمعه كثيرًا من الأحاديث والأخبار والروايات وأقوال الصحابة والتابعين، مبينًا غالبًا درجة الأحاديث والروايات المأثورة من حيث الصحة والضعف ونقد السند من علم الجرح والتعديل.

٣- كثرة المصادر التي ذكرها من كتب السنة والتفسير، والإكثار من النقل عنها.

٤- ذكر الطرق المختلفة للحديث.

٥- ذكر المواضع المتعددة للحديث في الكتاب الواحد.

٦- عدم الاكتفاء بحديث أو اثنين في الموضع الواحد.

٧- تحذيره المتكرر من الإسرائيليات والروايات المضطربة في التفسير والحديث، ونقده لها.

٨- تأخره زمنيًا - إذ عاش في القرن الثامن الهجري - مما وفر تحت يديه عددًا هائلًا من المراجع والمصادر في التفسير والحديث، وهذا ما لم يكن متوفرًا لغيره من المفسرين قبله [١].

٩- كان يعتمد في مصادره النقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وعن أهل اللغة والشروح.

١٠- يعتمد في مصادره من الكتب على الكتب المقدسة (القرآن الكريم، والتوراة من نسختين، والإنجيل)، ويعتمد في التفسير وعلوم القرآن على كثير من كتب التفسير، منها: تفسير الطبري وابن أبي حاتم، والأصبهاني، والبغوي، وابن تيمية، والرازي، والزمخشري، وابن الجوزي وغيرهم من أئمة المفسرين. وكان أكثر اعتماده على تفاسير الطبري وابن أبي حاتم لما تحتويه هذه الكتب من كم هائل من الأحاديث والأخبار عن السلف الصالح، وهو يلائم منهجه المعتمد على منهج التفسير بالمأثور.

ومصادره في الحديث كثيرة جدًّا تبلغ واحدًا وسبعين مصدرًا، منها خمسة عشر مسندًا، وتسعة كتب من السنن وشرح البخاري ومسلم وكتب الصحاح والمستخرجات والمستدركات والجوامع والمعاجم والمطولات وغيرها، وأهمية هذه المصادر ترجع إلى أن كثيرًا منها قد فقد، حيث خلف لنا كتابه في التفسير آراء قيمة في علم الجرح والتعديل ونقد الحديث، كذلك مصادره في الفقه وأصوله كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها [٢].

منهج ابن كثير في النقل عن الإسرائيليات:

كان ابن كثير يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة النبوية، ثم بأقوال الصحابة، ثم التابعين، وتابعي التابعين، وفي الغالبية العظمى فإن النصوص التي ينقلها عن

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مقدمة التحقيق، (ص ٧).

(٢) راجع: ابن كثير، التفسير، مكتبة أولاد الشيخ، مقدمة التحقيق، (١/ ٣٢ - ٥٢).

الإسرائيليات كان يبين مدى صحتها وضعفها، ويظهر لنا هذا بقوله في مقدمة تاريخه البداية والنهاية[1]: « لسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه ». وقد أظهر ابن كثير أن في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة الكفاية، وخاصة فيما يخص القصص الخاص بالأمم والأنبياء السابقين، وأن ما هو مسكوت عنه فيها، إنما يحكى للاعتبار فقط فيؤكد: « إنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ما صح نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه، والله المستعان ».

ويستشهد ابن كثير في الرجوع لأهل الكتاب بقول الله تعالى في كتابه الكريم في سورة (طه/ ٩٩): ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ .

فيقول: « لقد قص الله على نبيه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات، وذكر الأمم الماضين، وكيف فعل بأوليائه، وماذا أحل بأعدائه، وبين ذلك رسول الله ﷺ لأمته بيانًا شافيًا؛ فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه، ويتراجم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب، مما لا فائدة فيه لكثير من الناس إليه ».

وعن نقل العلماء لتلك الإسرائيليات يذكر ابن كثير هذا الأمر فيقول: « وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا، ولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا، وما خالفه فوقع فيه الإنكار ».

ويستشهد ابن كثير في إمكانية النقل عن الإسرائيليات بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عمرو بن العاص ﷺ عنه أن رسول الله ﷺ : « **بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا علي، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار** »[2] فيقول: « إن هذا الحديث محمول على

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، دار الغد العربي، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة ١٩٩٠م، المقدمة.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في أحاديث الأنبياء، (٣٢٠٢).

الإسرائيليات المسكوت عنها، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها فيجوز روايتها، (للاعتبار)، وهذا هو الذي نستعمل في كتابنا هذا ».

ويؤكد على ذلك المنهج بقوله:

- فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا.

- وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال.

- ويقول ابن كثير: « وإن كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخلط وكذب، ووضع وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير».

- والمحتاج إليه قد بينه لنا رسولنا وشرحه وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، فيستشهد بقول رسول الله ﷺ: « **كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله** » [1] .

و قال أبو ذر: « لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا » [2] .

كيفية تعامل ابن كثير مع الإسرائيليات:

يمكننا تصنيف الروايات الإسرائيلية لدى ابن كثير من حيث تعامله معها إلى:

١ - إسرائيليات ينوه إليها عند المفسرين ولا ينقلها وينتقدها بشدة مبينًا غرابتها، ومثال على ذلك قوله في التفسير: « ها هنا أثر طويل فيه غرائب وعجائب عن محمد ابن إسحاق بن يسار، وكأنه تلقاه من الإسرائيليات والله أعلم » [3] .

(١) أخرجه الترمذي في سننه في فضائل القرآن، (٢٨٣١).

(٢) الأثر أخرجه أحمد في مسنده، (٥/ ١٥٣).

(٣) تفسير ابن كثير، (٢/ ٢٤٦).

وأحيانًا يقول: « قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه »[١].

وهذا مما يدل على حرص ابن كثير على التنبيه على تلك الروايات وعلى كونها من الإسرائيليات التي يجب الحذر منها.

٢- إسرائيليات ينقلها ابن كثير عن المفسرين ثم يبين غرابتها، وكونها من الإسرائيليات، وانتقاده للمفسرين. فيقول مثلًا ناقدًا كعب الأحبار عند رواية إسرائيليات شديدة الغرابة:

« وهذا الذي أنكره معاوية ﷺ عنه على كعب الأحبار هو الصواب، والحق مع معاوية في ذلك الإنكار، فإن معاوية كان يقول عن كعب: (إن كنا لنبلو عليه الكذب يعني ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس في صحفه، ولكن الشأن في صحفه أنها من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى شيء منها بالكلية، فإنه دخل منها على الناس شر كثير، وفساد عريض) »[٢].

وأحيانًا ينتقد ابن كثير بشدة إسرائيليات مروية عن بعض التابعين، مثل: سعيد ابن المسيب وعكرمة والقرظي، فكان يعقب على قولهم بقوله:

« فإن هذا من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم؛ ليختبروا عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك »[٣].

وأحيانًا كان ابن كثير يورد في كتابه (البداية والنهاية) بعض الإسرائيليات، وينبه عليها، ثم يوردها في كتابه في التفسير، فيقول مثلًا: « ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ها هنا آثارًا كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة، وقد نبهنا على ذلك، واقتصرنا ها هنا على مجرد التلاوة »[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير، (٤/ ٣٢). (٢) نفسه، (٣/ ١٠٢).

(٣) مقدمة تفسير ابن كثير، المحققون، طبعة مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠٠م، (ص ٣١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦).

٣- إسرائيليات ينقلها عن المفسرين ويخبر مجرد إخبار عن كونها من الإسرائيليات. فمثلًا يقول: « ذكروا في الإسرائيليات » [١] ويقول: « فيه غرابة وهو من الإسرائيليات » [٢] ويقول: « وهو محمول إن صح نقله عنه على أنه أخذه ابن عباس ﷺ عن الإسرائيليات والله أعلم » [٣].

٤- إسرائيليات ذكرها ولم ينوه عنها أنها إسرائيليات، وهي قليلة.

ومع هذا فإن ابن كثير هو خير من كثير من المفسرين الذين وقعوا في براثن الإسرائيليات التي سلموا بصحتها دون نقدها، أمثال مقاتل بن سليمان [٤].

وأيضًا الثعلبي في تفسيره المسمى (الكشف عن بيان تفسير القرآن) حيث تضمن الكثير من الأكاذيب والخرافات التي لا يصدقها عقل دون أن يتعقبها ببيان اختلاقها وكذبها، كذلك الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل وهو يشمل الكثير أيضًا من القصص الإسرائيلية الخرافية التي لا سند لها ولا شرع، ولا ينقدها [٥].

إدريس ﷺ في تفسير ابن كثير:

يرجع ابن كثير في ذكره إدريس ﷺ إلى روايات أحبار وقصاصي اليهود الذين أسلموا، وإلى بعض الإسرائيليات في التفاسير التي سبقته مثل الطبري، لكنه كان على حذر شديد في استخدامها، وكان تصنيفه لها غالبًا ما يتبعه النقد، فيبين غرابتها وإنكاره لها.

والروايات التي وردت في تفسير ابن كثير عن إدريس ﷺ أورد منها الثناء عليه، استنادًا إلى ما جاء في القرآن الكريم بأنه كان صديقًا نبيًّا، وأن الله رفعه مكانًا عليًّا، فيذكر ابن كثير حديث المعراج لرسول الله ﷺ وأنه قابله في السماء الرابعة [٦].

ويذكر ابن كثير في قول الله تعالى في سورة (مريم/ ٥٦، ٥٧): ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ

---

(١) تفسير ابن كثير، (١/ ٣٠٤). (٢) نفسه، (٢/ ٥١). (٣) نفسه، (١/ ٢١).

(٤) تفسير مقاتل، نشرته دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، تحقيق أحمد فريد .وقد قام المرحوم الدكتور عبدالله شحاتة بتحقيقه كاملًا، ولم ينشر بعد.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١/ ٦).

(٦) أخرجه البخاري في بدء الخلق، (٢٩٦٨) ومسلم في الإيمان، (٢٤٣).

إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ روايات عدة، تحوي خطابات بين الملائكة وإدريس ﷺ، فيذكر قول كعب الأحبار في إدريس ﷺ: إن الله أوحى إليه، أني أرفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب إدريس ﷺ أن يزداد عملًا، فأتاه خليل له من الملائكة فقال له: إن الله أوحى إلي كذا وكذا، فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملًا، فحمله بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدرًا، فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس ﷺ، فقال (أي ملك الموت): وأين إدريس ﷺ؟. فقال (الملك): هو ذا على ظهري. قال ملك الموت: العجب ! بعثت وقيل لي: اقبض روح إدريس ﷺ في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض، فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تعالى في سورة (مريم/ ٥٧): ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾».

وهنا يذكر ابن كثير نقده لتلك الرواية فيقول: « هذا من أخبار كعب الأحبار في الإسرائيليات، وفى بعضه نكارة » [(١)].

ويذكر رواية أخرى لابن أبي حاتم عن ابن عباس، أنه سأل كعبًا، فذكر نحو ما تقدم، غير أن إدريس ﷺ قال لذلك الملك: هل لك أن تسأله (يعني ملك الموت) كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل؟ وذكر باقيه، وفيه أنه لما سأله الملك عما بقي من أجله، قال: لا أدري حتى أنظر، فنظر ثم قال: إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك تحت جناحه فإذا هو قد قبض ﷺ وهو لا يشعر به [(٢)].

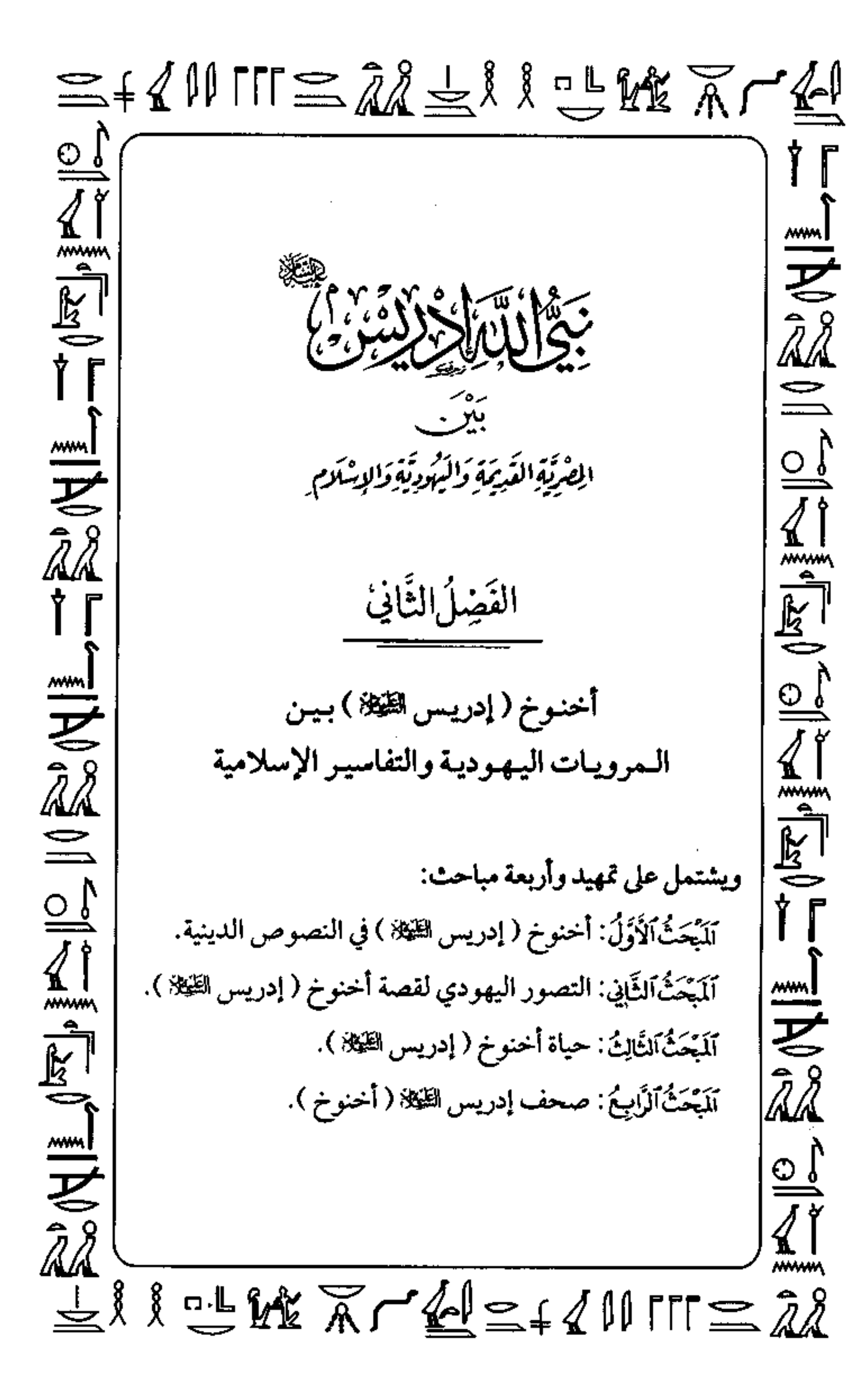
وفى بيان نهج ابن كثير في ذكره للرواية الإسرائيلية، وهو العلامة، وحجة المفسرين، وإمام الرواة والمحققين، فعلى الرغم من تأكيده أنها من الإسرائيليات - ومع تسليمنا بأن القصد من سرد تلك الروايات هو الوعظ والاعتبار- إلا أن تنقية التفاسير الإسلامية منها أسلم؛ خاصة لأنه ليس لها سند في القرآن والسنة، وذلك تجنبًا لتدخلات بعض المغرضين الذين لا يتوانون عن استغلال أي منفذ للهجوم ومحاولات زعزعة الإيمان. ولا يكفي ذكر ابن كثير أنها من الإسرائيليات، أو الإشارة

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن، (٣/ ١٢٧).
(٢) المرجع نفسه.

أن بها مبالغات، أو أن بها نكارة؛ وذلك لأن كتب تفاسير هؤلاء العلماء الأوائل هي أمهات الكتب والتفاسير الباقية على طول الأجيال القادمة، ومهمة التنقيب وتنقية التفاسير الإسلامية من الإسرائيليات هي دور المحققين المعاصرين، والباحثين الذين يقع على عاتقهم مهمة تصحيح المفاهيم والقواعد، طبقًا لما ورد في القرآن والسنة الشريفة.

***



الفصل الثاني

أخنوخ (إدريس عليه السلام) بين المرويات اليهودية والتفاسير الإسلامية

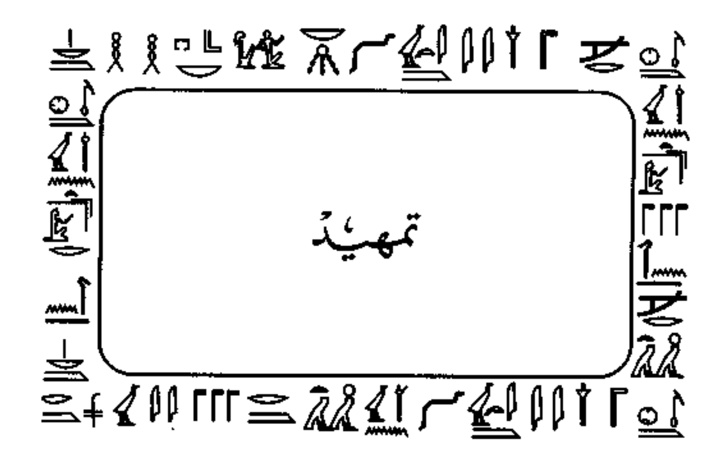
ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: أخنوخ (إدريس عليه السلام) في النصوص الدينية.

المبحث الثاني: التصور اليهودي لقصة أخنوخ (إدريس عليه السلام).

المبحث الثالث: حياة أخنوخ (إدريس عليه السلام).

المبحث الرابع: صحف إدريس عليه السلام (أخنوخ).



ورد ذكر

أخنوخ (إدريس عليه السلام)

في النصوص المقدسة - سواء في

اليهودية في الكتاب المقدس أو في

الإسلام في القرآن الكريم - باعتباره نبيًّا

يتميز بمكانة سامية بين الأنبياء، فهو

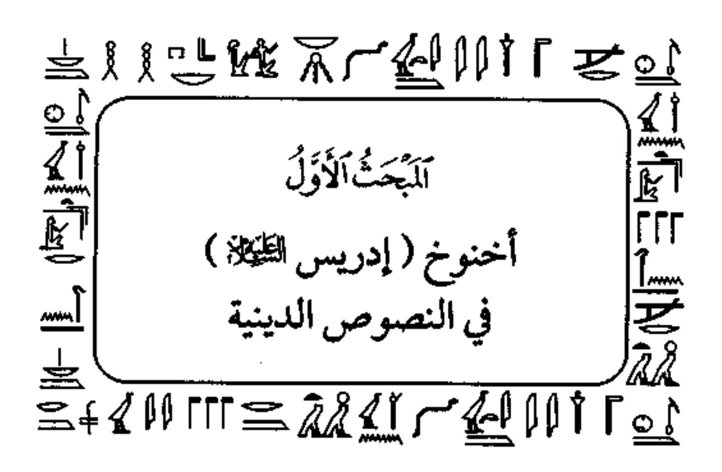
الذي سار مع الله في اليهودية، كذلك

ما ورد في حقهِ عليه السلام في القرآن

والأحاديث النبوية

الشريفة.

***



أولًا: أخنوخ في العهد القديم (التوراة):

ورد ذكر نسب أخنوخ [1] في العهد القديم في سفر التكوين في الإصحاح الخامس، الفقرات (١٨ – ٢٥) منه، حيث جاء فيه:

وعاش يارد مئة واثنتين وستين سنة، وولد أخنوخ، وعاش يارد بعد ما ولد أخنوخ ثماني مئة سنة، وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام يارد تسع مئة واثنتين وستين سنة ومات، وعاش أخنوخ خمسًا وستين سنة وولد متوشالح، وسار أخنوخ مع الله بعد ما ولد متوشالح ثلاث مئة سنة، وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة وخمسًا وستين سنة، وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه، وعاش متوشالح مئة وسبعًا وثمانين سنة، وولد لامك.

ويلاحظ لفظ التوراة (الله أخذه) قال الشراح اليهود: أي إلى السماء، وهي تقابل تأويل المسلمين برفعه إلى مكانٍ عليٍّ فقالوا إلى السماء.

---

(١) لفظ الاسم في الأصل العبري (حنوك) ومعناه (مكرس) أو (محنك) ويترجم في العربية. وهو ابن يارد وأبو متوشالح (تكوين ٥/ ١٨ – ٢١) وهو السابع من آدم. ويفسر كاتب الرسالة إلى العبرانيين بأن الله نقله لكي لا يرى الموت. وفي رسالة يهوذا (١٤، ١٥) أن أخنوخ تنبأ عن القضاء الذي يحل بالأشرار وهو من الأسفار غير القانونية، قاموس الكتاب المقدس، (ص ٣٢).

أخنوخ في سفر يشوع بن سيراخ:

يقول سفر يشوع بن سيراخ في مديح الآباء والرجال النجباء - وهو من الأسفار اليهودية غير القانونية - فيما جاء عن أخنوخ [(١)]: « أخنوخ أرضى الرب، فنقل، وسينادي الأجيال إلى التوبة». كما جاء: « لم يخلق على الأرض أحد مثل أخنوخ الذي نقل عن الأرض » [(٢)].

ثانيًا: أخنوخ في العهد الجديد (الإنجيل):

ورد في الإنجيل عن أخنوخ في رسالة يهوذا [(٣)]: (وتنبأ عن هؤلاء أيضًا أخنوخ السابع من آدم قائلًا: هو ذا قد جاء الرب في ربوات قديسية ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى

---

(١) الإصحاح (٤٤/ ١٦). وسفر يشوع بن سيراخ هو أحد أسفار الأبوكريفا (الأسفار غير القانونية)، وجد منه نسخة في الأصل العبراني في مصر القديمة، سنة ١٨٩٦م، ويرجع إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر الميلادي، وكتب نحو سنة (١٩٠ - ١٧٠ ق.م) في فلسطين، ويشبه في خط تأليفه أمثال سليمان (قاموس الكتاب المقدس، ص ١٠٧١).

(٢) يشوع بن سيراخ، الإصحاح (٤٩/ ١٦).

(٣) رسالة يهوذا هي أحد أسفار العهد الجديد التي تصنف ضمن رسائل الكاثوليك التي يعتقد أن كاتبها هو يهوذا أخو يعقوب، وهو يدعى لبياوس وتداوس، وهو ليس الإسخريوطي. والرسالة عبارة عن نبذة دينية جدلية كتبت في النصف الثاني من القرن الأول، والمقصود بها تحذير المؤمنين من المعلمين المضلين، الذين ظهروا في الكنيسة في عصر الرسل، وكانوا يعتقدون أن الخلاص بالمعرفة دون الإيمان، وفصلوا الروح عن المادة. وفي هذه الرسالة شاهدان لا نجدهما في موضع آخر من الكتاب المقدس، وهما:

١- شجار ميخائيل وإبليس بخصوص جسد موسى، يقول النص: (وأما ميخائيل رئيس الملائكة، فلما خاصم إبليس محاجًّا عن جسد موسى، لم يجسر أن يورد حكم افتراء، بل قال: لينتهرك الرب) (يهوذا: ٩).

٢- نبوة أخنوخ بخصوص مجيء الرب، والنص: (وتنبأ عن هؤلاء أيضًا أخنوخ السابع من آدم قائلًا: هو ذا قد جاء الرب في ربوات قديسية، ليصنع دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها، وعلى جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار، هؤلاء هم مدمدمون متشكون سالكون بحسب شهواتهم، وفمهم يتكلم بعظائم، يحابون بالوجوه من أجل المنفعة) (يهوذا ١٤ - ١٦).

راجع: قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق (ص ١٠٩٢).

جميع الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطاة فجار، هؤلاء هم مدمدمون متشكون، سالكون بحسب شهواتهم، وفمهم يتكلم بعظائم، يحابون بالوجوه من أجل المنفعة) [١] .

وجاء في رسالة العبرانيين قول بولس الرسول في أخنوخ: « بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله » [٢] .

ومعظم المفسرين والآباء يقولون بأن الله حجبه عن الناس وأنه لم يمت، كما يلاحظ أن محتويات سفر أخنوخ قد دخل في صياغة كثير من نصوص العهد الجديد، طبقًا لما ذكره سهيل زكار في كتابه، (المحذوف من التوراة) [٣] .

ثالثًا: إدريس عليه السلام في القرآن الكريم:

جاء ذكر إدريس عليه السلام في القرآن الكريم في سورتي مريم والأنبياء فجاء قوله تعالى في سورة (مريم/ ٥٦-٥٨):﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ﴾ حيث خصه الله تعالى بالنبوة والصديقية وعلو المكانة والصبر والصلاح.

وجاء في شرح الطبري لقول الله تعالى في سورة (مريم/ ٥٦): ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ يذكر الله عز وجل أنه كان صديقًا لا يقول الكذب، ونبيًّا نوحي إليه من أمرنا ما نشاء.

وقال الرازي في تفسيره لفظ صديق: « لا مرتبة بعد النبوة في الفضل والعلم إلا هذا الوصف، وهو كون الإنسان صديقًا، وتدل الآية على ترقية من الصديقية إلى النبوة » [٤] وفي قوله تعالى في سورة (مريم/ ٥٧): ﴿ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ أي أن الله رفعه

---

(١) رسالة يهوذا فقرات (١٤ – ١٦).

(٢) رسالة العبرانيين (١١/ ٥).

(٣) انظر زكار في كتابه (المحذوف من التوراة)، المقارنة بين إصحاحات أخنوخ وإصحاحات العهد الجديد (ص ٣٢ – ٣٧).

(٤) الرازي، التفسير، (ص ٥٠)، (٨/ ٣٠).

وهو حي إلى السماء الرابعة، ويعني إلى مكان ذي علو وارتفاع، وقال بعضهم: رفع إلى السماء السادسة، وقال آخرون أنه رفع منزلة.

وفى تفسير الرازي قوله تعالى في سورة (مريم/ ٥٧): ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه قولان:

الأول: أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، حيث شرفه الله بالنبوة، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب.

والثاني: أن الرفعة في المكان إلى موضع عال قال: « وهذا أولى » فتكون الرفعة في المكان لا في الدرجة، ثم اختلفوا، فقال بعضهم أن الله رفعه إلى السماء والى الجنة وهو حي لم يمت، وقال آخرون: « بل رفع إلى السماء وقبض روحه فيها » [(١)].

وجاء في تفسير النسفي: (رفعته الملائكة إلى السماء الرابعة، وقد رآه النبي ﷺ ليلة المعراج فيها) [(٢)].

ويقول محيي الدين بن عربي في كتابه (فصوص الحكم): « العلو نسبتان: علو مكان، وعلو مكانة، فعلو المكان: ذكر في قوله تعالى في سورة (مريم/ ٥٧): ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، وأعلى الأمكنة؛ المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك، وهو فلك الشمس – فجعل ﴿عَلِيًّا﴾ نعتًا للمكان – والعمل يطلب المكان، والعلم يطلب المكانة، فجمع بين الرفعتين: علو المكان بالعمل، وعلو المكانة بالعلم، والمكانة هي المنزلة [(٣)]، فيدل المعنى على أن إدريس عليه السلام جمع بين العمل والعلم ».

قال البيضاوي في تفسير آية إدريس عليه السلام في قوله تعالى في سورة (مريم/ ٥٧): ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، يعني شرف النبوة والزلفى عند الله، وقيل: الجنة، وقيل: السماء السادسة والرابعة » [(٤)].

---

(١) تفسير الرازي، (٢١/ ١٩٩).

(٢) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م ، تحقيق: مروان الشعار، (ص ١٦٩، ١٧٠).

(٣) ابن عربي، فصوص الحكم، دار الفكر العربي، (١/ ٧٥، ٧٦).

(٤) البيضاوي، التفسير، دار الفكر، بيروت، (٤/ ٢٢).

وقد أكد حديث المعراج أن إدريس عليه السلام في السماء الرابعة، حيث وجده رسول الله ﷺ [(١)] .

وجاء ذكره عليه السلام في سورة (الأنبياء/ ٨٥-٨٦) قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، حيث خصه المولى ﷻ بصفة الصبر على شدائد وقته، وجهاده في تقويم أهل زمانه.

وفى تفسير الطبري لقوله تعالى في سورة (مريم/ ٥٨): ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ : يذكر أن الذي عنى به من ذرية آدم، إدريس عليه السلام، وفي تفسير الرازي لهذه الآية يقول: ويذكر أن الذي يختص بأنه من ذرية آدم دون من حمل مع نوح هو إدريس عليه السلام [(٢)] .

رابعًا: إدريس عليه السلام في السنة النبوية:

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنه وغيره عددًا من الروايات عن إدريس عليه السلام، وكان يرجع في رواياته إلى أهل الكتاب الذين أسلموا، فيأخذ عنهم بحكم اتفاق القرآن مع التوراة أو الإنجيل في كثير من المواضع الواردة في القرآن وفصلت في التوراة والإنجيل، وهذا الموافق للقرآن هو من بقايا الوحي كما سبق وأشرنا.

وقد اتهم المستشرق اليهودي جولد زيهر وتبعه أحمد أمين عبدالله بن عباس وغيره من الصحابة في تساهلهم في الأخذ من كعب الأحبار وعبدالله بن سلام وغيرهما، ولهذا فقد قام عدد من العلماء بالرد على هذا الاتهام الموجه، ومنهم الذهبي في كتابه (الإسرائيليات في التفسير)؛ حيث قال: « إن هذا الاتهام بعيد كل البعد عن الحق والصواب، فابن عباس وغيره من الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن شيء يتصل بالعقيدة أو بأصل من أصول الدين، بل كانوا يسألونهم عن تفاصيل لبعض القصص والأخبار الماضية، ولا يقبلون منها إلا ما اتفق مع الدين والعقل، وما خالف ذلك نبذوه، وتوقفوا فيما سكت عنه القرآن » [(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٢٩٦٨) والمناقب (٣٥٩٨) ومسلم في الإيمان (٢٣٤).

(٢) الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، (٢١/ ٢٠٠).

(٣) الذهبي: محمد السيد حسين، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مرجع سابق، (ص ١٠٣).

ومن الاتهامات التي وجهها جولد زيهر للصحابي الجليل ابن عباس – حسب ما أورد الذهبي – أنه كان لا يقتصر في سؤاله لأهل الكتاب على المسائل الإنجيلية أو الإسرائيلية، بل كان يتجاوز ذلك فيسألهم عن التفسير الصحيح لأم القرآن.

وردًا على ذلك يقول الذهبي: « وكيف يعقل أن يكون ابن عباس وهو ترجمان القرآن، ومن دعا له رسول الله ﷺ بقوله: **« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »** [(١)]. وابن العباس هو الذي أثنى عليه علي بن أبي طالب ﷺ بقوله: « كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » [(٢)] وقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: « ابن عباس أعلم أمة محمد بما نزل على محمد » [(٣)] أن يرجع إلى رجل يهودي دخيل على العرب في لفظ عربي ورد في كتاب الله وفي سنة رسوله، ولو أننا رجعنا إلى الروايات الواردة في ذلك ونقدناها على طريقة المحدثين في نقد الحديث لوجدناها معلولة الأسانيد [(٤)] .

وبالبحث في السنة النبوية في الأحاديث التي وردت في حق إدريس عليه السلام، وبعد استقراء طويل لم نجد إلا حديثين:

الأول: حديث الإسراء ومقابلة النبي ﷺ إدريس عليه السلام في السماء الرابعة [(٥)] .

والثاني: حديث ابن حبان حيث يذكر في صحيحه أن أبا ذر سأل النبي ﷺ: كم كتابًا أنزله الله قال: **« مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسون صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثون صحيفة.... يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيت ونوح وأخنوخ وهو إدريس عليه السلام، وهو أول من خط بالقلم، وأربعة من العرب هود**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٦٦)، وذكره الألباني في الصحيحة (٦/ ١٧٣).

(٢) ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م، (١/ ٤١). وابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمري (٤٤/ ٩٦).

(٣) ابن حجر: أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م، (٥/ ٢٤٤). وذكره بنحوه السيوطي: جلال الدين، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، (١/ ٣٨٥).

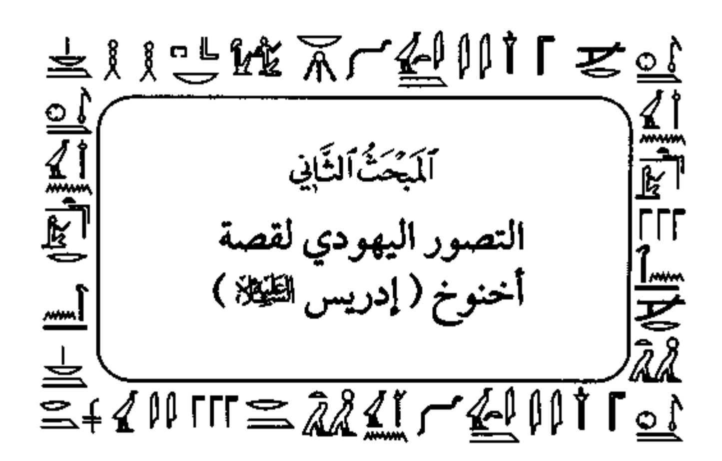
(٤) الذهبي، مرجع سابق، (ص ١٠٤، ١٠٥).

(٥) سبق تخريجه.

وصالح وشعيب ونبيك محمد ﷺ يا أبا ذر »[١] وكل ما روي سوى ذلك من آثار لا يرقى أحدها إلى درجة الحديثية.

* * *

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٢/ ٧٧).



المَبحَثُ الثَّاني

التصور اليهودي لقصة أخنوخ (إدريس عليه السلام)

كان مؤلفو الروايات من اليهود يبحثون عن شخصيات تاريخية شهيرة، فيستدعون ميراث شخصيات التاريخ المقدس ويكتبون فيه، وكانوا يعدون أنفسهم ورثة لتلك الشخصيات المقدسة مثل أخنوخ (إدريس عليه السلام) وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام.

وحسب سفري أخنوخ الواردين في مخطوطات البحر الميت نجد قصة مفادها أن أخنوخ - الجد السابع لجيل ما قبل الطوفان - كان قد أوصى أبناءه بتوزيع كتبه على أولادهم من جيل إلى جيل [1] ؛ حيث وجدوا فيه معجزة العلم على مدى الأجيال، وبحسب قول مؤلف سفر (يشوع بن سيراخ) – غير القانوني [2] – فإن أخنوخ هو نموذج البار والكاتب، الذي نجد صداه في أسطورة عهد ما قبل الطوفان في التقليد البابلي، كما نجد تلامذة أخنوخ يمثلونه بـ(ابن الإنسان) الذي عاش على الأرض، ووصلت كشوفاته إلى نوح، وذلك بمعرفته بوقوع كارثة الطوفان، وهو بحسب

---

(١) مخطوطات البحر الميت: مقدمة، (٢/ ٥ – ٩).

(٢) سفر يشوع بن سيراخ هو أحد الأسفار اليهودية غير القانونية، وجد منه نسخة في الأصل العبراني في مصر القديمة سنة ١٨٩٦م، ويشبه في نمط تأليفه أمثال سليمان (قاموس الكتاب المقدس، مرجع سابق، (ص ١٠٧١)).
وفيما يختص بأخنوخ ورد في ابن سيراخ (٤٤/ ١٦): (أخنوخ أرضى الرب فنقل وسينادي الأجيال إلى التوبة)، وورد في (٤٩/ ١٦): (لم يخلق على الأرض أحد مثل أخنوخ الذي نقل عن الأرض).

رؤيتهم، القاضي في الآخرة، والموجود قبل الوجود [١] ، وهو أيضًا مانح الحضارة للإنسانية [٢] .

وهذا المعنى نجده في النصوص الواردة في كتاب أخنوخ الأول، والتي جاءت على لسان الملاك المصاحب له، فجاء النص:

(أنت ابن الإنسان، أنت الذي ولد من أجل الحق، والحق قد حل عليك، إن عدل مبدأ الأيام لن يتركك، سينادي لأجلك السلام باسمي لقرن قادم).

وكذلك قوله:

(كل سيتبع دربك، والحق لن يتركك، أبدًا معك، سيكون نصيبهم، ولن ينفصلوا عنك للأبد ولدهر الدهور، وهكذا فإن طول العمر سيرافق ابن الإنسان هذا، والسلام سيكون للأبرار، والاستقامة ستكون للأبرار باسم رب الأرواح، وإلى دهر الدهور) [٣] .

وفي شرح المخطوط لهذه الفقرة ورد أن أخنوخ هو البار، والمتجسد لابن الإنسان، السابق الوجود، وأنه سيبقى موجودًا بالروح بين أتباعه، وأنهم سوف يتوحدون به بعد الحساب، وذلك بإعلان الملاك له بحلول عصر سلام وازدهار يمنحه الله لأجل أخنوخ ومن معه، ويقصد السكنى معه في السماوات [٤] .

وإذا تتبعنا النهج الذي سارت عليه القصص والروايات اليهودية الواردة في سفري أخنوخ، نجد أن مؤلفي السفر قد قاموا بتوسيع مادة نص العهد القديم في سفر التكوين، والذي جاء فيه (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) [٥]

---

(١) مخطوطات البحر الميت: مقدمة، (٢/ ١١). يفسر ابن الإنسان في اليهودية أنه كان كائنًا عجيبًا غامضًا، مقيمًا بجوار الله، حائزًا على البر، ومعلنًا عن خيرات الخلاص المدّخرة لنهاية الأزمنة، عندئذ سوف يتربع على عرش مجده، كديان للجميع ومخلص الأبرار ومنتقم لهم؛ وهم سوف يحيون بالقرب منه بعد قيامتهم من بين الأموات. وتنسب له بعض سمات المسيح المنتظر، وهو المختار من أجل الحكم، (راجع إشعيا ٤٢/ ١) كما ورد رمز ابن لإنسان في سفر دانيال بصورة فردية مع تفخيم صفاته المتسامية، أمثال أخنوخ.

(٢) المرجع نفسه، المقدمة، (٢/ ٩).

(٣) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٧٤).

(٤) نفسه، (٢/ ١٤٤).

(٥) سفر التكوين: (٥/ ٢٤).

فقاموا بوضع إضافات وتصورات وتفاصيل تمتزج برؤيتهم للنص طبقًا للزمان الذي دارت فيه الأحداث؛ حيث بدأ سفر أخنوخ بقصة الخطيئة التي ارتكبها مائتان من الملائكة المتمردين – بحسب تصورهم – والذين كانوا في عصر يرد (والد أخنوخ)، وقاموا بإغواء بنات البشر. كما نجد تصورًا أسطوريًا لشخصية أخنوخ نفسه بأنه روح علوية قام بتطهير نفسه عن طريق صلواته وتقشفه حتى لم يبق منه سوي الناحية الخيرة، ولذلك فقد وصل إلى درجة الملائكة النورانية، الأمر الذي جعل الرب يقوم بتتويجه رئيسًا علي الملائكة، وأعطاه اسم الملاك مطاطرون (מטטרון) [1].

وتستطرد تصورات المؤلفين اليهود لتعبر عن قصص خيالية، لا سند لها من شرع أو وحي، وذلك خلال شروحاتهم لنصوص العهد القديم، فيأتي وصفهم لها وكأنها حقيقة واقعة؛ وينسبونها إلى شخص نبي من الأنبياء الأول.

وفى الجزء الخاص بدعوى خطيئة الملائكة الواردة في بداية سفر أخنوخ، نجد مؤلفي السفر يطورون فقرة العهد القديم الخاصة بالملائكة التي أغوتها النساء في سفر التكوين، والتى جاء فيها: (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا، فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه، هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين

---

(١) مطاطرون أحد الملائكة الكبار الذي تتحدث عنه الروايات اليهودية بأشكال أسطورية، فتذكر أنه كان إنسانًا في الأرض (وهو النبي أخنوخ) الذي زار جنة عدن عدة مرات، وأظهر له الرب أسرار خلق العالم والبشر، وفي النهاية تحول إلى ملاك مخلوق من النار السماوية، وأصبح يمتلك ٣٦ جناحًا و٦٥ عينًا، وذكر التلمود مطاطرون ثلاث مرات، وفى قصة حكاها اليشع بن أبويا – أنه رأى مطاطرون يجلس بجانب الرب، الأمر الذي جعله يشك أن هناك قوتين في الوجود ، هما مطاطرون والرب.!!! ويقال: إن الرب أعطاه الحق في الجلوس بجانبه لكي يكافئ شعب إسرائيل على أعمالهم الصالحة.

www.planetnana.co.il/myth16/jewish demon.htm (20-1-2007). ويختص الرب مطاطرون - بحسب قولهم - بمهام خاصة ينفذها بنفسه أو عن طريق الملائكة القائمين على خدمته، وهو أحد ملائكة الرحمة الذين يتلقون صلوات اليهود ويقدمونها أمام العرش العظيم، وفى اليونانية نجد اشتقاقًا للاسم مطاطرون (ميطال) بمعنى (من وراء)، و(تورنوس) بمعنى كرسي العرش، الشامي: رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ٢٠٠٣م، (ص ١٨٩).

سنة كان في الأرض طغاة في تلك الأيام، وبعد ذلك أيضًا؛ إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم) [1] .

حيث ورد تصوير تمرد الملائكة على الرب في سفر أخنوخ الأول فجاء فيه (וילכו יחדיו אל בנות האדם על הארץ וישכבו עמהן עם הנשים, וייטמאו, ויגלו להן כל החטאים והנשים ילדו את הגבורים, ותימלא כל הארץ דם וחמס)، (وذهبوا معًا إلى بنات البشر على الأرض وناموا مع النساء، وتدنسوا، وكشفوا لهم كل الخطايا، وأنجبن لهم الجبابرة، وامتلأت الأرض دمًا وظلمًا) [2] .

ومن العبارة السابقة نجد وصفًا غير مقبول للملائكة المخلوقة من نور، فيصفها كاتب السفر بقوله: « ناموا مع النساء » וישכבו עמהן עם הנשים، وهذا التوصيف يوحي بالاعتقاد بأن الملائكة مسها الدنس بسبب النساء، فألصقوا الدنس والأعمال السيئة بالملائكة، وارتكابهم الخطايا مع النساء، وفي الوقت نفسه يصورون النساء بمشيعي الفتنة بين البشر، بمعنى أن الشر لم يكن يظهر للوجود إلا عن طريق النساء.

والمرأة كمصدر للشر، مفهوم شائع في الشرق الأدنى القديم بصفة عامة، وقد عبرت التوراة عنه بإلصاق تهمة إخراج آدم من الجنة لحواء - أي للأنثى - حيث ركزوا هذا الشر باتصال النساء مع بعض الملائكة، أو تعلمهن السحر، أو ولادة أبناء للملائكة قاموا بإفساد الأرض، وفي كل هذا كانت النساء سببًا في خطيئة الملائكة [3] .

ونجد نموذجًا آخر في قصة أخنوخ اليهودية والتي تتمثل في أسطورة مفادها، أن أخنوخ ذهب إلى ضفة مياه دان جنوب غرب جبل حرمون - وهو الجبل المقدس المذكور في العهد القديم - لأجل دعاء الله لقبول توسلات الملائكة له والتماسها شفاعته للحصول على مغفرة الرب، فيقوم الكاتب بتأصيل ادعائه بصحة قوله، وذلك

---

(١) سفر التكوين: (٦/ ١ - ٤). والمقصود هنا بأبناء الله، الملائكة.

(٢) היחס לנשים בכמה ספרים מהספרות החיצונית. מאיר בר-אילן www.faculty.biu.ac.il

(٣) he.wikipedia.org/wiki/ ספר חנוך א' 15-1-2007.

بتوثيقه من خلال نصوص التوراة [1] ، والتي جاء فيها: (وأخذنا في ذلك الوقت من يد ملكي الأموريين الأرض التي في عبر الأردن، من وادي أرنون إلى جبل حرمون، والصيدونيون يدعون حرمون سريون، والأموريون يدعونه سنير) [2] فيذكرون جبل حرمون استنادًا إلى الحدث الوارد في العهد القديم بشأن هبوط أبناء الإله وعلاقتهم مع بنات البشر، ويذكرون أن الميدان الذي دارت فيه تلك الأحداث هو قمة جبل حرمون المقدس لديهم.

ثم نجد توسيعًا آخر لخيال مؤلف السفر، والمتضمن علاقة أخنوخ بالملائكة القديسين، حيث نجد تفصيلات كثيرة لهؤلاء الملائكة بتحديد أسمائهم وأدوارهم ووظائفهم في كل سماء، ثم مهمة كل ملاك مع أخنوخ بحسب وظيفته، فهناك ملائكة تحمله من سريره إلى السماء، وملائكة تقوم بإشهاده ما في السماء، وملائكة تقوم على خدمته، وتسجد له، وترتعد منه لمكانته، وفى النهاية يصل أخنوخ محمولًا على أجنحة الملائكة إلى قصر كبير في السماء، حيث يخبره ثلاثمائة ملاكٍ أن الرب حوله إلى الملاك مطاطرون، وأن هذا القصر سيكون مكان إقامته للقضاء بين أهل الأرض، حتى يكون وسيطًا بين الرب والخلق، ولهذا فقد قامت الملائكة بتتويجه ملاكًا للرب، ودعوه بـ(إلوهيم هاقطون) (אלוהים הקטן) أي الإله الأصغر.. وغيرها من أمور سوف نتحدث عنها بالتفصيل فيها بعد، وهكذا تتوالى الأحداث والتصورات لقصة أخنوخ التي تجذب الكثيرين باعتبارها تراثًا لأنبياء مقدسة [3] .

---

(١) جبل حرمون اسم عبري معناه جبل مقدس، وهو مكان مقدس عند اليهود، ويطلق على الجبل العظيم في الطرف الجنوبي من جبال لبنان الشرقية، ويبلغ ارتفاعه ٩,٢٠٠ قدم فوق البحر، دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م، جبل حرمون.

(٢) سفر التثنية: (٣/ ٨)، (٩/ ٨).

(٣) ورد في أدوار الملائكة في الرواية اليهودية أن عزائيل علم أبناء البشر صناعة الحرب والأسلحة الحربية، وكانت مهمة رفائيل القيام بأسر عزّائيل وتطهير الأرض منه، ومهمة ميكائيل أن يرسل شمحازاي وأقرانه إلى الهضاب حتى وقت النهاية، وجبرائيل يحارب أبناء الرب الذين تدنسوا مع بنات البشر وأنجبن لهم عمالقة، ومهمة أوريئيل أن يخبر بالطوفان الذي سيأتي لإغراق البشر، ويعلم أخنوخ=

الرواة وتطويع شخصية أخنوخ لخدمة الأهداف اليهودية:

تتدخل الرؤية اليهودية لقصة أخنوخ لتثبت النظرة الاستعلائية لليهود بتفردهم وتميزهم على العالم أجمع؛ فنجد الرواة والقصاصين اليهود يقومون بتطويع قصة أخنوخ لخدمة أهدافهم، وإظهار أنهم السادة في نهاية الزمان.

وعن الفقرة الواردة في سفر التكوين بشأن أخنوخ يفسرها الربانيون في مدراش [(١)] يلقوط شمعوني بقولهم: « إن أخنوخ كان موجودًا منذ بدء الخليقة، وأنه كان يزور الهيكل في عيد الحانوكاه [(٢)]، وفي أعياد أخرى كالفصح [(٣)] وكان يعلم ويرشد الأنبياء مثل إيليا وإشعياء وزكريا » [(٤)].

= المواقيت والأزمنة وتنظيماتها، وأن أخنوخ كان رسولًا يأتي ويذهب بين الملائكة القضاة والساقطين لمحاكمتهم (האינציאלופדיה היהודית (דעת).ערך חנוך. איזנשטיין، אוצר ישראל).

(١) المدراش هو تأويل الربانيين للعهد القديم، كتبه الشراح اليهود، ويتألف من المواعظ التي ألقوها في المعابد، واتبعوا فيها الشرح القصصي على سبيل الوعظ، من أهمها: مدراش ربا – مدراش شيموت ربا – مدراش تنحوما.... ويلقوط شمعوني هو مقتطفات من عدد من التفاسير للعهد القديم. انظر: رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، (ص ١٨٤، ١٨٥).

(٢) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים عيد الحانوكاه هو عيد التدشين عند اليهود: (Hanukkah Chanukkah) والمناسبة التاريخية لهذا العيد هي دخول يهودا الحشموني (أو المكابي) القدس وإعادته للشعائر اليهودية في الهيكل، من هنا كانت تسميته بعيد التدشين. ويبدأ في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع Kislev كيسلف ويستمر ثمانية أيام ولياليها، والطابع المميز للاحتفال بهذا العيد هو إشعال الشموع لمدة أسبوع كامل، وفى هذا العيد يكتب كثير من اليهود أشعارًا للتعبير عن الجهاد والشجاعة، ظاظا، مرجع سابق، (ص ١٧٢).

(٣) ליסק. רבקה שפק (ד"ר).לקחים הסטוריים يقع عيد الفصح في الخامس عشر من شهر نيسان، ويستمر سبعة أيام، وهو عيد الربيع عند اليهود، ويحرم العمل في اليومين الأول والأخير، وتقام الاحتفالات طوال الأيام السبعة، أما الأيام الأربعة الوسطى فيلتزم فيها بتناول خبز الفطير دون أن يقترن ذلك بطقوس احتفالية كبرى، والعيد في أصوله البعيدة موصول بموسم الربيع باعتباره فترة نمو وازدهار وحياة جديدة، ثم صار من بعد يرمز إلى خلاص بني إسرائيل من العبودية في مصر وخروجهم منها بقيادة موسى، وهارون ويوشع، ظاظا، (ص ١٨١، ١٨٢)، وقد اقترن هذا العيد بتهمة الدم التي توجه لليهود؛ حيث جرت العادة أن يدخلوا في عجينة الفطير دمًا بشريًّا من أمم أخرى غير اليهود؛ وهى تهمة تلاحق اليهود كل وقت وفي كل مكان. (ظاظا، مرجع سابق، ص١٨٥ – ١٨٨).

(٤) ילקוט שמעוני. מדרש על תורה נביאים וכתובים. מלוקט מתוך ספרי תורה שבעל פה .פרשת=

ويقول الربانيون أن أخنوخ سوف يظهر قبل مقدم المسيح المنتظر الذي ينتظره اليهود في نهاية العالم، ومعه كل ملائكة السماوات، ويكون هو قائدهم، وأنه سوف يظهر في أشكال بشرية مثل إيليا، أو إشعيا وغيرهما [١].

ويذكرون أيضًا أن أخنوخ سيظهر قبل أن يأتي المسيح، وسوف ينزل في فلسطين، ومنها سيجوب العالم على أجنحة ألف كملاك، كي يقضي على قادة الشياطين في كل العالم، ويمهد لقدوم المسيح للعالم، كي يحارب الأشرار من البشر فقط، وأن الملائكة المحاربة الذين سوف يأتون مع المسيح هم أنفسهم الملائكة الذين سيقودهم قبل مقدم المسيح، وأن أخنوخ سوف يعطي المسيح كل الكتب السرية التي علمها لأبنائه؛ كي يتغلب بها على أعدائه [٢].

ويضيف المدراش نقلًا عن رواة المشنا وتصورهم لأخنوخ فيقول [٣] : « إن الرب خلق العالم بواسطة التوراة التي أعطاها لأخنوخ، وبعثه ليسلمها إلى موسى في جبل سيناء، وأنه أخبر موسى بأسرار لم يشأ موسى أن يكتبها حتى لا يعرفها إلا الخاصة من أبناء بني إسرائيل، وكان من بينها المشنا والتشريعات الخاصة ببني إسرائيل » [٤] . ويقول المدراش أيضًا، أن أخنوخ كان يزور الهيكل اليهودي عدة مرات في الأوقات التي يمر فيها الشعب اليهودي بمحن، وأنه كان يبكي على بني إسرائيل وما يصيبهم من محن، ويدعو الرب أن يرحمهم ويرفع عنهم ظلم الأمم الأخرى، ويظهر لهم ليقدم الصبر والسلوان فيما يمرون به من ضوائق وكوارث. وجاء أيضًا: « إن أخنوخ كان يظهر في العديد من الأشكال الملائكية لبني إسرائيل ولأنبيائهم؛ حيث نراه يظهر في شكل ملاك الرب باعتباره صلة الوصل بين الرب والأنبياء، وأحيانًا في شكل مبلغ لناموس جديد، أو يظهر في شكل نار، كما هو الحال في قصة النبي موسى مع شجرة العليقة » [٥].

= בראשית. פרק א. רמז א.

(١) ילקוט שמעוני. מדרש על תורה נביאים וכתובים. מלוקט מתוך ספרי תורה שבעל פה .פרשת בראשית. פרק א. רמז א.

(٢) ילקוט שמעוני. מדרש על תורה נביאים וכתובים.

(٣) المرجع نفسه. (٤) نفسه.

(٥) ילקוט שמעוני. מדרש על תורה נביאים וכתובים. =

ويتضح مما سبق أنه على الرغم من قدم عهد أخنوخ، وأنه ليس من أنبياء بني إسرائيل، إلا أن اليهود لم يتوانوا عن نسبته لأنفسهم، وإخبارهم أنه هو المبلغ لموسى بالشريعة اليهودية؛ وأنه الواسطة بين الرب وموسى، كذلك الادعاء بنزوله فلسطين للتمهيد بمقدم المسيح في نهاية الزمان. ويفسر هذا الكلام الحاجة الوجدانية الدائمة لدى اليهود للخلاص من شعور الاضطهاد الذي يواجههم في كل مكان، وإثبات أنهم سادة العالم في نهاية الزمان.

وخلاصة القول: فإن الجملة المقتضبة التي وردت عن أخنوخ في العهد القديم (سار مع الله وأن الله أخذه) كانت دافعًا لإعمال الخيال، وظهور هذا الزخم من القصص الخيالية اليهودية حول أخنوخ، كما أن الأساطير اليهودية قد تدخلت بشكل مباشر على نص العهد القديم، مما نتج عنه تلك الأسفار والكتب التي احتوتها الأسفار الخارجية للتوراة، والتي تسللت إلى كتب التفاسير الإسلامية بسبب إسلام ثلة من اليهود، فنقلت عنها بعض ما ورد فيها من إسرائيليات.

هذا وقد استوقفنا نص على لسان أخنوخ ورد في مخطوطات البحر الميت في كتاب أخنوخ الأول، يذكر فيه أخنوخ أن هناك كثير من الكتابات دخلت بها تحريفات، ويحذر منها أخنوخ نفسه، فقد ورد بالنص: « والآن، فإنني أقول لكم هذا السر: إن الخطأة يزورون ويعيدون كتابة الحقيقة، فيغيرون معظمها، ويضعون ويقحمون تلفيقات عظيمة، ويكتبون كتبًا باسمهم، ليتهم كانوا يكتبون باسمهم كلامي كله بإخلاص، دون أن يبطلوه أو يزوروه، بل يدونون الشواهد التي أنقلها لهم بإخلاص »[1].

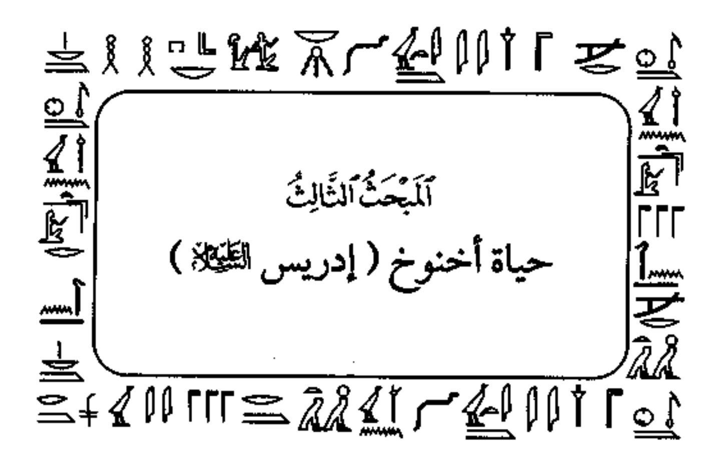
= شجرة العليقة، شجرة مقدسة وتوجد بالمكان الذي كلم فيه موسى عليه السلام الله عز وجل في وادي طوى في سيناء. وجاء ذكرها في سفر الخروج (٣/ ١ - ٧): « أما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية، وجاء إلى جبل الله حوريب، وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق، فقال موسى: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة، فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى موسى. فقال: هأنذا. فقال: لا تقترب إلى ها هنا، اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال: أنا إله أبيك وإله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله ».

(١) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ١١٤).

ومن الفقرة السابقة نجد توضيحًا مباشرًا – واعترافًا من كاتب سفر أخنوخ من خلال النص اليهودي - بالتحريفات والتزويرات والتلفيقات التي نالت الكتب اليهودية وبعدت عن الحقيقة [1].

***

(١) ويوافق هذا الكلام قوله تعالى في سورة (النساء/ ٤٦): ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ .



ٱلْمَبْحَثُ ٱلثَّالِثُ

حياة أخنوخ (إدريس عليه السلام)

الاختلافات حول مسمى إدريس عليه السلام (أخنوخ):

أُختُلف في مسمى إدريس عليه السلام باختلاف الثقافات والديانات المعاصرة لعهده، كذلك اختلاف الترجمات المروية عنه، والتي تشكلت من الآرامية، والعبرية، واليونانية، والعربية، والفارسية وغيرها. فهو إدريس عليه السلام في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وفى المصرية القديمة (حوريس أو هوروس) [١] وعند اليهود حنوخ (חנוך) [٢] ، وإينوخ (Enoch) في الكتابات اللاتينية [٣] وأخنوخ في الترجمة العربية للتوراة، وهو أبجهد وابن جهد وبوذا سيف عند الفرس [٤] .

وقيل هو هِرمِس عند العرب قبل الإسلام، ولفظه إرمس، وهو اسم عطارد

---

(١) محمود أبو الفيض، الدين المقارن، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٠م، (ص ٥٦).

(٢) التكوين (٥/ ٢٤): « וַיִּתְהַלֵּךְ חֲנוֹךְ אֶת הָאֱלֹהִים וְאֵינֶנּוּ כִּי לָקַח אֹתוֹ אֱלֹהִים » « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » (תורה נביאים כתובים והברית החדשה התנ"ך על פי המזורה בכתב יד לנינגרד הכמהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה שטוטדרטנסיה. החברה לכתבי הקודש. ירושלים. 1991).

(٣) ورد هذا اللفظ في كتابات جنزبرج.

(٤) البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار المثنى، بغداد، (ص ٢٠٤) ويذكر فيه أنه دعا إلى ملة الصابئة فاتبعه خلق كثير.

ويسمى هِرمِس الأول وهِرمِس الهرامسة [(١)] . وعند الرومان إرميس، وباليونانية هو هرماكيس ثم عرب بهرمس أو إرميس، ومعناه عطارد، وقال آخرون: اسمه باليونانية أطرسمين [(٢)] .

وقال آخرون: اسمه باليونانية طرميس [(٣)] ويسمونه حنوخ بن يرد بن مهلائيل بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام [(٤)] ويسمونه هِرمِس الحكيم [(٥)] ، ويذكر ابن العبري أن الأقدمين من اليونانيين يزعمون أن حنوخ هو هِرمِس، ويلقب طريسميجيسطيس أي ثلاثي التعليم؛ لأنه كان يصف الباري تعالى بثلاث صفات ذاتية، هي: الوجود، والحكمة، والحياة. وقال العرب: تسميه إدريس عليه السلام [(٦)] .

وتزعم الصابئة [(٧)] أنه هِرمِس الذي يعني عطارد [(٨)] قال ابن العبري: قيل أن

---

(١) جاء في كتاب طبقات الأطباء والحكماء لأبي داود سليمان بن حسان الأندلسي، في ذكر الطبقة العالية الأولية ممن تكلموا في الحكمة الطبية والفلسفة العلوية: هِرمِس كان قبل الطوفان، ومعنى هِرمِس لقب كأن يقال: قيصر وكسرى، وتسميه الفرس في سيرها ابن جهد، وهو الذي تدعى الحرانية حكمته، وتذكر أن جده كيومرث وهو آدم. ويذكر العبرانيون أنه خنوخ، وهو بالعربية إدريس، (ابن جلجل - أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء)، تحقيق فؤاد السيد، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥م، (ص ٥ - ١٠).

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٩٩٨، (١/ ٣٢) وأبو الفيض المنوفي، الدين المقارن، (ص ٥٦).

(٣) القفطي، تاريخ الحكماء، دار الآثار، بيروت، (ص ٢).

(٤) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة دار صادر، بيروت، (ص ٦٩).

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٧٨، (١/ ٥٠).

(٦) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي، دار الرائد اللبناني، لبنان، (ط٢) ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، (ص ١١).

(٧) الصابئة من الديانات الحية، لها أتباع معاصرون في جنوب العراق، آمنوا بوحدانية الله، صنفهم فقهاء المسلمين أهل شبهة كتاب، (السحمراني، أسعد، موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠١م، (ص ٣٢٦، ٣٢٧))، وهم يتبعون إدريس عليه السلام، وقيل أنهم يتعبدون على ملة إبراهيم عليه السلام؛ حيث اعتزلوا قومهم دون دعوة. (عبدالرازق محمد أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، (١/ ١١٤، ١١٥)) ذكرهم القرآن في ثلاث مواضع: (البقرة ٦٢)، (المائدة ٦٩)، (الحج ١٧).

(٨) المسعودي، مروج الذهب، دار الفكر، بيروت، (١/ ٣٩، ٤٠). جاء في دائرة المعارف الإسلامية=

الهرامسة ثلاثة:

الأول: هِرمِس الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو أول من تكلم في الجواهر العلوية، وأنذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلوم ودرس الصنائع؛ فبنى الأهرام وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم فيها طبقات العلوم، حرصًا منه على تخليدها لمن بعده.

والثاني: هِرمِس البابلي، سكن كلواذا مدينة الكلدانيين، وكان بعد الطوفان، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرود بن كوش.

والثالث: هِرمِس المصري، وهو الذي يسمى طريسميجيسطيس، أي المثلث بالحكمة؛ لأنه جاء ثالث الهرامسة الحكماء [(١)] .

وقال محيي الدين بن عربي في فصوص الحكم: « كان هرميس عند الإغريق اسمًا لعطارد الذي سموه فيما بعد باسم (طوط) الإله المصري القديم المعروف بإله القمر » [(٢)] . ويقول أبو العلا عفيفي محقق فصوص الحكم لابن عربي في أسباب تضارب أقوال مؤرخي الإسلام والمفسرين في وصف هذا النبي: « إدريس عليه السلام أقدم من الإسلام والمسلمين، وقد وقع الخلط في أمره منذ بدأ الناس يكتبون عنه، أو عن الشخصية الأسطورية الأخرى المعروفة باسم هرميس، الذي قال كتاب العرب: إنه النبي إدريس عليه السلام. فإن الكتابات التي كتبت عن هرميس في القرنين الأولين بعد الميلاد ملأى بالفوضى والاضطراب، ولا غرابة في ذلك فقد كان ذلك، العصر أحفل عصور الثقافة الهلينية جميعها بأنواع المزج والتلفيق الفكري ».

= (٨٩/١٤): « الصابئون يقولون أن معلمهم الأول هو النبي الفيلسوف هِرمِس (إدريس). ويذكر ابن حزم أن الصابئين هم المصدقون بنبوة إدريس، (الفصل في الملل والنحل، تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، مطبعة أبو سامي الحديثة، القاهرة، (١٠٢/١)). ويذكر الألوسي أن ملة إدريس، الصابئة، وأن ملته كانت توحيد الله تعالى (الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣٠٧/٦). ويقول ابن العبري في تاريخه: « تزعم الصابئة أن شيث بن آدم هو أغاثاديمون المصري معلم هِرمِس »، ابن العبري، (ص ١٢).

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، مرجع سابق، (ص ١١، ١٢).

(٢) ابن عربي: محيي الدين، فصوص الحكم، مرجع سابق، (٤٤/٢).

ويضيف أن هرميس قد لعب دورًا مهمًا في تطور الفكر الهليني المتأخر، ونسب إليه عدد غير قليل من الكتب في الحكمة وعلوم الأسرار (السحر وعلم النجوم والكيمياء)، وبعض هذه الكتب مزيج غريب من الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة المصرية القديمة مع شيء من الأساطير اليونانية، فلما فتح العرب مصر والشام وجدوا تلك المؤلفات الهرميسية، لا في صورتها الأصلية، بل بعد أن عمل فيها التفكير اليهودي عمله وترك فيها طابعه الخاص، وسرعان ما اقتبسوا منها وتمثلوا أفكارها، وأضافوا إلى هذه الأفكار أو نقصوا منها؛ فبعد أن كان هناك هرميس واحد أصبح الهرامسة عند العرب ثلاثة. ويذكر ابن عربي: « أن المصريين القدماء أضافوا إلى مهماته مهمة اختبار أرواح الموتى لمعرفة مدى أهليتها واستحقاقها للدخول في فلك الشمس »[1].

ويذكر أيضًا أن فلك الشمس هو أعلى الأفلاك كلها – أي أعلاها في المكانة – لأنه المحور أو القطب الذي تدور عليه جميع الأفلاك. ومعنى إدريس ﷺ عند ابن عربي أنه رمز للعقل الإنساني في حال تجرده التام عن جميع علاقاته بالبدن، أو هو العقل المحض المتجه نحو المعرفة الكاملة بالله، وهذا المعنى قريب الشبه بالصورة التي صور بها اليونان هرمسهم[2]. ويذكر محيي الدين بن عربي: أن إلياس هو إدريس ﷺ، كان نبيًا قبل نوح، وقد رفعه الله مكانًا عليًا، فهو في قلب الأفلاك ساكن، وهو في فلك الشمس، ثم بعث إلى قرية بعلبك، وبعل اسم صنم، وبك اسم سلطان تلك القرية، وكان هذا الصنم المسمى بعلًا مخصوصًا بالملك، وكان إدريس ﷺ الذي هو إلياس قد مثل له عن فرس من نار، وجميع آلاته من نار، فلما رآه ركب عليه، فسقطت عنه الشهوة؛ فكان عقلًا بلا شهوة، ولم يبق له تعلق بما يتعلق به الأغراض النفسية[3]، وذكر أيضًا، أنه لم ينم ستة عشر سنة ولم يأكل حتى بقي عقلًا مجردًا وروحانية في فلك الشمس، فهو أول من خالط الملائكة والأرواح

---

(١) محيي الدين بن عربي، فصوص الحكم، مرجع سابق، (٢/ ٤٤، ٤٥).

(٢) نفسه، (٢/ ٢٥٨).

(٣) محيي الدين بن عربي، فصوص الحكم، مرجع سابق، (١/ ١٨١).

المجردة، وحصل له معراج انسلاخ البشرية [١] .

وجاء في تاريخ ابن خلدون، أن إدريس عليه السلام هو أخو إلياس أو الخضر [٢] ، وهي ليست أخوة نسب كما قال القرآن عن مريم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وجاء وصف الأخوة هنا بسبب طول عمره، وجاء في الكشاف أنه هو إلياس وقرئ إدراس [٣] . وقال ابن كثير في تفسيره عن قتادة، ومحمد بن إسحاق، وابن أبي حاتم، عن عبدالله ابن مسعود قال: « إلياس هو إدريس عليه السلام وكذا قال الضحاك » [٤] . وجاء في معجم المنجد: أن اسم إدريس عليه السلام قد يكون مصوغًا من أندراوس – وهو بعيد – وقال بعضهم أن إدريس عليه السلام وإلياس والخضر ثلاثة أسماء لمسمى واحد [٥] ، وجاء في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي: هِرمِس هو هِرمِس الأول، ولفظه إرمس وهو اسم عطارد، وقال أنه يسمى عند اليونانيين أطرسمين، وعند العرب إدريس عليه السلام، وعند العبرانيين حنوخ [٦] . والاسم العبري هو حنوخ חנוך بمعنى مكرس أو دارس أو مدرب، وفي اللغة معناه: المؤدب أو المهذب [٧] .

وفى المصرية القديمة حنوك يعني المقرب، أو الخليل، أو المنعم عليه [٨] . ويرجعه

---

(١) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، طبعة عالم الكتب، دراسة وتحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط، بيروت، ١٩٩٢م، (ص ٥٨).

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، ١٩٥١م، (٢/ ٥).

(٣) الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق عبدالرازق المهدي، (٤/ ٦٢) وجاء في صحيح البخاري أثر عن ابن عباس وابن مسعود أن إلياس هو إدريس. انظر صحيح البخاري (باب: وإن إلياس لمن المرسلين) (٣/ ١٢١٦).

(٤) ابن كثير، التفسير، مرجع سابق، (٤/ ٢٠).

(٥) معجم المنجد، قسم الأعلام، إشراف فردنيان توتل، الطبعة اليسوعية، بيروت. وقد يكون القصد أن ثلاثتهم لم يموتوا.

(٦) وجدي: محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، القاهرة، ١٩٨٠م، وورد في العهد الجديد رسالة بولس إلى العبرانيين (١١/ ٥): « بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله ».

(٧) سجيف: دافيد، قاموس عبري، دار شوكن للنشر، أورشليم وتل أبيب، مرجع سابق، (ص ٥٧٩).

(٨) قاموس بدوي وكيس، (ص ١٦١).

قدماء المصريين إلى الكائن الإلهي تحوت وكان إلهًا مقدسًا عندهم وهو هِرمِس، وفي التراث الإسلامي أن من ألقاب النبي إدريس ﷺ، حنوك [١] .

وقد فُسر اختلاف مسماه بأن الاسم العربي إدريس ﷺ هو ترجمة لمعنى الجذر المشتق عنه الاسم الوارد في التوراة، فالجذر العربي المرادف هو درس، والاسم إدريس ﷺ مشتق من درس بمعنى الدارس، الحاذق، الذي درس لغيره وعلمه [٢] .

وجاء في كتاب (متون هِرمِس) كان اليونانيون يعتقدون أن تحوت هو باني الأهرام، وسار على نهج اليونانيين اليهود والمسيحيين وبعض متصوفة الإسلام؛ إذ إنهم وحدوا بين تحوت وهِرمِس وأخنوخ والنبي إدريس ﷺ [٣] .

ويقول بعض المؤرخين بأن إدريس ﷺ هو تعريب أوزوريس الذي عبده المصريين القدماء، وكان ملكًا أعطى لشعبه دفعة حضارية بسنه القوانين وتنظيم الزراعة التي تمثلت في نهضة زراعية وثورة حضارية وثورة دينية، ولم يكن لدى المصريين كباقي الآلهة التي عبدوها والتي كانت تأخذ رمزًا لحيوان أو طائر، بل عدوه بشرًا مؤلهًا، وعلى هذا قال المؤرخون أن هناك رابطة بين إدريس ﷺ وأوزوريس؛ فإدريس ﷺ كان مصريًا عاش في مصر، وأن ديانته تلتقي مع عقائد التوحيد التي نادى بها أوزوريس، إلى جانب عقائد الخلود والبعث، والميزان والصراط، والجنة والنار، والشيطان. ويرجعون هذا التشابه أيضًا إلى تزامن الوقت بين إدريس ﷺ وأوزوريس باعتبار أوزوريس أقدم الأرباب المصرية [٤] . كذلك التقاء كل من إدريس ﷺ وأوزوريس في بناء النهضة الحضارية، والتي أكدها المقريزي في رواية نقلها صاعد اللغوي المؤرخ في كتابه (طبقات الأمم)، والتي جاء فيها أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان، إنما صدرت عن هِرمِس الأول

---

(١) دائرة معارف البستاني، (٢/ ٦٣٩)، ابن الأثير، الكامل، (١/ ٢٥).

(٢) رشدي البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، طبع المؤلف، ٢٠٠٤م، (١/ ٤٥).

(٣) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، مرجع سابق، (ص ١٣).

(٤) سلامة موسى، مصر أصل الحضارة، مطابع المستقبل، (ص ١٠٨، ١٠٩).

الساكن بصعيد مصر، وهِرمِس هو إدريس عليه السلام[١].

وقد اختلف المؤرخون في تعدد أسماء إدريس عليه السلام؛ فهناك رأي يقول بأن سبب التعدد هو اسم هرمس الذي انتقل مع تعاليمه إلى الفرس واليونان والكلدان، ورأي آخر يقول إن بعض تلاميذ هرمس الذين تفرقوا لقبوا أيضًا بالهرامسة تبعًا لمعلمهم.

ويمكننا الافتراض بأن تسمية حنوخ ربما تكون قد أطلقت عليه في وقت لاحق، وأنه كان يحمل اسمًا آخر، ثم أطلق عليه هذا الاسم للتعبير عن المهمة التي كان يقوم بها وهي التعليم، وأصبح هو الاسم المعروف به، والذي اشتهر به في التاريخ اليهودي.

ورغم اختلاف مسماه باختلاف الديانات والشعوب، واختلافات الترجمات، إلا أن من المتفق عليه أنه شخص واحد، يحمل ذات الصفات والعلوم الإلهية.

نسبه:

جاء تفصيل نسب أخنوخ في نص العهد القديم الوارد في أخبار الأيام الأولى فهو أخنوخ بن يرد بن مهلئيل بن أنوش بن شيث بن آدم، وهو أبو جد نوح، ولد له متوشالح، وولد لمتوشالح لامك وولد للامك نوح[٢].

أما عن نسبه في الروايات الإسلامية، فقد ذكر البخاري في صحيحه أن إدريس عليه السلام هو جد أبي نوح، ويقال: جد نوح[٣].

---

(١) قاسم عبده قاسم ؛ بين التاريخ والفولكلور ؛ الطبعة الثانية ٢٠٠١م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، (ص٦٦، ٦٧).

(٢) والنص الوارد: (آدم، شيث، أنوش، قينان، مهلئيل، يارد، أخنوخ، متوشالح، لامك، نوح...) (أخبار الأيام الأول (١/ ١ - ٤)) وفي بيان نسبه ذكر في العهد القديم آباته حتي يارد وجاء: (عاش يارد مائة واثنتين وستين سنة، وولد أخنوخ، وعاش يارد بعدما ولد أخنوخ ثمانمائة سنة، وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام يارد تسعمائة واثنتين وستين سنة ومات، وعاش أخنوخ خمسًا وستين سنة، وولد متوشالح، وسار أخنوخ مع الله بعدما ولد متوشالح ثلاثمائة سنة، وولد بنين وبنات، فكانت كل أيام أخنوخ ثلاثمائة وخمسًا وستين سنة، وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد؛ لأن الله أخذه. وعاش متوشالح مئةً وسبعًا وثمانين سنة وولد لامك) (التكوين (٥/ ١٩ - ٢٥)).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ۝ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٢٣ - ١٢٩]، قال محمد بن إسحاق بن يسار: كان إدريس أول بني آدم أعطي النبوة =

وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس قال: « أول نبي بعث في الأرض بعد آدم، إدريس ﷺ، وهو أخنوخ بن يرد، وولد أخنوخ متوشالح، وولد متوشالح لامك، وولد لامك نوحًا »[١].

وعن نسبه أيضًا ذكر ابن كثير في تفسيره حديثًا عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء قال: « **مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا** » قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: « **ثلاثمائة وثلاثة عشر، جم غفير** » قلت: يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: « **آدم** » قلت: يا رسول الله: نبي مرسل؟ قال: « **نعم؛ خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبيلًا** » ثم قال: « **يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وأخنوخ وهو إدريس ﷺ وهو أول من خط بالقلم، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك** »[٢]. ويقول الإمام ابن كثير في نسب إدريس ﷺ في كتابه البداية والنهاية: هو في عمود نسب رسول الله ﷺ على ما ذكره غيرُ واحد من علماء النسب[٣].

وورد في جامع البيان للطبري في نسب إدريس ﷺ، أنه بعث في الفترة التي بين آدم ونوح، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى في سورة (مريم/ ٨٥): ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ وهو إدريس ﷺ[٤]، وجاء في نسبه أنه جد أبي نوح ﷺ ابن لامك بن متوشالح بن أخنوخ، وهو ابن يرد بن قينان بن أنوش بن

=وهو أخنوخ بن يريد بن أهلاليل بن قينان بن ناشر بن شيث بن آدم. مستدرك الحاكم (٢/ ٥٩٨).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، (١/ ٤٠).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ، (١/ ١٦٧) وأبو القاسم ابن عساكر الشافعي في تاريخ دمشق، دار الفكر، بيروت، تحقيق محب الدين العمري، ١٩٩٥م (٢٣/ ٢٧٥) وابن كثير، التفسير، (١/ ٥٨٦، ٥٨٧). وعلق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: إنه قد تكلم فيه غير واحدٍ من أئمة الجرح والتعديل والله أعلم.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١/ ٩٩).

(٤) الطبري: محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ، (١٦/ ٧٣).

شيث بن آدم أبي البشر [١] . وذكر ابن إسحاق أنه أدرك من حياة آدم ثلاثمائة وثمانين سنة [٢] وجاء في تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري: نبأ الله أخنوخ بعد أن مضى من عمر آدم ستمائة واثنتان وعشرون سنة [٣] .

وخلاصة القول في نسب إدريس عليه السلام أنه من أصول نوح، ويرى بعض العلماء أنه جد نوح كالطبري في كتابه (جامع البيان) [٤] ، والألوسي في (روح المعاني) عن وهب ابن منبه [٥] ، بينما يرى آخرون أنه جد أبي نوح كما جاء في الزمخشري، و(المعارف) لابن قتيبة، و(البحر المحيط) لأبي حيان، والرازي في تفسيره، وكذا البيضاوي والمراغي والخازن في تفاسيرهم، ويذكره النيسابوري أنه من أجداد نوح [٦] . ويذكر الألوسي في (روح المعاني) - على ما في مستدرك الحاكم لابن عباس -: إدريس عليه السلام، نبي قبل نوح، وبينهما ألف سنة [٧] ، وقال أبو حيان والنسفي والألوسي في تفاسيرهم: إن إدريس عليه السلام أول مرسل بعد آدم [٨] . وجاء في الزمخشري: إدريس عليه السلام من ذرية آدم لقربه منه لأنه جد أبي نوح.

وخلاصة ما قيل في نسبه أنه جد أعلى لنوح عليه السلام، وأنه عاش قبل الطوفان.

مولده ونشأته:

جاء في التوراة: هو أخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، وكان عُمر آدم لما ولد شيث ١٣٠ سنة، وعمر شيث لما ولد أنوش ١٠٥ سنة،

(١) ذكره البخاري في صحيحه (باب وإن إلياس لمن المرسلين) (٣/ ١٢١٦). وابن كثير في البداية والنهاية، مرجع سابق، (١/ ٩٩).

(٢) القاضي: مجير الدين بن اليمن الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ، تحقيق عدنان يونس وعبدالمجيد نباتة، (١/ ١٩).

(٣) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، (١/ ١٠٦).

(٤) المرجع السابق، (١٦/ ٧٣).

(٥) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، (١٦/ ١٠٥).

(٦) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (٨/ ٤٩٤).

(٧) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، (١٦/ ٩٦).

(٨) السيار: نديم، ليسوا آلهة ولكن ملائكة، الناشر المؤلف، القاهرة، ٢٠٠٣م، (ص ١٢).

وعمر أنوش لما ولد قينان ٩٠ سنة، وعمر قينان لما ولد مهللئيل ٧٠ سنة، وعمر مهللئيل لما ولد له يارد ٦٥ سنة، وعمر يارد لما ولد له أخنوخ ١٦٢ سنة. ويتضح من ذلك أن أخنوخ ولد لما كان عمر آدم ٦٢٢ سنة.

ولم تذكر المصادر اليهودية موضع ولادة أخنوخ ، بينما ذكرت المصادر الإسلامية أن إدريس عليه السلام عاش في الفترة التي بين آدم ونوح عليهما السلام وهي فترة ما قبل الطوفان (أى أقدم من ٥٠٠٠ ق.م) خلال العصر المسمى بالعصر الحجري الحديث (٦٠٠٠ – ٥٠٠٠ق.م) [١] ، وهناك عدة آراء للعلماء المسلمين في مولد إدريس عليه السلام ومكان نشأته، فقد ذكر الألوسي أنه ولد بمصر في منف، وسموه هِرمِس الهرامسة، حيث أقام فيها يدعو لعبادة الخالق والتوحيد، وأمر الخلائق بالصلاة والصيام وجهاد الأعداء، والزكاة بالأموال لمعونة الضعفاء [٢] . وذكره ابن جلجل: قال أبو معشر: كان سكن إدريس عليه السلام.. صعيد مصر [٣] ، ويذكره ابن أبي أصيبعة: « وعند العرب أن إدريس عليه السلام مولده بمصر » وقال أبو معشر: « وكان مسكنه صعيد مصر » [٤].

ويقول صاعد الأندلسي في كتابه (طبقات الأمم): « ذكر جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان، إنما صدرت عن هِرمِس الأول [٥] الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان ابن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وهو إدريس النبي عليه السلام [٦] .

---

(١) المرجع نفسه، (ص ١٥). (٢) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، (٦/ ٣٠٧).

(٣) ابن جلجل، طبقات الأطباء، مرجع سابق، (ص ٦).

(٤) السيار: نديم، المصريون القدماء أول الحنفاء، الناشر المؤلف، القاهرة، ٢٠٠٤م، (ص ٩).

(٥) « ينقل القاضي صاعد عن أبي معشر الفلكي حديثه عن الهرامسة الثلاثة، فهناك هِرمِس الأول المصري الذي كان قبل الطوفان، وهو إدريس النبي، وهِرمِس الثاني المصري وكان بعد الطوفان، وهِرمِس البابلي. لكن ملامح الهِرمِسين: المصري الثاني، والبابلي متداخلة؛ فكلاهما شخصية علمية، وكلاهما تلميذ لشخصية يونانية، فالبابلي تلميذ لسقراط!! والمصري تلميذ لفيثاغورس ». ماجد مصطفى الصعيدي، هِرمِس في المصادر العربية، دار الكرز، ٢٠٠٧م، القاهرة، (ص ٢٩).

(٦) ماجد مصطفى الصعيدي، هِرمِس، مرجع سابق، (ص ٣٠).

ويرجح العلماء أن بني شيث وبني أنوش وقينان ومهللئيل سكنوا الهضبة الشرقية لوادي النيل، وعندما قل العشب في الهضبة أخذوا يتجهون غربًا حتى وصلوا إلى نهر النيل؛ لتوفر المياه والمراعي، لذلك ظهرت أولى الحضارات في العالم في مصر، فأقام إدريس عليه السلام في مصر، وتلاه نوح في العراق، وعاشوا في جماعات متفرقة، وبنوا بيوتًا فيها [١].

ويقول القفطي: « قالت فرقة: إنه ولد ببابل ونشأ فيها، وأخذ علمه من شيث بن آدم جد أبيه، ونهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث، فآمن به قليل، وخالفه الكثير؛ فخرج هو وأتباعه إلى مصر » [٢] ، ويعلق رشدي البدرواي في كتابه (قصص الأنبياء والتاريخ) على هذا « أن هذا الافتراض غير صحيح؛ لأنه ما دام المقر الأخير إلى مصر فالأقرب إلى العقل أن يكون طريق باب المندب هو أقصر الطرق التي سلكها أجداده إلى مصر » [٣] .

وجاء أيضًا في ذكر إدريس عليه السلام أنه سكن مصر بحسب قول ابن العبري فقال: « والعرب تسميه إدريس عليه السلام.. الساكن بصعيد مصر الأعلى » [٤] .

وجاء في شأن زمانه يذكر البخاري عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس عليه السلام، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء: أنه لما مر به صلى الله عليه وسلم قال له: « مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح » ولم يقل كما قال آدم وإبراهيم: « مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح » [٥] ، قالوا: فلو كان في عمود نسبه لقال له، كما قالا له (أي الابن الصالح)، والرد على هذا، أنه قال الأخ الصالح على سبيل التواضع، ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدم أبي البشر وإبراهيم خليل الله وأكبر أولي العزم بعد محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل أنه قال ذلك، لمؤاخاته في التوحيد

---

(١) رشدي البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، مرجع سابق، (ص ٤٧ – ٤٩).

(٢) القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ترجمة وتحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، (ص ٣)، طبارة: مرجع سابق، (ص ٥٧).

(٣) رشدي البدراوي، مرجع سابق، (ص ٥٣).

(٤) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، مرجع سابق، (ص ١١).

(٥) أخرجه البخاري في الصلاة (٣٤٩) ومسلم في الإيمان (١٦٤).

فقدم التوحيد في الأهمية عن النسب.

لغة إدريس عليه السلام:

يذكر المؤرخون العرب أن اللغة السريانية هي أقدم لغات العالم، وهي اللغة التي تكلم بها آدم عليه السلام، فيقول المؤرخ صاعد الأندلسي في كتابه (طبقات الأمم): « إن اللسان السرياني هو اللسان القديم، لسان آدم عليه السلام وإدريس ونوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام وغيرهم، ثم تفرعت اللغة العبرانية والعربية من اللغة السريانية »[١].

وعن لغة إدريس عليه السلام قال القفطي: « تكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لسانًا، وعلمه الله ﷻ منطقتهم ليعلم كل فرقة منهم بلسانهم، وإن إدريس عليه السلام كان يكلم أهل مصر بلسانهم »[٢].

وقال القنوجي في (أبجد العلوم): « إن آدم عليه السلام وضع كتابًا في أنواع الألسن قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في الطين، ثم طحنه، فلما أصاب الأرض الغرق، وجد كل قوم كتابًا فكتبوه من خطه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي، وفي رواية أن آدم عليه السلام كان يرسم الخطوط بالبنان، وكان أولاده تتلقاها بوصية منه، وكان أقرب عهد إليه، إدريس عليه السلام »[٣].

عمل إدريس عليه السلام:

لم تتحدث الروايات اليهودية عن عمل إدريس عليه السلام بينما تذكر المصادر الإسلامية أن عمل إدريس عليه السلام ارتبطت به عبادته وتقربه إلى الله، فكان خياطًا، فذكر ابن كثير في رواية عن ابن عباس أن إدريس عليه السلام كان خياطًا، فكان لا يغرز إبرة إلا قال: « سبحان الله » فكان يمسي حين يمسي، وليس في الأرض أحد أفضل عملًا منه[٤].

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، هرمس، مرجع سابق، (ص ١٤)، راجع القاضي صاعد الأندلسي: طبقات الأمم: (١٤).

(٢) القفطي، إخبار العلماء، مرجع سابق، (ص ٣).

(٣) القنوجي، مرجع سابق، (١/ ١٦٣).

(٤) ابن كثير، التفسير (٣/ ١٢٧).

وفاة إدريس ﷺ:

ورد في سفر أخنوخ الأول في كتاب الحِكم في مخطوطات البحر الميت [١] : (أن أخنوخ رفع حيًّا إلى رب الأرواح وسُحب من بين سكان اليابسة) [٢] . وقال كعب الأحبار: « قبض روحه في السماء الرابعة » [٣] .

وقد تحدث في موت أخنوخ كثير من الأحبار واليهود وعلماء المشنا، فيقول رابي يوسي الجليلي من علماء المشنا أن المقرا (العهد القديم) لم تذكر موت أخنوخ وقالت أنه عاش مدة إذا نظرنا إليها نجدها أقل من الأنبياء الذين عاشوا في عصره أو بعده؛ وذلك لأن الرب أراد تعويض أخنوخ عن قصر عمره فأعطاه الخلود في السماوات، وأن يعيش في الأعالي دون أن تنزع روحه منه [٤] .

أما المصادر الإسلامية فقد ذكرت أن إدريس ﷺ لم يمت على الأرض، بل رفع حيًّا إلى السماء، وذلك في تفسير قوله تعالى في سورة مريم: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أي رُفِع إلى السماء حيًّا. وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ في حديث الإسراء مر على (إدريس ﷺ) فوجده في السماء الرابعة [٥] ، وعن ابن عباس ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: رفع إلى السماء السادسة فمات فيها [٦] .

وقال ابن كثير بسنده إلى ابن عباس: أربعة من الأنبياء أحياء فيهم أرواحهم: إدريس ﷺ وعيسى في السماء، وإلياس والخضر في الأرض، وكلهم يموتون إلا

---

(١) كتاب الحكم هو الجزء الثاني من كتاب أخنوخ الأول، ويشتمل على حكم أخنوخ، من أصل النسخة الأثيوبية، وهي الرؤية الثانية ـ رؤيا الحكمة التي رآها أخنوخ ـ والمميزة برؤاها الأخروية، مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٤٥).

(٢) مخطوطات البحر الميت، خاتمة كتاب الحكم في صعود أخنوخ، (٢/ ٧٢).

(٣) ابن كثير، التفسير (٣/ ١٢٧).

(٤) מדרש תנחומה .באר שבע. עורך: בעז קלרש. כל הזכויות שמורות לישיבת הר עציון, תשס"ה. בית המדרש הווירטואלי שליד ישיבת הר עציון. www.etzion.org.il

(٥) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٢٩٦٨) ومسلم في الإيمان (٢٤٣).

(٦) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، مرجع سابق (١٦/ ٩٦).

إدريس عليه السلام [١] . وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: « رفع ولم يمت كما رفع عيسى عليه السلام » [٢] .

وفي رواية للسيوطي أن إدريس عليه السلام حُمل إلى السماء وهو حي بواسطة ملك، بناءً على طلبه [٣] . وهذه الرواية ترجع إلى الإسرائيليات التي لا سند لها.

ويذكر ابن كثير بسنده إلى العوفي عن ابن عباس: رفع إدريس عليه السلام إلى السماء فمات بها. وقال الحسن البصري ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: إلى الجنة [٤] . وقيل: رفع إلى السماء بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره، وقال القرطبي في تفسيره: « رفع وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستين سنة، وعاش قبل الطوفان » [٥] . واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ قال قوم: هو ميت، وقال قوم: هو حي، وفي مرآة الزمان، نجد قول ابن عباس أنه رُفع إلى السماء مثل عيسى عليه السلام ويقول القرماني: « إنه إذا مات الخلق، أصابته دهشة فيبقى في عداد الموتى وهو حي » [٦] .

وفي رواية للقرطبي: أن ملك الموت قبض روحه، ورفعها إلى الجنة، ودفنت الملائكة جثته في السماء الرابعة، فذلك قوله تعالى:﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [٧] .

ويرى وهب، أنه حي في السماء فيقول: « فبقي بها بعناية الله تعالى، فهو حي هناك، فتارة يعبد الله في السماء الرابعة، وتارة يتنعم في الجنة » [٨] .

ويذكر وهب استنادًا على ما جاء في التوراة: أنه حي إلى موت جميع الخلق وموت الملائكة، فيذوق الموت حتمًا مقضيًّا، وأنه عاش في الأرض ثلاثمائة سنة وخمسًا وستين، ثم رفعه الله إلى السماء السابعة فهو مع الملائكة [٩] . بمعنى أنه يحيا في السماء حتى نهاية

---

(١) ابن كثير، تفسير (٣/ ١٢٧). (٢) المرجع نفسه.

(٣) السيوطي: جلال الدين، الدر المنثور، مرجع سابق، (٥/ ٥١٩ – ٥٢٣).

(٤) ابن كثير، تفسير (٣/ ١٢٧).

(٥) الزمخشري، مرجع سابق (٢/ ١٠٧)، القرطبي، التفسير، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٥هـ، (١٦/ ٥). قيل جد نوح، وقيل من أجداد نوح عليه السلام.

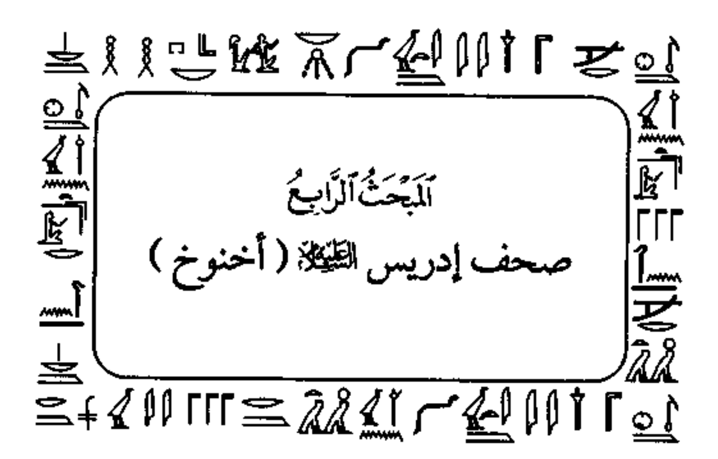
(٦) القرماني، مرجع سابق، نقلًا عن مرآة الزمان (١/ ٢٢٨).

(٧) القرطبي، التفسير، مرجع سابق، (١١/ ١١٨ – ١٢١). (٨) المرجع نفسه، (١١/ ١١٩).

(٩) ابن منبه: وهب، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ، وانظر بعض هذه المعاني في الإصحاح الخامس من سفر التكوين.

الخلق والملائكة جميعًا، ثم يذوق الموت. وهذه الأقاويل تستند إلى قول الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ إلا أن الآية الشريفة لم توضح كيفية هذا الرفع إن كان إلى السماء، أو هو ارتفاع مقام، وكل ما قيل يرجع إلى تأويلات وشروح يمكن أن تكون صحيحة أو غير ذلك، ولا يعلمها إلا الله سبحانه، لذا فإننا نلتزم الوقوف عند حد الآية الشريفة، وهى المكان العلي الذي يعلمه الله وحده.

* * *



المَبحَثُ الرَّابعُ
صحف إدريس عليه السلام (أخنوخ)

سَبقَت الرسالات السماوية التي أنزلها الله تعالى، صحفٌ نزلت على آدم، وشيث، وإدريس، وإبراهيم، عليهم جميعًا السلام. وجملة ما أنزل الله تعالى من الكتب، مائة كتاب وأربعة كتب، أنزلها الله تعالى فيما بين آدم وموسى، فكان أول كتاب أنزله الله تعالى، صحف آدم عليه السلام وكانت إحدى وعشرون صحيفة، والكتاب الثاني أنزله الله على شيث وهو تسع وعشرون صحيفة، والكتاب الثالث أنزله الله تعالى على أخنوخ (إدريس عليه السلام) وهو ثلاثون صحيفة، والكتاب الرابع أنزله تعالى على إبراهيم عليه السلام وهو عشر صحائف، والكتاب الخامس على موسى عليه السلام في عشرة ألواح، ثم أنزل الله عز وجل على داود المزامير وهو الزبور وهو مائة وخمسون مزمورًا [١] .

وقد اتفقت كل المرويات اليهودية والتفاسير الإسلامية على نزول صحف على أخنوخ (إدريس عليه السلام). فذكرت الرواية اليهودية في مخطوطات البحر الميت، في جزئها الثاني المتضمن كتاب أخنوخ الأول أنه نزلت على أخنوخ ألواح سماوية، حيث ورد النص: (أن أخنوخ نزلت عليه ألواح سماوية قرأ فيها وتعلم منها أعمال البشر كلها وجميع أبناء الجسد الأحياء على الأرض حتى الجيل الأخير) [٢] . أي حتى نهاية الزمان.

وفى المراجع الإسلامية ورد نزول الثلاثين صحيفة من الله تعالى لإدريس عليه السلام،

---

(١) ابن النديم: أبو الفرج محمد بن إسحاق، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، (١/ ٣٣).

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٨٤).

وحيًا عن طريق جبريل عليه السلام [١] ، فعن أبي ذر الغفاري قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه حيث سألته عن أعظم الأعمال، وأعظم الآيات، وعدد الرسل والأنبياء، قلت: كم كتابًا أنزله الله؟ قال ﷺ: « **مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان** » [٢] .

وقال المسعودي في مروج الذهب: « أنزل عليه ثلاثون صحيفة، وكان قد نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة، وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة، فيها تهليل وتسبيح » [٣] .

قال وهب: « إدريس عليه السلام النبي أول من كتب بيده من أهل الدنيا، أنزل عليه الكتاب السرياني، وعلمه إياه جبريل. فأول من أنزل الله تبارك وتعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) في صحيفة وبعده في الصحيفة مكتوب قوله تعالى في سورة (آل عمران/ ١٨): ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ثم أنزل عليه أبجد إلى آخرها، فكتب وقرأ، ولما رفع الله إدريس عليه السلام استخلف ابنه متوشالح » [٤] .

وعن أبي ذر الغفاري قال: « قال لي رسول الله ﷺ: « **يا أبا ذر أربعة من الرسل سريانيون آدم وشيث ونوح وأخنوخ، وهو أول من خط بالقلم، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة** » [٥] . وقال النسفي والرازي في تفسير القرآن: « أنزل عليه ثلاثون صحيفة » [٦] .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٢٧) والقرطبي في الجامع، (ص ١١٧) والألوسي في روح المعاني (٦/ ٣٠٦) والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن، (ص ٥٦)، والرازي في تفسيره (٤/ ٣٨٧)، قال (ابن قتيبة في المعارف، (ص ٢٠، ٢١)): هي الصحف الأولى التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨].

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٧)، وورد في تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٧).

(٣) المسعودي، التفسير، مرجع سابق، (ص ٣٩، ٤٠).

(٤) وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، مرجع سابق.

(٥) الطبري، تاريخ، (١/ ١٠٧).

(٦) ذكره الرازي في تفسيره (٢١/ ١٩٩) و(٣١/ ١٣٦) والنسفي في تفسيره (٣/ ٤٠).

ويذكر ابن جرير الطبري: أن الله بعث إدريس عليه السلام وجمع له علم الماضين، وزاده مع ذلك ثلاثين صحيفة، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾[1] [الأعلى: ١٨].

وذكرت دائرة المعارف الإسلامية: من جهة النبوة، كان إدريس عليه السلام أول من نزل عليه جبريل بالوحي، ويروى أن ثلاثين صحيفة أوحيت إليه على هذا النحو[2].

وجاء في دائرة معارف البستاني: أنزل الله على إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة، فعرف أسرار العالم والكون، ولم يخف عليه شيء[3].

وعلى هذا فقد ذكرت معظم المراجع الإسلامية نزول الثلاثين صحيفة من الله تعالى لإدريس عليه السلام وحيًا عن طريق جبريل عليه السلام[4].

هذا وقد تحدثت المراجع الإسلامية عن كثير من المواعظ والحكم التي وردت في هذه الصحف، ومنها ما جاء في كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، ويبدو أن جميعها مستقاة من الروايات الإسرائيلية[5].

* * *

---

(١) الطبري، تاريخ، مرجع سابق، (١/ ١٧١).

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، (١/ ٥٤٣).

(٣) دائرة معارف البستاني، (٢/ ٦٧١).

(٤) الزمخشري في الكشاف (٢/ ٢٢٧). والقرطبي في الجامع، (ص ١١٧) والألوسي في روح المعاني (٦/ ٣٠٦). والنيسابوري في تفسير غرائب القرآن، (ص ٥٦) والرازي في تفسيره (٤/ ٣٨٧)، وتلك هي الصحف الأولى التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ .

(٥) الشهرستاني: أبو الفتح محمد عبد الكريم بن بكر أحمد، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، (ص ١٠٣).

نبي الله إدريس عليه السلام

بين

المصرية القديمة واليهودية والإسلام

الفصل الثالث

مكانة أخنوخ (إدريس عليه السلام) وصفاته بين اليهودية والإسلام

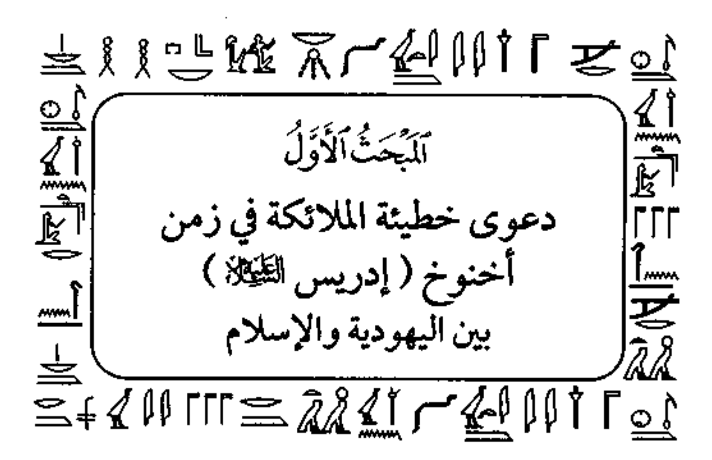
ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: دعوى خطيئة الملائكة في زمن أخنوخ (إدريس عليه السلام) بين اليهودية والإسلام.

المبحث الثاني: دور الملائكة في صعود أخنوخ (إدريس عليه السلام) إلى السماء بين المصادر اليهودية وتفسير ابن كثير.

المبحث الثالث: صفات أخنوخ (إدريس عليه السلام)في الروايات اليهودية.

المبحث الرابع: خصائص نبوة إدريس عليه السلام وصفاته في القرآن الكريم والكتابات الإسلامية.



المَبْحَثُ الأَوَّلُ

دعوى خطيئة الملائكة في زمن أخنوخ (إدريس عليه السلام) بين اليهودية والإسلام

إذا استعرضنا الروايات اليهودية بشيء من التأمل نجدها تذكر عن أخنوخ أنه، كان رجلًا مستقيمًا يعيش منعزلًا يتعبد للرب، فحصل على المعرفة بالتأمل، وكانت تأتيه رؤى القدوس والسماء، وكانت كل أعماله مع الملائكة الساهرين يمضي أيامه معهم، يستمع إليهم ويرتحل في صحبتهم إلى السماوات [١] ويرى في رؤاه الملائكة والعرش والجنة والنار، ويسمع صوت الرب يناديه بـ (الرجل الصادق).

وورد في كتاب (حياة حنوخ) ספר חיי חנוך في شأن عزلته وعبادته [٢] :

(أنه لم يكن يخفي نفسه عن البشر طوال الأيام، فقد كان يختبئ [٣] ثلاثة أيام، ويظهر لهم لمدة يوم واحد، وفي الثلاثة أيام التي كان يختبئ فيها، كان يصلي في حجرته ويسبح الرب إلهه، وفي اليوم الذي يخرج فيه إلى الناس، كان يعلمهم طرق الرب ويجيب كل من يسأله عن كل شيء. وسار على هذا المنوال أيامًا وسنوات طوالًا، ثم قام بتخبئة نفسه لمدة ستة أيام، وكان يكشف نفسه لشعبه لمدة يوم واحد في الشهر، ثم أصبح يومًا واحدًا في

---

(١) مخطوطات البحر الميت، كتاب أخنوخ الثاني، (٢/ ٢٧ – ٣٤).

(٢) كتاب حياة حنوخ (أخنوخ) هو أحد الكتب الخارجية (غير القانونية) اليهودية التي كتبت فترة الهيكل الثاني وفترة المشنا، ولم تدخل في نطاق العهد القديم، وتشتمل على أحداث تاريخية وقصص خرافية وأشعار من أشهرها سفر عزرا الثالث، وسفر طوبيا، وسفر يهوديت، وباروخ، وحياة حنوخ.

(٣) المقصود يختلي أو يعتزل.

السنة، حتى طلب كل الملوك وكل الوزراء رؤيته، وكانوا لا يستطيعون النظر إلى وجهه ويرتعدون من الاقتراب منه، بسبب ظهور تقوى الرب على وجهه، وحينها دعته الملائكة إلى الخروج من عزلته امتثالًا لأمر الرب من أجل تعليم البشر طرق الرب، قام أخنوخ، وسجد أرضًا، وخرج من بيته ومن الحجرة التي كان يعتزل فيها، وذهب إلى البشر لينفذ أوامر الرب، ويعلمهم شرائع الرب، وسمع الكل كلماته، وحلت روح الرب عليه، فتناقل صوته بين كل مواقع البشر قائلًا لهم: « كل من يحب أن يعلم طرق الرب والعمل الصالح فليجئ إلى أخنوخ فتجمع عنده كل البشر في تلك الساعة، وكذلك كل ملوك البشر الأولين والأخيرين، ووزراؤهم وقضاتهم، جاءوا إليه ليستمعوا حكمته، وسجدوا على الأرض أمامه، وأرادوا أن يملكوه عليهم؛ فرفض، وكان عددهم حوالي مائة وثلاثين ملكًا ووزيرًا، وجعلوا أخنوخ ملكًا عليهم وأصبحوا كلهم تحت سيطرته. ومرت أيام كان فيها كل البشر وملوك البشر ووزراؤهم يتحدثون معه، وأخنوخ يعلمهم طرق الرب، ويعلمهم الحكمة والمعرفة والأخلاق، ويسن لهم قوانين وأحكامًا لكي يعملوا بها في الأرض، فأحل بينهم السلام، وأوصاهم بشدة بعبادة الرب، والسير في طرقه طوال حياتهم »[1].

ونستخلص من هذه الرواية اليهودية كيفية عبادة وتوجه أخنوخ (إدريس عليه السلام) إلى الله عن طريق الخلوة في مكان منعزل حتى لا يطلع على عبادته أحد غير الله، كما تظهر الرواية علاقة الملائكة بأخنوخ، وإذعانه لدعوتهم له بالخروج لتعليم البشر.

أولًا: دعوى خطيئة الملائكة وعلاقتها بالنبي إدريس عليه السلام:

تستحوذ مسألة خطيئة الملائكة في حق الرب على كثير من الروايات والقصص اليهودية حيث تقدم رؤية استنباطية أو حدسية للبداية الكونية منذ أن بدأ الخلق، فكان أول حدث ذي تأثير قوي وكبير لدى اليهود هو الخطيئة الأولى، التي يزعمون أنها بسبب حواء الممثلة في الأنثى بوجه عام.

وفيما يلي نستعرض تفاصيل تلك الخطيئة، وما حيك فيها من روايات ومبالغات في

---

(١) הספרים החיצוניים. ספר חיי חנוך www.daat.ac.il/daat/hasfarim/hanoch.pdf 20-1-2007.

عهد أخنوخ (إدريس عليه السلام)، وما تسرب منها إلى التفاسير الإسلامية، حيث نبدأ بالروايات اليهودية التي ذكرت في سفري أخنوخ الأول والثاني، ثم نتبعها بالروايات الواردة في تفسير ابن كثير وغيره من المفسرين نقلًا عن الإسرائيليات.

دعوى خطيئة الملائكة وعقابهم في الروايات اليهودية:

تشير الروايات اليهودية أن ظهور الملائكة الخطاة على الأرض كان في زمن أخنوخ، حيث أسقط كاتب سفر أخنوخ هذه الخطيئة على النساء، فقام بتطوير العبارة الواردة في العهد القديم في سفر التكوين ليضفي طابع الدناسة على العلاقة التي بين الملائكة والنساء، استنادًا على نص التوراة الذي جاء فيه: (دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادًا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم)[١] فجاءت خطيئة الملائكة بتفاصيلها في سفر أخنوخ باتخاذ الملائكة زوجات يسكنون إليهن[٢].

وقد ورد في كتاب أخنوخ الأول أن عدد الملائكة التي أخطأت كان مائتين، نزلوا في زمن يرد (والد أخنوخ) على قمة جبل حرمون المقدس عندهم، وكان رؤساؤهم عشرين هم: شمهازا – أرتقيف – رمت – كوكبئيل – تمئيل – رمئيل – دانئيل – زيكئيل – برقئيل – أسائيل – هرموني – مطرئيل – أنانئيل – ستاوئل – شمشيئيل – سهرئيل – تومئيل – تورئيل – يومئيل – يحدئيل وهو العشرون.

حيث اتخذ هؤلاء نساء لأنفسهم بالتنجس معهن، وقاموا بتعليمهن الأدوية والسحر والنبات، وحملت النساء منهم، وولدن عمالقة طول كل منهم ثلاثة آلاف ذراع، فابتلعوا نتاج تعب البشر، وابتلعوا البشر، كما ابتلعوا بعضهم بعضًا، وشربوا الدم، واشتكت الأرض، وامتلأت بالشر والعنف[٣].

---

(١) سفر التكوين (٦/ ٤).

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣٢ – ٣٧).

(٣) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣١، ٣٢). تصف الرواية اليهودية رؤساء الملائكة أنهم سبعة ملائكة ووظائفهم، فجاء فيها: أورئيل: هو أحد الملائكة القديسين، مولى على العالم والجحيم. رفائيل: أحد الملائكة القديسين، مولى على أرواح البشر. رجوئيل: أحد الملائكة القديسين، مولى عالمي الشمس والقمر. ميخائيل: أحد الملائكة القديسين، وهو مولى على رجال الصلاح وعلى الشعب. سرئيل: أحد الملائكة القديسين، مولى =

ويصور كتاب أخنوخ عقاب الرب على أعمال هؤلاء الملائكة العصاة، وإرساله ملائكته المقربين لتنفيذ عقاب الرب عليهم فيقول: (عندما رأى الرب ما اقترفوه، أرسل الملاك إورئيل [١] إلى ابن لامك قائلًا له: مره باسمي أن يختبئ، وأعلن له أن النهاية قريبة؛ فالأرض كلها ستهلك، وسيحل طوفان على الأرض كلها، وسيدمر ما تحمله كله ».

وقال الرب للملاك رفائيل: « كبل قدمي ويدي عزائيل، وارمه في الظلمات، وافتح الصحراء التي لدادوئيل وارمه فيها، ضع عليه حجارة خشنة وحادة، وغلفه بالظلمات، وليبق هناك للأبد، غط وجهه، فلا يرى النور، وفي يوم الحساب الأخير سيقاد إلى السعير، أما الأرض التي دنسها الملائكة فستطهر، أعلن شفاء الأرض؛ سنشفي جرحها، ولن يهلك البشر كلهم بسبب مجمل السر القاتل الذي علمه الساهرون لأبنائهم، كانت الأعمال التي علمها عزائيل قد اجتاحت الأرض بكاملها؛ ألا انسب لهذا الأخير الخطايا كلها » [٢].

وقال الرب لجبرائيل: « اذهب وجد الهجناء (بديل العمالقة) والساقطين، وأبناء الفجور؛ ألا أخف من بين البشر أبناء الساهرين؛ أرسلهم يتقاتلون حتى الموت، والحق إن أيامهم لن تكون طويلة، ولن يحصل آباؤهم على شيء مما طلبوه لأنفسهم ولهم، في حين كانوا يأملون لأنفسهم حياة خالدة، ولكل من أبنائهم حياة مدتها خمسمائة سنة [٣].

وقال لميخائيل: « اذهب وأعلن هذا لشمهازا، ولجميع الذين ارتبطوا بنساء في الوقت نفسه معه، به ليتدنسوا بالاتصال بالنساء في حالة عدم الطهارة، وعندما يكون أبناؤهم قد ذبحوا ويكونون قد رأوا فقدان فلذات أكبادهم، قيدهم لسبعين جيلًا في ثنايا الأرض، حتى يوم دينونتهم ويوم الإكمال، حيث سينفذ الحكم الأبدي.

= على الأرواح التي تخطئ ضد الروح. جبرائيل: أحد الملائكة القديسين، مولى على الجنة، وعلى الأبالسة والملائكة. رمئيل: أحد الملائكة القديسين، مكلف من الله بالعناية بالمبعوثين.

(١) إورئيل هو أحد الملائكة القديسين، مولى على العالم والجحيم (مخطوطات ٢/ ٣٩).

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣٣). (٣) نفسه.

عندها سيقادون إلى هوة النار، إلى العذاب وسجن الانفراد الأبدي. فكل من يكون قد حكم بالهلاك الأبدي سيقيد منذ الآن معهم، وفى يوم الحساب الذي سأقيمه سيختفون للأبد، أهلك جميع نفوس الساقطين وأبناء الساهرين؛ لأنهم مارسوا العنف ضد البشر، وأنه كل عنف من على وجه الأرض، وليتوقف كل عمل شر وفسق، وليظهر زرع العدالة والحقيقة. وستكون بركة، وستكون أعمال البر والحق مزروعة في الفرح [1].

ومؤلف السفر هنا يعمل على إلصاق الخطيئة بالنساء اللاتي جعلن الملائكة يعلمونهن أمور السحر، وذلك وصولًا إلى أن منبع الشر في العالم بسبب النساء، فيركز على أهمية الالتزام بالبعد عن النساء اللاتي هن أسباب الفساد في الأرض، وأنهن سوف يتعرضن للعقاب الإلهي، فيقول: « قال لي أوريئيل: هنا سيوضع الملائكة الذين واصلوا النساء، إن أرواحهم التي تتخذ كافة أنواع الأشكال تبتلي البشر وتحثهم على تقديم الأضاحي للشياطين حتى يوم الحساب الأخير، عندما يحكمون بالهلاك، وستصبح نساء الملائكة المتمردين جنيات البحر » [2].

ويشير حديث مؤلف السفر إلى شدة خطيئة الملائكة، فيصف تأنيب الرب للملائكة بقوله لهم: « لماذا تركتم الأعالي السماوية، لتناموا مع النساء، وتتدنسوا بالاتصال ببنات البشر وتتزوجهن، لقد تصرفتم كأبناء للأرض وولدتم أطفالًا عمالقة، لقد كنتم قديسين وأرواحًا حية للأبد، وتدنستم بالاتصال بدم النساء، فأنجبتم بدم الجسد، وكانت لكم رغبات على غرار البشر » [3].

ونلاحظ من السياق السابق أن كاتب السفر ـ الذي يظن أنه أحد الآسينيين ـ يوجه حديثه إلى الملائكة بضمير المخاطب، وعلى ما يبدو فهو يحاول أن يستخدم النص لتوجيه أبناء طائفته وتعليمهم تجنب النساء، حتى لا يخطئوا؛ وذلك لأنهم كانوا يتصورون أنفسهم كالملائكة [4].

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣٣). (٢) نفسه: (٢/ ٣٨).

(٣) مخطوطات البحر الميت، أخنوخ الأول، (٢/ ٣٧).

(٤) نلاحظ أن مؤلف كتاب أخنوخ الذي ترجعه المصادر إلى طائفة الآسينيين ظهر في هذه الفقرة كقائد ديني =

ومؤلف السفر يصور النساء كوسائل لجلب الخطيئة، وأن قدرتهم على الإنجاب هي أصل الشر وانجذاب الرجال لهن، إذ إن طائفة الآسينين كانت تحرم الزواج على أتباعها [(١)].

أسباب خطيئة الملائكة في الروايات اليهودية:

اتفقت الروايات اليهودية على أن أسباب خطيئة الملائكة هي فساد البشر بعد آدم، وارتكابهم المعاصي والكفر بالله، ومن الغريب أنهم ربطوا بين الآثار التي نجمت عن خطيئة قايين (קיין) (قابيل) وقتله أخيه هابيل والآثار التي ترتبت عليها في ذرية كل منهما، وبين معصية الملائكة الكرام، إلى جانب اشتهائهم النساء اللاتي رأوهن في الأرض، وهذا يتنافى مع منابع الوحي الصافية.

من هم الملائكة الخطاة في الرواية اليهودية؟

جاء في بداية سفر أخنوخ الأول، أن مبدأ فساد البشرية المنسوب إلى الملائكة يتمثل في الملاك شمحازاي (שמחזי) [(٢)] الذي كان رئيسًا على المائتين من الملائكة المتمردة،

= اجتماعي وأيديولوجي، يخطط وينظم لجماعته بأن يحيوا بلا زواج – مثل طائفة الآسينيين. والآسينيين طائفة من اليهود المعتزلة، عاشوا في صحراء يهودا « מדבר יהודה » منذ عام ١٥٠ قبل الميلاد حتى تمت إبادتهم على أيدي الرومان عام ٦٨ بعد الميلاد، وهم الذين ينسب إليهم تدوين الأسفار المقدسة التي اكتشفت في القرن العشرين وعرفت بمخطوطات البحر الميت، كما ينسب إليهم كتابة أسفار أخنوخ، ومن مظاهر حياتهم الاجتماعية، اعتقادهم في الملائكة؛ حيث عاشوا ـ كما يظنون ـ سلوك الحياة الملائكية المتمثلة في العزلة والتقشف وعدم الزواج، وذلك طبقًا لاعتقادهم. انظر مخطوطات البحر الميت: الكتب الآسينية، مقدمة، (١/ ٤٢) وللباحثة دراسة عن جماعة الآسينيين بعنوان « الآسينيون في الفكر الديني اليهودي دراسة في النشأة والعقائد ».

(١) האינציקלופדיה העברית .כרך שבעה עשר. הוצאת ספרים פועלים 1988. ע 693-698.

(٢) ورد في مخطوطات البحر الميت اسم شمحازاي بمعنى سماوات الرائي، والصحيح في العبرية هو שמחזי (شيم حزاي) بمعنى الله يرى. وفى تصور المؤلف لشمحازاي أنه جعل الملائكة يقسمون بالاسم الذي لا يلفظ لله، والذي يعرفه ميخائيل فقط، ومعرفة هذا الاسم يعني معرفة السر الأسمى للخلق. مخطوطات (٢/ ١٤٣). وأرتقيف هو أرض القوى، ورمئيل اسم الرعد ودانئيل الله يقضي، وزكيئل على اسم النيزك، وكوكبئيل على اسم النجم (كوكب)، وبرقئيل اسم الصاعقة، واسئيل بمعنى الله صنع وازئيل الملاك المفسد، ويحدئيل ومعناه الله يرشد، ويلاحظ أن المقطع الثاني من كل اسم هو إيل، ويعني الإله عند اليهود. مخطوطات، (٢/ ١١٩).

الذين تعاهدوا على قمة جبل حرمون חרמון في زمن (يريد) بالنزول للأرض لهداية البشر بسبب الشرور والفساد الذي لحق بهم، وعاهدوا الرب ألا يخطئوا، لكنهم عندما رأوا النساء افتتنوا بهن وارتكبوا معهن الخطيئة، وكان لهؤلاء المائتين عشرون رئيسًا يقودهم شمحازاي، وعزازيل [1] .

يقول النص في سفر أخنوخ الأول: « عندما أقسموا مع بعضهم جميعاً، وتعاهدوا حتى اللعن من أجل ذلك، وكانوا بمجملهم مائتين. وكانوا قد نزلوا في زمن يرد على قمة جبل حرمون، وسمي الجبل حرمون لأنهم هنا كانوا قد أقسموا وتبادلوا العهد حتى اللعن » [2] .

وجبل حرمون هو المكان الذي نزلت عليه الملائكة في الأرض، وهو المذكور في المزامير: (يا إلهي نفسي منحنية في، لذلك أذكرك من أرض الأردن وجبال حرمون من جبل مصعر) [3] .

وكان قسمهم أن ينزلوا الأرض ولا يفعلوا إلا الخير، إلا أنهم بعد نزولهم أفتتنت الملائكة بالنساء، فقاموا بتعليمهن أشياء لم يكن ينبغي أن يتعلموها ـ وكانوا على علم بها وهم في السماء ـ قبل هبوطهم إلى الأرض.

تعاليم الملائكة المذنبة لبني البشر في التصور اليهودي لها:

عددت الروايات اليهودية مهام الملائكة المتمردة التي نزلت بها الأرض، فجعلت لكل منهم مهمة خاصة، قاموا بها لإفساد البشر، فجاء في أخنوخ الأول: (علم عزائيل (עזזאל) البشر صنع السيوف والأسلحة والتروس والدروع، وهي أمور تعلمها الملائكة، وقد أراهم المعادن وطرائق شغلها، كما والأساور والحلي والكحل وخضاب الجفون، وكافة أنواع الحجارة الكريمة والأصبغة، ونتج عن ذلك كفر كبير، (فالناس) فجروا وضلوا وضاعوا في دروبهم كلها. وعلمهم شمحازاي، التعاويذ

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣٢).

(٢) مخطوطات البحر الميت، سفر أخنوخ الأول، (١/ ٣١). האינציקלופדיה היהודית – דעת – ערך/ מלאכים. (הר חרמון) www.daat.ac.il/encyclopedia 20 – 1 – 2007.

(٣) سفر المزامير (٤٢/ ٦).

وعلم النبات [١] . وهرموني، الرقيات والسحر والشعوذة والمهارات. وبرقئيل، التنجيم الفلكي. وكوكبئيل إشارات النجوم. وزيكئيل، إشارات الشهب. وأرتقيف، إشارات الأرض. وشمشئيل إشارات الشمس. وسهرئيل إشارات القمر. وأخذوا يكشفون كلهم الأسرار لنسائهم) [٢] .

ونلاحظ أن الرواية اليهودية تصور الملاك عزازيل أو عزائيل كما ذكر كتاب أخنوخ، أنه أحد قادة الملائكة المتمردين، الذين قاموا بإغواء بنات البشر، فكان يعلم النساء استخدام كافة أنواع الألوان والزينة؛ لأجل إغواء أبناء البشر لكي يقعوا في الخطيئة.

وفيما روي عن عزائيل ما ذكره ميخائيل أبيعوز – المتخصص في علوم اليهوديات بكلية العلوم اليهودية – في بحثه المتعلق بـ(الضحية التي كان يقدمها اليهود للملاك عزازئيل) يقول ميخائيل: « كان عزائيل قائدًا وملاكًا معينًا من قبل الرب لشؤون السحر والأعمال الحربية والأسلحة، ونتيجةً لخطيئته في تعليمه النساء الأسرار، فقد أمر الرب الملاك (رفائيل) بأن يلقيه في الصحراء كي يحيا تحت الصخور حتى يوم الدينونة، عقابًا له » [٣] .

وفى موسوعة المصطلحات الصهيونية ورد ذكر عزرائيل أنه اسم عبري معناه الرب يقوي أو قوة الرب وكذلك القوة المناوئة للرب كان أحد قواد الملائكة الذين سقطوا من السماء. وحسب الرؤية اليهودية القديمة يعيش عزازئيل في البرية بالقرب من أورشليم، وكان كبير الكهنة يُقدم في يوم الغفران كبشين؛ أحدهما قربانًا ليهوه، والآخر قربانًا لعزازئيل، وكان الكبش الثاني لا يُذبح، وإنما يُطلق سراحه في البرية،

---

(١) كان شمحازاي قائد ورئيس الملائكة المتمردين، الذين زنوا مع بنات البشر بحسب الرواية اليهودية؛ حيث تذكر أن شمحازاي كان قد تاب في نهاية الأمر، وقام بتعليق نفسه بين السماوات والأرض ليكفر عن خطايا أعماله، أما عزائيل فاستمر في افتتان النساء.

www.planetnana.co.il/myth16/jewish demon.htm 20 – 1 – 2007.

(٢) مخطوطات البحر الميت، أخنوخ الأول، (٢/ ٣٢).

(٣) يوم الدينونة يعنى يوم الحساب (القيامة) אביעוז מיכאל (ד"ר). על מהותה של מצוות שילוח השעיר לעזאזל. הפקולטה למדעי היהדות. לשכת רב הקמפוס. מאת המרכז ללימודי יסוד ביהדות. המחלקה לתנ"ך. דף שבועי. מספר 493. תשס"ג.

حاملًا ذنوب جماعة يسرائيل، ولكنه مع هذا كان يُذبح فيها أو يُدفع به من عل حتى لا يعود حاملًا هذه الذنوب »[١] .

ويذكر المسيري في تعريفه لعزازئيل طبقًا للرؤية اليهودية: أن عزازئيل هذا هو استمرار لطقوس وثنية وأفكار غنوصية، فهو رمز الشر، بل هو خالق كل الشرور في العالم، وهو نقيض يهوه خالق الخير. ويبدو أن هذا الطقس يفترض أن يهوه وعزازئيل عنصران متكاملان يشبهان في هذا علاقة إله الخير بإله الشر في عبادات الفرس الثنوية. وقد توارى وجوده بعض الشيء أثناء الفترة التلمودية، ولكنه عاد إلى الظهور مرة أخرى مع انتشار القبالاه[٢] . فعزازئيل في القبالاه قوة مستقلة تصارع ضد الإله، ولذلك يقرأ القباليون أدعية لإرضاء الإله وأخرى لإرضاء الشيطان، بل ويؤمن القباليون بأن بعض القرابين في الهيكل كانت تقدم إلى الشيطان، ويقال إن كل القرابين في الأيام السبعة الأولى من عيد المظال كانت تُقدم إلى عزازئيل باعتباره حاكم الأغيار، حتى يظل مشغولًا عن اليهود، وحتى يمكن تقديم القرابين إلى الإله في اليوم الثامن[٣] .

وكانت تعاليم الملائكة الخطاة لبني البشر بحسب الرواية اليهودية تساعد في إضلال البشر، حيث أغوتهم تلك التعاليم وأنستهم ذكر ربهم، فاتسموا بالفجور والضلال، والضياع في دروب تلك التعاليم، ومن أهم هذه التعاليم:

١ - اسم الله الأعظم المحظور ذكره، والذي علمه الملاك شحهازاي للنساء.

٢- الحلي المتنوعة وزخرفات النساء التي تعلموها من عزائيل بهدف افتتان البشر بهن.

---

(١) المسيري، موسوعة المصطلحات الصهيونية، المجلد الخامس، الجزء الثاني، الباب التاسع عشر، مدخل عزازئيل.

(٢) القبالاه عقيدة يهودية تبحث في الأسرار الإلهية والعلوم الغامضة حول الخالق والمخلوقات، والتي لا يفهمها إلا أصحاب هذه العقيدة، ويطلق عليها التصوف اليهودي. للاستزادة انظر: هدى درويش، عقيدة القبالاه ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٣٣ يوليو ٢٠٠٤م.

(٣) المسيري، موسوعة المصطلحات الصهيونية، المجلد الخامس، الجزء الثاني، الباب التاسع عشر، مدخل عزازئيل.

٣- علوم النبات، والرقيات، والشعوذة، والتنجيم، وقد تعلموها من شمحازاي.

الخطيئة التي وقع فيها الملائكة في الرواية اليهودية:

عند مطالعتنا لسفر أخنوخ الأول، نجد اتهامًا وافتراءً في حق الملائكة، ويبدو ذلك في ذكره أن الملائكة قامت بارتكاب الخطيئة عندما شاهدت جمال وجاذبية بنات البشر، فاشتهتها، واختاروا زوجات لهم، وتدنسوا معهن [١].

أما عن محاورات الملائكة الخطاة مع الرب بسبب فساد البشر، فجاء في مدراش يلقوط شمعوني (ילקוט שמעוני) [٢]: أن تلاميذ رابي يوسف سألوا معلمهم، من هو عزائيل؟ فقال لهم: عندما بدأ جيل الطوفان، عبد البشر الأوثان؛ فغضب الرب عليهم، وعلى الفور، وقف أمامه الملكان شمحازاي، وعزائيل، وقالا له: يا إله العالمين ألم نقل أمامك عندما خلقت عالمك، من هو الإنسان كي تذكره؟ فقال لهما الرب: إذا أنتما عشتما على الأرض، فسوف تتسلط عليكما غريزة الشر، وستكونان أقسى من بني البشر، فقالا له: اسمح لنا بالسكن مع المخلوقات، وسترى كيف سنمجد اسمك. فقال لهما: اهبطا إلى الأرض واسكنا معهم، وعلى الفور هبطا وسكنا معهم، وارتكبا الخطيئة مع بنات البشر اللاتي كن جميلات، ولم يقدرا على كبح جماح نفسيهما من ارتكاب المعصية، وفي ذلك الوقت، رأى شمحازاي امرأة اسمها إستهار (אסטהר) عشتار [١] فتملى بعينه فيها وقال لها: اسمعيني، فقالت لن أسمع إلا إذا علمتني الاسم الإلهي والذي بواسطته تصعد للسماء حينما تذكره، فعلمه لها، وبعد أن تعلمته، ذكرت الاسم المقدس وصعدت إلى السماء.

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣٢).

(٢) يلقوط شمعوني هو مقتطفات من عدد من التفاسير للعهد القديم، والمعروفة باسم المدراشيم (المدارس الدينية اليهودية)، ومن التلمود البابلي والأورشليمي، ومؤلف يلقوط شمعوني غير معروف، وكذا زمن تأليفه (www.wikipedia.org).

(٣) ילקוט שמעוני. מדרש על תורה נביאים וכתובים. בראשית. ו'. מ"ד وردت قصة (إشتار) عشتار في الأساطير البابلية، وأخذها المفسرون اليهود عنهم، وتناقلها الرواة، ذكر قتادة: أن الملكين افتتنا بها، وهي الزهرة، وكانت من أهل فارس ملكة في بلدها. وقال الطبري عن موسى بن هارون عن عمرو عن السدي: اسمها بالعربية (الزهرة)، وبالنبطية (بيذخت)، وبالفارسية (أناهيذ). تفسير الطبري (١/ ٤٥٧).

ثم تذكر رواية شمعون مصير هذه المرأة التي خدعت الملائكة فتقول الرواية: « ولأنها لم ترتكب الخطيئة مع شمحازاي، قال الرب: مادامت إستهار (عشتار) منعت نفسها عن الخطيئة، اذهبوا وضعوها بين السبعة نجوم، لكي يتم ذكرها للأبد ». بمعنى أنها نالت مكانة في السماء بين النجوم.

ونلحظ من سياق هذه الرواية اليهودية أنها قريبة الشبه بينها وبين قصة هاروت وماروت التي ذكرتها التفاسير الإسلامية، والاختلاف في الرواية الإسلامية أن هذه المرأة طارت إلى السماء فمسخت كوكبًا، وقيل جمرة.

تكليف الرب أخنوخ بإبلاغ الملائكة بالعقاب في الرواية اليهودية:

ورد في مدراش يلقوط شمعوني، في الحديث الخاص بالإصحاح الأول بسفر التكوين: أنه حينما اتخذ كل من شمحازاي، وعزائيل من بنات البشر زوجات، وولدن لهما أبناء منهم الأختان هيفا، وهايا (היווא) و(הייא)، أرسل الرب إلى شمحازاي، الملاك مطاطرون (أخنوخ) رسولًا يحذره ويقول له:« إن الرب سيوشك على تدمير عالمه، وسيقوم بجلب طوفان إلى العالم، فبكى شمحازاي وحزن على العالم وعلى أبنائه، وماذا سيفعلون ومما سيقتاتون لو تم تدمير العالم، فتاب شمحازاي، وقام بتعليق نفسه بين السماوات والأرض؛ بحيث كانت رأسه تتجه للأسفل وقدمه للأعلى، ولا يزال على هذا الوضع حتى الآن. أما عزائيل فلم يتب، وظل في إغوائه للبشر ليرتكبوا المعصية عن طريق جعل النساء يرتدين أزهى ألوان الملابس [١] ، فذهب أخنوخ إلى عزائيل وأبلغه بالعقاب الصارم الذي سوف يلاقيه هو والملائكة المتمردة بالتقييد لسبعين جيل في الأرض حتى نهاية العالم، وبعدها يخضعون للهلاك الأبدي، ويقادون جميعًا إلى النار وجحيمها » [٢] .

ونلحظ من السياق السابق في النص أن شمحازاي قدم توبته، وحكم على نفسه بالتعليق بين السموات والأرض؛ رأسه لأسفل الأرض وقدميه لأعلى، وهذا الحكم قريب الشبه بالرواية الإسلامية المأخوذة من الإسرائيليات في الحكم على هاروت

---

(١) ילקוט שמעוני. מדרש על תורה נביאים וכתובים. בראשית. ו'. מ"ד.

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣٤).

وماروت وهو ما سوف نوضحه لاحقًا.

الرواية اليهودية في استغاثة الملائكة بأخنوخ:

يصور كاتب السفر، أن أخنوخ كان رسولًا بين الأرض والسماء، يذهب إلى الملائكة القضاة في السماء الذين يحكمون على الملائكة المتمردة، فينزل إلى الأرض لإخبارهم بالعقاب الإلهي المحكوم به عليهم [١]، فلما وقعت الملائكة في المعصية ـ على حد زعمه ـ وعرفت الذنب الذي اقترفته في حق نفسها، وعلمت مصيرها، والعقاب الذي لا بد وأن يصيبها، خافوا وخجلوا من خطيئتهم، فتوجهت الملائكة إلى أخنوخ، وتضرعت إليه للتوسط لها بتقديم استرحام لها عند الرب، راجية غفرانه [٢]، وكانت تناديه بـ(أخنوخ يا كاتب العدالة) [٣]. وطلبوا منه أن يقدم لهم التماسًا للرب ليحصلوا على مغفرته، فاستجاب أخنوخ لطلبهم، وذهب إلى ضفة مياه دان جنوب غرب الحرمون، وهو الموضع المقدس الذي نزلت فيه الملائكة على الأرض، وعاهدت فيه الرب ألا تخطئ [٤].

وهنا يظهر تصوير الرواية لصفات أخنوخ الرحيمة من خلال رجائه الرب لأجل الملائكة أن يرحمهم، ويقبل توسلاتهم، فيعطونه خاصية الشفاعة لهم عند الرب، ثم نجد تسليمه بضعفه وعجزه أمام القدرة الإلهية فيقول: « تكدرت كثيرًا من أجلهم وانحنى الملائكة أمامي وقالوا لي: يا رجل الله صل لله من أجلنا. وأجبتهم وقلت: من أنا، الرجل الفاني، لأصلي من أجل ملائكة، ومن يعلم إلى أين أمضي أو ما سيحصل لي، أو من سيصلي من أجلي ؟» [٥].

وورد في الموسوعة اليهودية (האינציקלופדיה היהודית) أن أخنوخ حاول مساعدة الملائكة الهابطين، لكي يتطهروا من خطيئتهم، بالاغتسال في مياه دان بالجنوب الغربي لجبل حرمون (חרמון) المقدس، الواقع بين لبنان وشنير، حيث

---

(١) האינציקלופדיה העברית. כרך שבעה עשר. הוצאת ספרים פועלים. 1988. ע 693-698.

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٣٥).

(٣) المرجع نفسه، (٢/ ٣٤)، وجنزبرج، مرجع سابق، (ص ١٣٥).

(٤) المرجع نفسه، (٢/ ٣٤).

(٥) مخطوطات البحر الميت، أخنوخ الثاني، (٣/ ١٤٦).

شنير من الشرق، ولبنان من الغرب [١] . وطلب من الرب قبول التماسهم؛ فسمع صوتًا في رؤياه في السماء بأن طلبهم قد رُفض. وعندما استيقظ أخنوخ، ذهب إلى الملائكة، وكانوا مجتمعين يبكون على جبل حرمون، فأخبرهم أنه حكم عليهم بالتكبيل في سجون الأرض على مدى سلالات العالم، ثم أخبره الرب بقوله: « والآن قل للحراس (أي الملائكة المتمردة) الذين كلفوك بالتماسهم والذين كانوا يسكنون السماء (من قبل): كنتم تسكنون السماء، بل لم يكن ثمة سر لم يكن قد كشف لكم، كنتم قد عرفتم سرًّا مصدره الله، وقد كشفتموه للنساء في تمردكم، وبفضل هذا السر ضاعف النساء والرجال الشرور على الأرض. قل لهم إذن: لن يكون هناك سلام أبدًا » [٢] .

وهي عبارة توجه اللوم الشديد للملائكة التي لها مكانة عند الرب، فمن المفترض أن يقبل الإله توسلاتها من أجل البشر، ولكن ما حدث هو العكس، فقد طلبت الملائكة توسل أخنوخ لها – بحسب ما ورد في الرواية اليهودية -.فأجاب طلبها وصلى من أجلها، فجاء قوله: « وقلت أنا للإغرغورا لقد رأيت إخوتكم، وعرفت ما عملوا، وأعلم صلواتهم، وقد صليت من أجلهم » [٣] .

وأورد سفر أخنوخ العقاب الذي فرضه الإله على هؤلاء الملائكة المتمردة الذين حكَمَ عليهم الرب بالمضي إلى تحت الأرض (الجحيم)، حتى نهاية السماوات والأرض [٤] .

ومما ورد نجد أن العقاب الإلهي للملائكة جاء نتيجة لأمرين: الأول هو: افتتانهم بالنساء ووقعوهم في المعصية معهم، والثاني هو: إباحة وإفشاء أسرار السماء للبشر وخاصة للنساء.

---

(١) האינציקלופדיה היהודית – דעת – ערך/ חרמון 20 – 1 – 2007. www.daat.ac.il/encyclopedia .

(٢) مخطوطات البحر الميت، أخنوخ الأول، (٢/ ٣٧).

(٣) الإغرغورا: (الملائكة الساهرة المقدسة التي كانت تبكي من أجل الملائكة الخطاة) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٩).

(٤) مخطوطات البحر الميت، أخنوخ الثاني،(٣/ ١٤٩).

ثانيًا: دعوى خطيئة الملائكة في الروايات الإسلامية في تفسير ابن كثير:

ذكر ابن كثير في تفسيره قصة الملكين، هاروت وماروت، وأرجعها إلى روايات جماعة من التابعين، مثل مجاهد، والسدي، والحسن البصري، وقتادة وغيرهم. وأخبر أن تلك الروايات ترجع إلى أخبار بني إسرائيل، فقال: « ليس فيها حديث صحيح متصل الإسناد »[١]، وقد حسم ابن كثير هذا الحكم لإبطال الاعتقاد بما يتضمنه هذا الخبر.

زمن ظهور الملائكة الخطاة في رواية ابن كثير:

ذكر ابن كثير في تفسيره أن زمن ظهور الملكين، هاروت وماروت، اللذين ارتبطا بارتكاب بني آدم المعصية، كان في زمن إدريس ﷺ[٢]. وهنا نجد تشابهًا بين الروايتين اليهودية والإسلامية في تزامن خطيئة الملائكة فيهما مع زمن إدريس ﷺ.

رواية ابن كثير في أسباب خطيئة الملائكة:

أورد ابن كثير أن أسباب خطيئة الملائكة تكمن في الاعتراض على أفعال بني البشر، وما قاموا به من أعمال فاسدة، كالكفر بالله، وقتل النفس، وأكل المال الحرام، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم ولا يعذرونهم. فقيل إنهم في غيب؛ فلم يعذروهم، فقيل لهم: اختاروا من أفضلكم ملكين، آمرهما وأنهاهما، فاختاروا هاروت وماروت؛ فأهبطا إلى الأرض، وجعل لهما شهوات بني آدم، وأمرهما الله أن يعبداه ولا يشركا به شيئًا، ونُهيا عن قتل النفس المحرم قتلها، وأكل المال الحرام، وعن الزنا، والسرقة، وشرب الخمر. فيقول ابن كثير: « فلبثا في الأرض زمانًا يحكمان بين الناس بالحق والعدل، وذلك في زمن إدريس ﷺ »[٣].

وذكر ابن كثير في روايته أن سبب نزول الملكين هاروت وماروت، كان لاختبار البشر.

استشهادًا بقول الله تعالى في سورة (البقرة/ ١٠٢): ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

---

(١) ابن كثير، التفسير، (١/ ١٤٢).
(٢) نفسه، (١/ ١٤١).
(٣) ابن كثير، (١/ ١٤١).

وفيما يختص بعدد الملائكة مقارنة بين الروايات اليهودية والإسلامية، ذكرت الروايات اليهودية أن عددهم كان مائتين برئاسة عشرين من رؤساء الملائكة، وفى مقدمتهم الملاكان شمحازا وعزائيل، أما في الروايات الإسلامية فلم تذكر سوى الملكين هاروت وماروت. وتختلف دعوى خطيئة الملائكة في الرواية اليهودية عنها عند ابن كثير، فقد أخبر بشأن هاروت وماروت، أنهما كانا مأمورين من قبل الله باختبار البشر.

تعاليم الملائكة المذنبة لبني البشر في تفسير ابن كثير:

ورد في تفسير ابن كثير بشأن هاروت وماروت أن نزولهما وتعليمهما لبني آدم السحر كان ابتلاء من الله للناس [1]، وذكر ابن كثير أيضًا نقلًا عن الإسرائيليات أنهما علما (الزهرة) - المرأة التي افتتنا بها - الكلام الذي إذا تكلم به أحد يعرج به إلى السماء [2]، قيل علماها اسم الله الأعظم، وهو ما ورد في الرواية اليهودية.

رواية ابن كثير لخطيئة الملائكة بسبب المرأة:

ذكر ابن كثير في تفسيره الخطيئة التي نسبت إلى الملكين هاروت وماروت بأنهما تدنسا مع (الزهرة) وكانت من أجمل النساء، وأنها مسخت كوكبًا. واسمها بالنبطية (بيذخت) وبالفارسية (أناهيد) وبالعربية (الزهرة).

فجاءت الرواية على قول ابن كثير في تفسيره: « أنه كان في ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب، وقد جاءتهما تخاصم زوجها، وأنهما أتيا عليها فخضعا لها في القول، وراوداها عن نفسها؛ فأبت إلا أن يكونا على أمرها وعلى دينها، فسألاها عن دينها، فأخرجت لهما صنمًا، فقالت: هذا، اعبداه، فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا، فذهبا، فعبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها فراوداها عن نفسها، ففعلت مثل ذلك؛ فذهبا، ثم أتيا عليها، فراوداها عن نفسها، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم، قالت لهما: اختارا أحد الخلال الثلاث؛ إما أن تعبدا هذا الصنم، وإما أن تقتلا هذه النفس (زوجها)، وإما أن تشربا هذه الخمر. فقالا: كل هذا لا ينبغي،

---

(١) ابن كثير، تفسير، (١/ ١٣٨).

(٢) ابن كثير، تفسير، (١/ ١٤) وتفسير البغوي، (١/ ١٠٠).

وأهون هذا شرب الخمر، فشربا الخمر، فأخذت الخمر فيهما؛ فواقعا المرأة، فخشيا أن يخبر الناس عنهما؛ فقتلا الرجل، فلما ذهب عنهما السكر، وعلما ما وقعا فيه من الخطيئة، أرادا أن يصعدا إلى السماء فلم يستطيعا، وحيل بينهما وبين ذلك، وكشف الغطاء فيما بينهما وبين أهل السماء، فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه، فعجبوا كل العجب، وعرفوا أنه من كان في غيب، فهو أقل خشية؛ فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فنزل في ذلك في قوله تعالى في سورة (الشورى/ ٥): ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فقيل لهما: اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فإنه ينقطع ويذهب، وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له؛ فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل فهما يعذبان »[(١)].

وقد أرجع ابن كثير هذه الرواية إلى الحاكم في مستدركه مطولًا عن أبي زكريا العنبري، عن محمد بن عبد السلام، عن إسحاق بن راهويه، عن حكام بن سلم الرازي وكان ثقة، عن أبي جعفر الرازي، ثم قال: صحيح الإسناد لم يخرجاه[(٢)].

وفي رواية أخرى لابن كثير، عن ابن أبي حاتم، فجاءت مثل السابقة، غير أن الملكين حينما شربا من الخمر، ثم قتلا، ثم سجدا، قالت لهما: أخبراني بالكلمة التي إذا قلتماها طرتما[(٣)]، فأخبراها فطارت، وأنساها الله ما تنزل به، فبقيت فمسخت جمرة، وهي هذه الزهرة.

ويستطرد ابن كثير الحديث عن الملكين هاروت وماروت بقوله: « وأما هما، فأرسل إليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فهما مناطان بين السماء والأرض ». وقد نقد ابن كثير هذا السياق، وقال: فيه زيادة كثيرة وإغراب ونكارة[(٤)].

وهذه الرواية تبعد كثيرًا عن التصور العقلي، فكيف لهذه المرأة عابدة الصنم، أن تصبح كوكبًا في السماء، وكيف للملائكة المعصومة عن الخطأ أن تقترف معها مثل هذه الذنوب، فيشربان الخمر، ويواقعانها، ويقتلان. كما قيل أن هذه المرأة مسخت

---

(١) ابن كثير، التفسير (١/ ١٤١).
(٢) ذكره الحاكم في المستدرك، (٢/ ٤٨٠).
(٣) المقصود اسم الله الأعظم.
(٤) المرجع نفسه، (١/ ١٤١).

جمرة، وغيرها من أمور لا يصدقها العقل أو المنطق. وهي من الأساطير. وقد أخبر الله ﷻ في حق الملائكة في سورة (التحريم/ ٦) أنهم ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [١].

ويذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في أمر الملكين هاروت وماروت، أن ما كان من أمرهما آثار غالبها إسرائيليات، تلقوها عن كعب الأحبار، وفيه أنه تمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر، وأنهما لما طلبا منها ما ذكر، أبت إلا أن يعلماها الاسم الأعظم؛ فعلماها. فقالته، فارتفعت إلى السماء فصارت كوكبًا، وقيل كان أمرهما في زمان إدريس ﷺ، وقيل في زمان سليمان بن داود، إلا أنه خبر إسرائيلي مرجعه إلى كعب الأحبار، كما رواه عبد الرازق في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار وهذا أصح إسنادًا على قول ابن كثير.

ويذكر ابن كثير أنه قيل أن هاروت وماروت كانا قبيلين من الجان، قاله ابن حزم، ويرى ابن كثير أن هذا القول غريب وبعيد. ويقول ابن كثير أن هناك من الناس من يقول أنهما ملكان من السماء، ويكون حكمهما كحكم إبليس إن قيل إنه من الملائكة، لكن الصحيح أنه من الجن [٢].

ومما سبق نجد أن ابن كثير قد نقل تلك الروايات السابقة والتي تتشابه مع الرواية اليهودية التي ذكرت في مدراش يلقوط شمعوني الخاصة بخطيئة الملكين، حيث يرجع جميعها إلى الإسرائيليات التي لم يذكر فيها حديث صحيح الإسناد عن رسول الله ﷺ.

وينبغي توخي الحذر في نقل التفاسير الإسلامية لهذه الروايات، فما ينبغي لأحد أن يتقول على ملائكة الله التي خلقها من نور بمثل ما ورد في القصص اليهودية، فالملائكة لم تدنس ولم تخطئ، ونستشهد على ذلك بقول الله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٣] [التحريم: ٦] وقوله تعالى في سورة (الكهف/ ٥٠):

---

(١) أبو شهبة: محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مرجع سابق، (ص ١٥٩، ١٦٠).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (ص٤٨، ٤٩).

(٣) أبو شهبة: محمد بن محمد، مرجع سابق، (ص١٥٩، ١٦٠).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ، ويلاحظ هنا أن الذي أخطأ في حق الله هو إبليس وأعوانه من الشياطين، أما الملائكة فقد خلقت لطاعة الأمر الإلهي، ويبدو هذا في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ ، وعودة ضمير الجمع على الملائكة كافة.

وعلى الرغم من نقد ابن كثير لهذه الرواية وقوله: فيه زيادة كثيرة وإغراب ونكارة، وتدقيقه في بيان صحة ما يقول مما جعله حجة العلماء المسلمين؛ فقصة الزهرة وما شابهها لا ينبغي الاحتفاظ بها في الروايات الإسلامية، وخاصة أنها لا تمثل عظة أو اعتبارًا أو شيئًا نقتدي به.

استغاثة الملائكة بإدريس عليه السلام في الرواية الإسلامية:

ذكر ابن كثير – في أمر استغاثة الملكين هاروت وماروت بالنبي إدريس عليه السلام – رواية أخرجها ابن أبي حاتم عن مجاهد أنهما قالا: « لو أتينا فلانًا (أي إدريس عليه السلام) فسألناه يطلب لنا التوبة فأتياه، فقال: رحمكما الله، كيف يطلب أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: إنا ابتلينا » [١] . وقد حكم ابن كثير على هذه القصة أنها أُخذت عن كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل لا عن النبي ﷺ.

ويذكر ابن كثير في تفسيره، أن إدريس عليه السلام استجاب لطلبهما في التوبة إلى الله، فطلب منهما أن يأتياه يوم الجمعة، فلما أتياه قال: ما أُجِبْتُ فيكما، وطلب منهما أن يأتياه في الجمعة الثانية [٢] . وهذا يعني استمرارية دعائه لله للتوسل من أجلهم.

الرد الإلهي والحكم على الملائكة في الرواية الإسلامية:

جاء في رواية ابن كثير: « إن الله خير الملكين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فجُعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة من نار عاليهما أسافلهما » [٣] ، وقد حكم ابن كثير على هذه الرواية أنها أُخذت عن

---

(١) السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، (١/ ٢٤٠، ٢٤١).

(٢) السيوطي، مرجع سابق، (١/ ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٨) وابن كثير، (١/ ١٤٢) وكذا تفسير الطبري، (١/ ٤٥٩).

(٣) وهي تطابق الرواية اليهودية التي ذكرت أن شمحازاي قام بتعليق نفسه بين السماوات والأرض وكانت رأسه تتجه لأسفل، وقدمه لأعلى، وأنه لا يزال على هذا الوضع ليكفر عن ذنوبه.

كعب الأحبار، عن كتب بني إسرائيل، وروى أيضًا: أنهما أمرا أن ينزلا ببابل، وأنهما معلقان في الحديد، مطويان يصفقان بأجنحتهما [١] .

هاروت وماروت في التفاسير الإسلامية:

هاروت وماروت في تفسير الطبري: يشرح الطبري في تفسيره قول الله تعالى في سورة (البقرة/ ١٠٢): ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ .

قال ابن جرير: إن الله تعالى جعل الملكين هاروت وماروت فتنة لعباده من بني آدم، وذلك بقولهما لمن يتعلم منهما السحر ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فيمحص المؤمن بتركه التعلم منهما، ويخزي الكافر بتعلمه السحر والكفر، فيكون الملكان في تعليمهما مطيعين لله؛ إذ إنهما يؤديان ما أمرهما به الله [٢] .

ثم يذكر الطبري عن قتادة عن ابن عباس اختيار الملائكة لهاروت وماروت للهبوط إلى الأرض، لدى اعتراضهم على أعمال بني آدم وخطاياهم في الأرض؛ فيذكر اقترافهما الخطيئة مع المرأة، فيقول: « وإنهما عرض لهما امرأة يقال لها (بيذخت) فلما أبصراها أرادا بها زنا ».. إلى آخر أحداث الرواية التي ذكرناها سابقًا، والتي انتهت بتخييرهما بين عذاب الدنيا أو الآخرة بعدما وقعوا في المعصية، فاختارا عذاب الدنيا، وكبلا من أكعبهما إلى أعناقهما، كمثل أعناق البخت، وجعلا ببابل [٣] .

---

(١) ابن كثير، (١/ ١٤٢) وكذا تفسير الطبري، (١/ ٤٥٩) والسيوطي، (١/ ٢٤٨).

(٢) ابن جرير الطبري، التفسير، (١/ ٤٥٥). (٣) الطبري، تفسير، (١/ ٤٥٦).

كما حدث الطبري، عن ابن مسعود وابن عباس أن الملائكة كانوا يستغفرون للذين آمنوا، فلما وقعا – الملكان – في الخطيئة، استغفروا لمن في الأرض؛ فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فاختارا عذاب الدنيا.

وذكر الطبري أيضًا عن عمير بن سعيد قال: « سمعت عليًّا يقول: كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يعلماها الكلام الذي إذا تكلم به يعرج به إلى السماء. فعلماها فتكلمت به، فعرجت إلى السماء، فمسخت كوكبًا »[1].

هاروت وماروت في تفسير الخازن: قال الخازن في شأن هاروت وماروت: (هاروت وماروت) اسمان سريانيان. وقصة الآية على ما ذكره ابن عباس وغيره قالوا: إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بني آدم الخبيثة في زمن إدريس عليه السلام عيروهم. وقالوا: هؤلاء الذين جعلتهم في الأرض واخترتهم وهم يعصونك، فقال الله تعالى: لو أنزلتكم إلى الأرض، وركبت فيكم ما ركبت فيهم، لركبتم مثل ما ركبوا، قالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نعصيك، قال الله تعالى: فاختاروا ملكين من خياركم، أهبطهما إلى الأرض؛ فاختاروا هاروت وماروت، وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم، وكان اسم هاروت عزا، وماروت عزايا، فغير اسمهما لما قارفا الذنب، وركب الله فيهما الشهوة، وأهبطهما إلى الأرض، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق، ونهاهما عن الشرك، والقتل بغير الحق، والزنا، وشرب الخمر، فكانا يقضيان بين الناس يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم، وصعدا إلى السماء، فما مر عليهما شهر حتى افتتنا. وقيل: بل افتتنا في أول يوم، وذلك أنه اختصم إليهما امرأة يقال لها: الزهرة وكانت من أجمل أهل فارس. وقيل: كانت ملكة، فلما رأياها أخذت بقلوبهما، فقال أحدهما لصاحبه: هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي؟ قال: نعم، فراوداها عن نفسها فأبت وانصرفت. ثم عادت في اليوم الثاني، ففعلا مثل ذلك؛ فأبت، وقالت: لا، إلا أن تعبدا هذا الصنم، وتقتلا النفس، وتشربا الخمر. فقالا: لا

(١) الطبري، تفسير، (١/ ٤٥٣ – ٤٥٩).

سبيل إلى هذه الأشياء، فإن الله تعالى قد نهانا عنها. فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث، ومعها قدح خمر، فراوداها عن نفسها، فعرضت عليهما ما قالت بالأمس، فقالا: الصلاة لغير الله عظيم، وقتل النفس عظيم، وأهون الثلاثة شرب الخمر، فشربا، فلما انتشيا وقعا بالمرأة فزنيا بها، فرآهما إنسان، فقتلاه خوف الفضيحة. وقيل: إنهما سجدا للصنم. وقيل: جاءتهما امرأة من أحسن الناس تخاصم زوجها. فقال: أحدهما للآخر هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي؟ قال: نعم، قال: هل لك أن تقضي لها على زوجها. فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب؟ فقال له صاحبه: أما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة؟ فقتلاه، ثم سألاها نفسها فقالت: لا؛ إلا أن لي صنمًا أعبده، إن أنتما صليتما معي عنده فعلت. فقال أحدهما: لصاحبه مثل القول الأول فرد عليه مثله؛ فصليا فمسخت شهابًا. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: قالت لهم: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء، فقالا: اسم الله الأكبر. قالت: فما أنتما بمدركي حتى تعلماني إياه. فقال: أحدهما للآخر: علمها. فقال إني أخاف الله، فقال الآخر: فأين رحمة الله؟ فعلمها ذلك، فتكلمت به، وصعدت إلى السماء، فمسخها الله كوكباً، فذهب بعضهم إلى أنها هي الزهرة بعينها، وأنكر آخرون ذلك، وقالوا: إن الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي أقسم الله بها، فقال في سورة (التكوير ١٥، ١٦): ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ »[١].

ويضيف الخازن في روايته عن هاروت وماروت فيقول: « التي فتنت هاروت وماروت كانت امرأة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها، فلما بغت مسخها الله تعالى شهابًا. قالوا: فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب، هما بالصعود إلى السماء، فلم تطاوعهما أجنحتهما، فعلما ما حل بهما؛ فقصدا إدريس النبي ﷺ، وأخبراه بأمرهما، وسألاه أن يشفع لهما إلى الله ﷻ. وقالا له: رأينا يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض، فاشفع لنا إلى ربك، ففعل ذلك إدريس ﷺ؛ فخيرهما الله

---

(١) الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، (٢/ ٨٨-٩٠).

بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا؛ إذ علما أنه ينقطع، فهما ببابل يعذبان. وقيل: إنهما معلقان بشعورهما إلى قيام الساعة (١) . وقيل: إنهما منكوسان يضربان بسياط الحديد. وقيل: إن رجلًا قصدهما ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما، مزرقة عيونهما، مسودة جلودهما، ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا قدر أربع أصابع، وهما يعذبان بالعطش، فلما رأى ذلك هاله، فقال: لا إله إلا الله. فلما سمعا كلامه قالا: لا إله إلا الله!!! من أنت؟ قال: رجل من الناس. فقالا: من أي أمة أنت؟ قال: من أمة محمد ﷺ، قالا: أو قد بعث محمد ﷺ؟ قال: نعم. فقالا: الحمد لله، وأظهرا الاستبشار. فقال الرجل: مم استبشاركما؟ قالا: إنه نبي الساعة، وقد دنا انقضاء عذابنا » (٢) .

ويقول الخازن: « ما نقله المفسرون وأهل الأخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله ﷺ منه شيء، وهذه الأخبار إنما أخذت من اليهود، وقد علم افتراؤهم على الملائكة والأنبياء، وقد ذكر الله ﷻ في هذه الآيات، افتراء اليهود على سليمان أولًا، ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيًا، قالوا: ومعنى الآية وما كفر سليمان، يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين، واتبعتهم في ذلك، فأخبر عن افترائهم وكذبهم » (٣) .

هاروت وماروت في تفسير القرطبي: قال القرطبي في أمر الملكين هاروت وماروت: « روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار والسدي والكلبي ما معناه أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم ﷺ، وذلك في زمن إدريس ﷺ، عيرتهم الملائكة، فقال الله تعالى: أما إنكم لو كنتم مكانهم وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعملتم مثل أعمالهم، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك، قال: فاختاروا ملكين من خياركم؛ فاختاروا هاروت وماروت؛ فأنزلهما إلى الأرض، فركب فيهما الشهوة، فما مر بهما شهر حتى فتنا بامرأة، اسمها بالنبطية بيذخت، وبالفارسية أناهيد، وبالعربية الزهرة، اختصمت إليهما... » إلى آخر القصة (٤) .

---

(١) الخازن، مرجع سابق (١/ ٩٠).

(٢) الخازن، (١/ ٩٠، ٩١) وهذا التفسير تلخيص لما جاء في تفسير البغوي، (١/ ١٠٠ – ١٠٢).

(٣) تفسير الخازن، (١/ ٩١).

(٤) القرطبي، مرجع سابق، (٢/ ٥١).

ويضيف القرطبي: « وقال سالم عن أبيه عن عبد الله: فحدثني كعب الحبر أنهما لم يستكملا يومهما حتى عملا بما حرم الله عليهما، وفي غير هذا الأثر، فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، فهما يعذبان ببابل في سرب من الأرض، قيل بابل العراق، وقيل بابل نهاوند، وكان ابن عمر فيما يروي عن عطاء أنه كان إذا رأى الزهرة وسهيلًا، سبهما وشتمهما، ويقول: إن سهيلًا كان عشارًا باليمن يظلم الناس، وإن الزهرة كانت صاحبة هاروت وماروت »[1].

ويقول القرطبي: « هذا كله ضعيف..... فإنه قول تدفعه الأصول في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ».

ويضيف قائلًا: « وقد نزهناهم وهم المنزهون عن كل ما ذكره ونقله المفسرون ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ »[2].

هاروت وماروت في تفسير أبي السعود: جاء في تفسير أبي السعود: « أن الملكين حينما سألتهما الزهرة أن يعلماها ما يصعدان به إلى السماء، علماها الاسم الأعظم، فدعت به وصعدت إلى السماء، فمسخها الله سبحانه كوكبًا، فهما بالعروج حسب عادتهما، فلم تطعهما أجنحتهما، فعلما ما حل بهما، وكان في عهد إدريس عليه السلام، فالتجآ إليه ليشفع لهما، ففعل، فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا الأول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل، قيل معلقان بشعورهما، وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد إلى قيام الساعة، ومداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل، ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشاد اللبيب الأريب بالترغيب والترهيب »[3].

والخلاصة في دعوى خطيئة الملائكة بالمقارنة بين الروايات اليهودية والإسرائيليات الواردة في تفسير ابن كثير، وغيره من المفسرين، نجد عددًا من نقاط التشابه، مثل:

- الارتباط القوي بين أخنوخ (إدريس عليه السلام) والملائكة عمومًا، ويرجع هذا

(١، ٢) تفسير القرطبي، (٢/ ٥٢).

(٣) تفسير أبي السعود، (١/ ١٣٨).

الارتباط إلى صفات إدريس ﷺ العلوية، من حيث عبادته المخلصة، وتوجهه الخالص إلى الله.

- قرب عهد أخنوخ (إدريس ﷺ) بآدم ﷺ، وما كان من خطيئة آدم وحواء، ثم ما حدث بين قابيل وهابيل من جراء قتل قابيل أخيه هابيل، والآثار التي ترتبت عليها في نسل كل منهما، ثم ظهور الفساد على الأرض، كل ذلك دعا أخنوخ (إدريس ﷺ) إلى قيامه بمهمة النصح والإرشاد لقومه، وكانت مهمة شاقة، كلفه الله تعالى بها، باختياره نبيًا لهداية قومه ومقاومة الفساد، ونسترشد على هذا بقوله تعالى في وصف إدريس ﷺ بالصبر في قوله تعالى في سورة (الأنبياء/ ٨٥): ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ .

- اتفقت الروايات اليهودية والمرويات الإسلامية في اختبار الله تعالى لملائكته، الذين جادلوه بشأن الفساد والفتنة التي ظهرت على الأرض، حيث أكدوا بعدم وقوعهم في الفتنة، ولم يمتثلوا لأمر الله؛ فوقعوا في المعصية، مما أوقعهم في العقاب الإلهي.

- أما بشأن البشر فكانت الملائكة اختبارًا لهم أيضًا، حيث تعلموا منهم أمور السحر وغيرها من أمور لا يرضى عنها الرب، وقد أكد القرآن على هذه المسألة في أمر الملكين هاروت وماروت، أنهما لا يقومان بتعليم السحر إلا إذا قالا في قوله تعالى في سورة (البقرة/ ١٠٢): ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ .

- الحكمة في أن الله ﷻ خير الملائكة في اختيار العقاب الدنيوي أوالأخروي، بين عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فاختاروا عذاب الدنيا حتى قيام الساعة، بدلًا من عذاب الآخرة الذي هو أشد وطأة وعذابًا.

- في رواية ابن كثير نقلًا عن مجاهد أن إدريس ﷺ قال للملائكة حينما طلبت منه الدعاء لها: « كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ » وقد ذكرتها الروايات اليهودية، فيدل هذا القول على الاعتراف منه بضعفه كبشر على الأرض، وعجزه أمام قدرة الله تعالى، على الرغم من اصطفاء الله تعالى له، باختياره نبيًا على قومه، ثم الحكمة الإلهية في بيان علو قدر ومكانة الإنسان الذي جعله الله خليفة له في الأرض، وجاء ذلك من

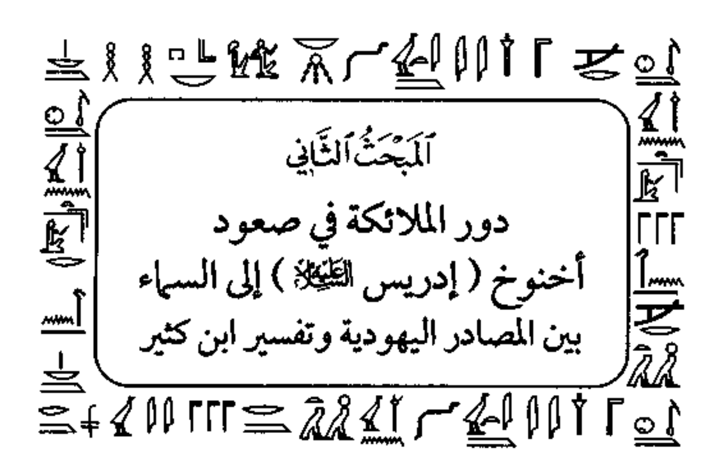
خلال استغاثة الملائكة بالنبي إدريس ﷺ، فتأتي هنا الحكمة لإظهار أهمية الاقتداء بالأنبياء، فإذا كانت الملائكة على علو قدرها ومكانتها في السماء، تطلب من النبي (إدريس ﷺ) - وهو على الأرض - الدعاء والشفاعة لها، فما بالك بالإنسان، فعليه أن يقتدي بالأنبياء في حركاتهم وسكناتهم وخضوعهم لله. قال تعالى في حق أنبيائه في سورة (الأنعام/ ٩٠):﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ .

- الموعظة لبني البشر، في أن أحدًا من الخلق أيًا كان شأنه حتى وإن كان ملكًا خلقه الله تعالى لتقديسه وتسبيحه لن يسلم من العقاب إذا أخطأ، فقد كان هاروت وماروت من خيار الملائكة على حد ما ورد في رواية ابن كثير والطبري وغيره، وعلى الرغم من ذلك فقد تعرضا للعقاب الإلهي بإنزالهما الأرض حتى قيام الساعة.

أما ما ورد بشأن الملائكة المتمردة، والمبالغات التي وردت في الرواية اليهودية، مثل تعليمهم البشر استخدام الأسلحة الحادة، وتعليم النساء استخدام الأصبغة والزينة بهدف الفتنة، والتي لم يشر إليها ابن كثير وغيره من المفسرين، فتلك أمور خارجة عن نطاق التصور، وتلصق بملائكة خلقت لعبادة الله وطاعته.

وكذلك الرواية اليهودية الواردة بشأن دعوى خطيئة الملائكة مع عشتار أو الزهرة، والذين تدنسوا معها وواقعوها، وعلموها اسم الله الأعظم، فطارت إلى السماء، ومُسخت كوكبًا، وقيل جمرة، فقد نقلها ابن كثير وكذلك القرطبي، وقاما بعزوها إلى الإسرائيليات التي لا يصح خبرها؛ حماية للمسلمين من الوقوع في مثل هذه الافتراءات التي لا سند لها في الشرع وحملتها الإسرائيليات.

* * *



المَبْحَثُ الثَّاني

دور الملائكة في صعود أخنوخ (إدريس عليه السلام) إلى السماء

بين المصادر اليهودية وتفسير ابن كثير

الملاك كما جاء معناه في الموسوعة اليهودية هو مخلوق سماوي روحاني، يتم إرساله لتنفيذ مهام إلهية، أو كمرسل ومبلغ لأوامر ربانية لبني البشر مشابهة لدور النبي الذي يقوم بإرسال رسائل إلهية من الرب للبشر. ومن الناحية اللغوية فكلمة ملاك في العبرية معناها رسول.

وتظهر الملائكة في اليهودية في صور بشرية وآدمية، وباستطاعتهم أن يتراءوا أمام البشر، وباستطاعتهم أيضًا أن يخفوا أنفسهم. ويوجد في العهد القديم حالات ظهور وتجلي لكثير من الملائكة على هيئة بني البشر، ومثال على ذلك، الثلاثة ملائكة الذين أرسلهم الرب إلى أفراهام (إبراهيم عليه السلام)، والملاك الذي جاء ليبشر نوح بولادة ابنه شمشون، وحسب أقوال الربانيين في التلمود فإن النبي يوسف حينما بحث عن إخوته في الصحراء قابل رجلًا يقول الربانيون أنه هو نفسه الملاك (جبورئيل) وقد أخذ شكل الإنسان. وحسب إحدى الاعتقادات اليهودية فإنه لا يجب النطق بأسمائهم حتى لا يقوم الملاك الذي تم تهجئة اسمه من خلال أحد البشر بإيذاء ذلك الشخص الذي قال اسمه [١].

وطبقًا للتراث اليهودي والتقاليد اليهودية فإن الملائكة تم خلقهم على أيام مختلفة، وبأنواع مختلفة؛ ففي اليوم الأول من خلق العالم تم خلق ملائكة الحق الذين يتمتعون

---

(١) האינציקלופדיה היהודית –דעת–ערך מלאך.

بالخلود ولا يموتون، ويعيشون للأبد، وفي اليوم الثاني تم خلق ملائكة العدل؛ ومنهم ملاك الموت، وفي اليوم الخامس تم خلق سائر الملائكة، بينما تم خلق الإنسان في اليوم السادس [١] ، وحسب أحد الآراء فإن الله قد خلق الملائكة لمهمات معينة وحينما تنتهي مهمة أحدهم؛ فإن الرب ينهي دوره، وورد أيضًا في الموسوعة اليهودية أنه في مقدمة تنظيم الملائكة العلويين نجد الملاك مطاطرون ـ الذي قيل أنه أخنوخ ـ وقد أعطى له الرب سبعين اسمًا وهو شخصية مقربة جدًّا من الرب [٢] .

وحسب سفر (الزوهار) [٣] فإن الملاك مطاطرون مثل شخصية رائي البشر الذي رآه النبي حزقيال في نبوءته، والذي كان يجلس على عرش المركبة، ويسمى آدم الصغير.

وحسب الأجاداه (القصص اليهودية) يستطيع الإنسان أحيانًا أن يتحول إلى ملاك، مثلما حدث مع أخنوخ، حينما تحول إلى الملاك مطاطرون بسبب طهارته. ولكن على العكس من أخنوخ نجد ملائكة مثل عزائيل قد سقطوا من العالم السماوي إلى العالم الأرضي.

وحسب أقوال الأحبار(رجال الدين اليهود) فقد ورد في مدراش بريشيت رابا (الجزء ١٦) أنه يوجد للنباتات ملاك قائم على شؤونها، يحافظ عليها ويحرسها،

---

(١) האינציקלופדיה היהודית –דעת– ערך מלאך.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) كتاب (الزوهار) أهم كتب التراث القبالي، وهو مكتوب باللغة الآرامية. والقبالاه، عقيدة يهودية تبحث في أسرار الكون والخالق والمخلوقات عن طريق اللجوء إلى تفسيرات غيبية، وتأثيرات باطنية تهدف إلى الوصول لتحقيق نظرية حلول الإله في كل فرد يهودي، بحيث يمتلك هذا الفرد امكانية التأثير في الإله لحلوله فيه، وتأكيد فكرة حلول الإله في الشعب اليهودي، واعتبار أن شعب إسرائيل شعب خاص متميز، وهو الحاكم في النهاية لكل شعوب الأرض، وغيره من الشعوب ما هي إلا خدم له.
ويعتقد أصحاب هذه العقيدة أنهم الوحيدون أصحاب السيادة والمعرفة في الأرض، وهم الفاهمون، والعقلاء، والعارفون الذي سيظهر المسيح المنتظر منهم، وقد حل فيه الإله بكل مقوماته، وهو الذي سيقود الشعب لتسييده على كل شعوب العالم. وهذا هو الفكر المعاصر الذي يتعامل به اليهود مع شعوب الأرض قاطبة. هدى درويش، عقيدة القبالاه ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٣٣ يوليو ٢٠٠٤م (ص ٢١١).

وحسب قول رابي سيمون: « لا يوجد أي عشب إلا وله ملاك في السماء يضربه ويقول له إنمُ ».

وقد ورد في نفس المدراش: أنه لا يوجد ملاكان يقومان بمهمة واحدة [(١)]؛ وأن الله يخلق كل يوم مجموعة جديدة من الملائكة.

ومن المعروف في القصص اليهودي (الأجاداه) أنه يوجد مصطلح (جيش) أو (جند) ملائكة الرب، ويميز كتاب الزوهار بين ملائكة الخدمة، وملائكة الألم، وبين ملائكة الحق، وملائكة العدل، وبين الملائكة ذوي الطابع الذكوري، القادة والحاكمين، والملائكة ذوي الطابع الأنثوي (من يتم قيادتهم والمحكومين).

وفي التلمود وأدب القبالاه تظهر أنواع متعددة من الملائكة مثل السيرافيم، والكروبيم وغيرهم. فالكروبيم هم ملائكة الآلام، وأشكالها مذكورة في رؤية المركبة لحزقيال النبي، وهم موصوفون كحيات ذوي أربعة أجنحة [(٢)] ومهمتهم حمل المركبة الإلهية، ومنع آدم من العودة إلى جنة عدن [(٣)] . يطلق عليهم في العبرية (כרובים) (كروبيم)، وهناك عدة آراء لعلماء المشنا تشرح دور الكروبيم، الأول:

---

(١) مدراش بريشيت رابا، (٥٠). (٢) سفر حزقيال، (١ – ١٠).

(٣) يقول عبدالوهاب المسيري في موسوعته مادة الكروب: « (كروب) كلمة عبرية تعني (ملاك) وجمعها (كروبيم)، وهي مشتقة من الكلمة الأكادية (كاريبو) بمعنى (شفيع). وكانت (الكاريبو) في بلاد الرافدين، خصوصًا في آشور، عبارة عن ثيران أو أسود مجنحة لها رؤوس بشر، وكانت هذه التماثيل توضع على مداخل المعابد والقصور، والكروب آلهة ثانوية تتدخل لدى كبير الآلهة لصالح الإنسان، وتعود فكرة الملائكة (كروبيم) في اليهودية إلى أصول آشورية وسورية وكنعانية، وربما مصرية أيضًا، وقد استُخدمت الكروبيم لإضفاء طابع جمالي على الهيكل، ولم تكن الملائكة آلهة ثانوية في اليهودية، وإنما كائنات خلقها الإله، وهي تحمل عرشه، وتحرس بوابات جنة عدن وشجرة الحياة والهيكل، وتظهر على هيئات مختلفة، فقد تم تخيُّلها على أنها ذات وجهين؛ وجه بشر، ووجه حيوان، وفي رواية أخرى صُوِّرت على هيئة حيوانات ذات أربعة أوجه؛ إنسان وأسد وثور ونسر، وقد حاول فيلون أن يفسر دلالة الملاكين بأنهما رمز للخير والسيادة، ولكن راب فتينا – وهو فقيه من بابل في القرنين الثالث والرابع – بيَّن أنهما يمثلان رموزًا جنسية مقدَّسة، وأنهما كانا يُعرضان أثناء الحج على جماهير اليهود، فيزاح ستار قدس الأقداس، ويُقال: « انظروا إن حبكم للإله هو مثل حب الذكر للأنثى ». المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (م٥، ج٢، ب١٩)، مدخل الكروب (الملائكة).

رابي أفراهام بن عزرا الذي يقول أن الكروبيم هم وسائل لنقل قوة الرب إلى البشر، وأيضًا هم عبارة عن أدوات لنقل قوى تنتمي للعالم السماوي العلوي - أي عالم الرب والملائكة - إلى العالم السفلي عالم البشر.

ويرى رابي يهودا هاليفي، أن الكروبيم وظيفتهم إسكان الشخيناه، أو روح الرب وسط شعب إسرائيل، حسب رأي رابي موشى بر نحمان، فالكروبيم في المعبد عبارة عن نسخة من الكروبيم المحيطين بعرش الرب ومركبته، وذلك حسب أوصافهم التي وردت في سفر حزقيال، وعلى حد زعم رابي مائير الكاهن من مدفينسك في تفسيره المعروف باسم (משך חכמה) على التوراة، فقد رأى أن الكروبيم وسيلة يستطيع بها شعب إسرائيل معرفة إذا كان الرب راضيًا عن أعماله أو غاضبًا منه، فالملائكة حسب وجهة نظر هذا الرابي، هم مجرد أدوات ليس لها كيان علوي وراقي، وليس لهم قداسة ذاتية أكثر من أي نوع آخر أيًا كان. ويبدو من خلال أقواله أنه يستبعد أي تفسير رمزي للملائكة كما فعل آخرون، أما بالنسبة لرابي موسى بن ميمون، فهو يرى أن وظيفة الملائكة هي أن يأتوا إلى البشر ويذكروهم أن الملائكة موجودون. أما رابي موشى بر نحمان فيرى أن الملائكة يكونون شامل القوى الوسيطة بين الرب والوجود كله، فهم الرسل بين الرب في العالم وبين بني البشر، لذلك اتضح أن ما يعتقده موسى بن ميمون - من أن معرفة وجود الملائكة - كان يسبق المعرفة بالنبوة، ومعرفة النبوة سبقت معرفة التوراة[1].

والكروبيم כרובים طبقًا للفظ العبري مفردها كروب، والكلمة ليست عبرية خالصة. وكان الظن بين بعض العلماء أنها من كلمة Gryps (جروبس) اليونانية، وهى اسم كائن خرافي له جسم أسد مجنح أو غير مجنح، ورأس طائر (وهو النسر عادة)، ولكن الرأي السائد الآن أن كلمة كروب כרובי أكدية الأصل، أخذت من Kariby (كارب)، وهو علم على طائفة خاصة من تلك الكائنات الجنية المجنحة،

---

(١) קליין אלכסנדר ד"ר. תפקידם של הכרובים. אוניברסיטת בר-אילן. הפקולטה למדעי היהדות. לשכת רב הקמפוס, מאת היחידה ללימודי יסוד ביהדות המחלקה למתמטיקה ומכללת אשקלון. מספר 537. תשס"ד.

التي كانت تحرس معابد بابل وقصورها. ومادة كرب في الأكدية من معانيها (صلى) و(بارك)، (ويلاحظ هنا القلب المكاني بين مادة كرب في الأكدية ومادة برك التي تدل على معنى البركة في العربية والعبرية وغيرهما)، ويلاحظ أيضًا معنى برك في وضع الجلوس للصلاة، فكأن هذه الكائنات تصلي للإله في المعبد، أو تبارك الملك في القصر[1] .

أما الملائكة السيرافيم فهم مخلوقات خلقت من مادة النار، ولكل واحد منهم ستة أجنحة، ويسبحون الرب بقولهم: « قدوس قدوس قدوس مجده يملأ كل الأرض »، وهذا حسب ما ورد في نبوءة النبي إشعياء[2] ، وكل جناحين من الستة أجنحة له وظيفة، فجناحان يقوم الملاك بواسطتهما بالطيران، وجناحان يغطي بهما وجهه، وجناحان يغطي بهما قدميه.

ونلاحظ أن الاسم العبري سرافيم تحول في اللاتينية إلى سرافينو، كذلك نلاحظ ظهور ملائكة بأسمائهم الشخصية، مثل جبورئيل: ملاك الجبروت والنار، أو قائد الجبروت، وقائد الحق، ويقف في مكانه على يسار العرش الإلهي، وقد رمز له حزقيال بوجه الثور في نبوءته.

أما ميكائيل: فهو ملاك الواجب والماء والثلج، وهو قائد النور، وقائد جيوش الرب، ومكانه على يمين العرش الإلهي في نبوءة حزقيال، ورمز له حزقيال النبي بوجه أسد.

أما أريئيل: فهو ملاك الإنارة والفهم، معين للإشراف على جند الملائكة والجحيم (شاؤل)، ومكانه أمام العرش الإلهي، ويرمز له حزقيال بشكل رجل في نبوءته.

أما رافائيل: فهو ملاك يشرف على أمور الصحة، وقد قام بمعالجة النبي أفراهام (إبراهيم عليه السلام) بعد أن قام بالختان لنفسه، وموقعه خلف العرش الإلهي، ويظهر في هيئة وجه نسر في نبوءة حزقيال.

والأربعة ملائكة جبورئيل، وميكائيل، وإريئيل، ورافائيل، كما تقول الموسوعة

---

(١) موسكاتي: سبتينو، مرجع سابق، (ص ٣٠٥).

(٢) سفر إشعياء، (٦/ ١ – ١٣).

اليهودية يتم إحصاؤهم وتصنيفهم تحت مجموعة ملائكة الخدمة السبعة، وهم يرمزون إلى الرياح الأربعة السماوية، كما يرمزون إلى الأنهار الأربعة التي تخرج من جنة عدن، والى ركائز الوجود الأربعة، وهم حسب القبالاه (النار والماء والهواء والتراب).

وفي قصص العهد القديم المتنوعة يخرج الملائكة لمهمات محددة على سطح الأرض بأوامر من الرب، وبموجب هذه المهمات يتخذون صورة بشرية مثل الملائكة الثلاثة الذين أتوا وأصبحوا ضيوفًا عند النبي أفراهام [(١)] ،كما أنهم قد يظهروا في شكل غير مادي بل روحاني، مثلما ورد في سفر المزامير [(٢)] .

وحسب ما قاله موسى بن ميمون فإن الملاك الذي يظهر في العهد القديم، وفي الأدب القصصي للربانيين متأثر بفكرة الملاك عند اليونان - وخصوصًا الأرسطوطاليسيين - التي تقول أن الملاك هو عبارة عن قوى متجسدة من قوى الطبيعة [(٣)] .

ويذكر عبدالوهاب المسيري في موسوعته أن الملائكة صيغة جمع عربية لكلمة ملاك التي تقابلها ملآخ العبرية، ومعناها مُرسَل لأداء مل آخاه أي مهمة أو بعثة ويقول المسيري أيضًا: أن الملائكة داخل إطار حلولي تختلف تمامًا عنها داخل إطار توحيدي، فهم داخل الإطار التوحيدي رمز للغيب، وتعبير عن قدرة الإله اللانهائية التي تتجاوز مقدرات البشر وإدراكهم.

أما داخل الإطار الحلولي، فالأمر جدُّ مختلف، فهم ليسوا رسل الإله وحسب، وإنما هم جزء منه ووسطاؤه [(٤)] . ولذا، يشار إلى الملائكة في التراث الديني اليهودي باعتبارهم بنو إلوهيم أو بنو إليم، أي أبناء الإله، أو قيدوشيم، أي المقدَّسون، وأحيانًا تأتي بلفظ إيش، أي رجل. أما أسماء مثل: آرئيليم، أو كروبيم، أو سيرافيم، أو أوفانيم، فتُستخدَم للإشارة إلى الملائكة المرتبطين بالعرش أو المركبة الإلهية. وقد عرف الشرق الأدنى القديم آلهة مجنحة لها رؤوس بشر ذكور وإناث، هي التي تظهر

---

(١) سفر التكوين، (١٨). (٢) (من يصنع ملائكته أرواحًا). سفر المزامير، (١٠٠/ ١٠٤).

(٣) האינציקלופדיה היהודית –דעת–ערך מלאך. http://www.daat.ac.il

(٤) وذلك ما حدث بالنسبة لأخنوخ الذي أصبح مطاطرون باعتباره وسيط الرب للبشر.

أمام القصور الآشورية، كما عرفتها العبادة الكنعانية.

ويظهر الملائكة في الأجزاء الأولى من العهد القديم على هيئة بشر، وهم يضطلعون بوظائف عديدة، من بينها حماية العبرانيين أثناء خروجهم من مصر، وأثناء تجوالهم في البرية، ويفسرون لزكريا ودانيال الرؤى التي شاهدها، كما أنهم يقومون بعقاب المذنبين، مثلما فعلوا عند تحطيم سدوم وعموراه، وهم يحيطون بالعرش الإلهي، ومنهم أيضًا الجوقة التي تسبح للإله. ومن أهم أحداث العهد القديم، حادثة الصراع بين يعقوب والملاك (الذي ظهر فيما بعد أنه الإله)، وقد صرعه يعقوب، وسُمِّي يسرائيل، أي الذي تصارع مع الإله أو من صرع الإله.

ويضيف المسيري في موسوعته عن الملائكة في اليهودية: يرتكب الملائكة الحماقات، فقد ورد في العهد القديم: (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات، أن أبناء الإله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا)[(١)].

ويقول المسيري: « إنه بعد العودة من بابل ترسَّخ مفهوم الملائكة في العقيدة اليهودية، وأصبح للملائكة أسماء وطبقات، وقد تزايد عددهم وتزايدت أسماؤهم في كتب الرؤى (أبوكاليبس)، وظهرت فكرة رئيس الملائكة الذي سقط. ومع هذا، فقد استمرت فرق مثل الصدوقيين في إنكار الملائكة، وهو جزء من إنكارها لفكرة البعث والإله المتجاوز للطبيعة والتاريخ ».

ويضيف المسيري أيضًا: « أن الإيمان بالملائكة داخل الإطار الحلولي هو إحدى العقائد الأساسية في التلمود، وقد تَعمَّق الاهتمام بهم مع ظهور التراث القبَّالي ووصوله إلى ذروته، وهو تعبير عن هيمنة الحلولية. ويضم كتاب الزوهار[(٢)]، وغيره

(١) سفر التكوين، (٦/ ١، ٢).

(٢) كتاب (الزوهار) أهم كتب التراث في عقيدة القبالاه التي تهتم بالأسرار الخفية لحروف ومعاني التوراة، وهو مكتوب باللغة الآرامية. يقول فريق من الباحثين أنه ألف في القرن الثاني الميلادي على يد « شمعون ابن يوحاي » وهو أحد علماء المشنا في فلسطين الذي نسجت العديد من الأساطير والخرافات حول شخصيته، فقد قيل أنه ظل مختفيًا في كهوف ومغاور فلسطين مدة ثلاث عشرة سنة، كشف له خلالها عن أسرار السماء والأرض. وفريق آخر يقول أن كتاب الزوهار ظهر في القرن ١٣، اكتشفه موسى دي ليون =

من الكتب القبَّالية، قوائم طويلة بأسماء الملائكة، ومهمة كل واحد منها، والوقت الذي يزداد فيه نفوذ كل ملاك، ومكانه في الأبراج السماوية »[١].

وقد استُخدمت أسماء الملائكة في القبَّالاه العملية، في إعداد التمائم والتعاويذ المختلفة، بل يصبح الملائكة ـ شأنهم في هذا شأن عزازيل ـ قوى مستقلة عن الذات الإلهية، أي آلهة صغيرة لها إرادة مستقلة تقف على باب السماء، تمنع دخول أدعية البشر للإله، ولذا يحاول اليهود خداعهم، ولاتقاء شرهم، يتلون بعض الأدعية في صلاة الصباح بالآرامية بدلًا من العبرية، وحينما يسمع الملائكة الأدعية بالآرامية، فإنهم يحتارون في أمرها، وأثناء حيرة حارس بوابة السماء، تدخل الأدعية الأخرى دون أن يدري. وهذه من الخرافات التي تضاف إلى خيالات وتصورات شراح ومفسري التوراة في اليهودية.

وقد اتُّهم اليهود بأنهم من عبدة الملائكة من فرط اعتمادهم عليها وتَضرُّعهم لها. ولا يزال كتاب الصلوات الأرثوذكسي يتضمن تضرعات موجهة إلى الملائكة، مثل تلك الموجهة إلى ملاك الرحمة (ملآخ هارحيم). أما أنشودة (شالوم عليخم مل آخي هاشاريت)، أي السلام عليكم يا ملائكة العون، فهي تُنشَد في المعبد أو في المنزل بعد

= وهو الأرجح، والقول بانتسابها لشمعون بن يوحاي إنما بهدف إضفاء القداسة عليها. وقد أخذ كتاب الزوهار شهرة واسعة، واحتل مكانة عند اليهود أعلى من التلمود، وكان على شكل تعليقات على نصوص من الكتاب المقدس، وأسفار موسى الخمسة، ونشيد الإنشاد، والمراثي وراعوث والمراثي، ضمت أفكار متناقضة عن الإله وقوى الشر والكون من خلال كلمات غنوصية باطنية تعتمد على رموز الحروف ومقابلها العددي، فتخرج معاني وأسرار باطنية خفية ساهمت في ازدياد شعبيته. وأخذت الحروف الاثنين والعشرين المكونة للأبجدية العبرية في الزوهار دلالات خفية ومعاني باطنية، واستخدمها للتأثير على القوى الخفية التي تسبب ضررًا للإنسان. وظهرت أولى طبعاته في إيطاليا ١٥٥٨م – ١٥٦٠م وظهرت طبعة في القدس ١٩٤٥م – ١٩٥٨م بالنص الآرامي ويقابله العبري، وترجم إلى الفرنسية والإنجليزية. ويحوي الجزء الأخير من الزوهار التعبير عن رؤية الخلاص عن طريق رؤية رمزية عن شجرة الحياة وشجرة المعرفة؛ فشجرة الحياة عندهم شجرة مقدسة لا يختلط بها شر، وهي التي كانت تحكم العالم، إلا أنها فقدت أهميتها بخطيئة آدم. أما شجرة المعرفة فتحتوي على الخير والشر، وهي التي يستمد منها الموت مقوماته، وهي التي تحكم العالم. هدى درويش، القبالة، مرجع سابق (ص ٢١١، ٢١٢).

(١) المسيري، موسوعة المصطلحات الصهيونية، مجلد ٥، ج٢، باب ١٩.

صلاة المساء، وتتضمن الصلاة الإضافية (موساف) التي تُتلى في السبت والأعياد في المعابد الأرثوذكسية تضرعًا إلى الملائكة، وكذا الأدعية التي تُتلى أثناء نفخ الشوفار في احتفال رأس السنة [١] . هذا على الرغم من أن موسى بن ميمون أدان أية صلاة لغير الإله.

وقد استبعدت كتب اليهودية الإصلاحية أية إشارة إلى الملائكة تقريبًا، كما استبعدت اليهودية المحافظة معظمها، وخصوصًا تلك الصلوات ذات الأصل القبَّالي. وقد احتفظ اليهود الأرثوذكس بطقوس الصلوات القديمة، دون أن يضفوا أهمية غير عادية على الكلمات والفقرات الصوفية كما كان الحال في الماضي.

وبعد هذه المقدمة التعريفية عن الملائكة في اليهودية، نحاول تقصي المعرفة فيما يختص بمسألة صعود إدريس ﷺ إلى السماوات بواسطة الملائكة، وما دار حولها من أساطير في الكتابات اليهودية، وما نقله المفسرون المسلمون من إسرائيليات في هذا الشأن، حيث إنها تدور في إطار الأساطير والخرافات.

وكما سبق القول فإن أسفار أخنوخ التي تضمنتها الكتب غير القانونية عند اليهود، فقد اشتملت على كثير من الحكايات والأساطير، مستندة إلى توسيع ما أجمله العهد القديم بحكايات لم ترد في النص الوارد في سفر التكوين. وباستخدام المنهج المقارن، يتبين لنا التشابه والاختلاف بين الروايات اليهودية والإسلامية في كيفية صعود أخنوخ (إدريس ﷺ).

والحديث حول رفع إدريس ﷺ إلى السموات السبع وعلاقته بملائكة السماء يجعلنا نطرح بعض التساؤلات حول مسألة هذا الرفع، وهي:

ما هي أسباب الرفع أو الصعود؟ ومن كان في صحبته؟ وما هي الكيفية التي رُفع أو صعد بها؟ ولماذا لم تثبت في القرآن الكريم مثلما ثبتت للمسيح عيسى ﷺ؟ وما هي المشاهدات التي رآها أخنوخ (إدريس ﷺ) في تلك الرحلة؟ وما هو الحوار الذي دار بينه وبين الرب في السماء؟ وهل قبض أم لم يقبض؟ وإن كان قبض

[١] الشوفار: البوق وهي أداة نفخ تستخدم للإعلان عن رأس السنة في اليهودية، وترى القبالاه أن بوق رأس السنة يبلبل الشيطان ويوقف مؤامراته ضد اليهود. رشاد الشامي، موسوعة المصطلحات الدينية، (ص ٢٨٨).

فأين؟ وماذا بعد عودته إلى الأرض كما أخبرت وزعمت الروايات اليهودية؟ وماذا عن تكرار صعوده إلى السماء كما تزعم الرواية اليهودية أيضًا؟

وردًّا على هذه التساؤلات سوف نعرض ما ورد في هذا الشأن من خلال ما ورد في كتاب أخنوخ الثاني أو أسرار أخنوخ ومشاهداته في كل سماء حتى السابعة، وإن كان بها شيء من الاستفاضة فلهدف توضيح كيفية تأويلهم للأحداث، وتطويعهم النصوص بحسب تخيلاتهم، وأيضًا محافظة على المعنى الذي يريدون إيصاله للمتلقي.

كيفية صعود أخنوخ بصحبة الملائكة في الرواية اليهودية:

يذكر كتاب أسرار أخنوخ(أخنوخ الثاني)، أن صعوده كان بصحبة رجلين (ملكين) وهما سمائيل، ورسوئيل، اللذان أرسلهما الرب ليصحباه إلى السماوات للمشاهدة والمعرفة، حيث أخذاه على أجنحتهما، وحملاه إلى السماوات [١].

فيحكي أخنوخ ذلك فيقول: « عندما أتممت ثلاثمائة وخمسًا وخمسين سنة في الشهر الأول في اليوم المميز من الشهر الأول، كنت في بيتي وحيدًا أبكي بعيني وأحزن، وإذا استلقيت على سريري نائمًا ظهر لي رجلان كبيران جدًّا لم أر مثلهما أبدًا على الأرض، كان وجههما مثل الشمس الساطعة، وكانت عيونهما مثل مصابيح تشتعل، وكانت تخرج نار من فمهما، وكانت ثيابهما من ريش متعدد الألوان، وأذرعهما كانت مثل أجنحة ذهبية، عند رأس سريري ودعياني باسمي.... فأسرعت بالنهوض.... وقال لي الرجلان: تشجع يا أخنوخ، ولا تخف لقد أرسلنا الرب الخالد إليك وها إنك أنت اليوم تصعد معنا إلى السماء » [٢] . ويدل النص أن الملاكين ظهرا إليه في صورة بشرية، لكنها تختلف عن البشر.

أسباب صعود أخنوخ إلى السماء في الرواية اليهودية:

أوضح كتاب أسرار أخنوخ، أن السبب في صعود أخنوخ إلى السماء هو إعطاؤه كافة العلوم والأسرار، وتعليمه إياها حتى يعلمها وينقلها إلى الأجيال القادمة، فجاء

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥٠).

(٢) نفسه، (٣/ ١٤٥).

فيه: (ونادى الرب فرفئيل [١] ، أحد رؤساء الملائكة، الذي كان حاذقًا في كتابة كافة أعمال الرب، وقال الرب لفرفئيل: خذ كتبًا من المخازن، وأعط قلمًا لأخنوخ، وأمل عليه كتبًا) [٢] .

ثم يحكي المؤلف الرواية على لسان أخنوخ بقوله: « وسارع فرفئيل لجلب كتب لي، وأعطاني بيده قلمًا، وقال لي كافة أعمال السماء والأرض والبحر، ومسيرات وحيوات كافة العناصر،وتغير السنوات ومسيرات وتغيرات الأيام، والوصايا والتعاليم، وصوت الأناشيد العذب، وصعود الغيوم ومخارج الرياح، وكل لغة أناشيد الكتيبة المسلحة » [٣] . « وعرض علي فرفئيل كل ما يوافق تعلمه خلال ثلاثين نهارًا وثلاثين ليلة، ولم يتوقف فمه عن التكلم » وتستطرد الرواية ذاكرة قول أخنوخ: « وأنا لم أرتح طيلة ثلاثين نهارًا وثلاثين ليلة أكتب كافة الإشارات، وعندما انتهيت قال لي فرفئيل: اجلس واكتب كل ما عرضته عليك! وجلست ضعف الثلاثين يومًا والثلاثين ليلة، وكتبت كل شيء بدقة، وألفت ثلاثمائة وستين كتابًا) [٤] .

ويلاحظ تكرار ذكر القلم في قول الرب للملاك « أعط قلمًا لأخنوخ » ثم قول أخنوخ عن فرفئيل « وأعطاني بيده قلمًا » ثم مقارنته بالحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أن إدريس عليه السلام هو أول من خط بالقلم [٥] . وبعد أن تعلم أخنوخ كافة العلوم وقام بكتابتها، يذكر أخنوخ ما كان من كلام وجهه له الرب، فقال: « وناداني الرب، ووضعني على يساره، وسجدت للرب، وقال لي الرب: (كل ما رأيته يا أخنوخ، ما هو ساكن وما هو متحرك أنا الذي صنعته، وأنا سأفسر لك؛ منذ البدء، وقبل أن يوجد

---

(١) أحد كبار الملائكة، وفي ترجمات أخرى، عن اليونانية (فريفئيل، فرفئيل، فرفوئيل) مخطوطات البحر الميت: (٣/ ١٧٥).

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥١).

(٣) الكتيبة المسلحة يقصد بها الملائكة التي كانت تنتظم صفوفها في السماء مثل كتيبة الجنود.

(٤) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥١)، يذكر سفر أخنوخ أنه كان يسجل ما يمليه عليه الملاك بطريقة الاختزال وهو واقف، وعندما جلس لزمه الملاك ضعف المدة، لكي يكتب نصه كاملًا، حتى كتب ٣٦٠ كتابًا بعدد أيام السنة الآسينية، انظر هامش، (٢/ ١٧٥).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه، (٢/ ١٧٧).

ذلك كله، كل ما شكلته من العدم إلى الكائن، ومن اللامرئي إلى المرئي. وحتى لملائكتي لم أشرح سري، ولم أقل لهم كيف شكلوا، ولم يعرفوا خلقي اللانهائي وغير القابل للمعرفة، ولك أفسره اليوم؛ قبل أن تكون كافة الأشياء المرئية، انفتح النور، وأنا طفت الفضاء وسط النور كأحد اللامرئيين، كما أن الشمس تقطعه من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق، أما الشمس فترتاح، وأما أنا فلم أكن أجد الراحة؛ لأن كل شيء كان بلا شكل) [١] وبعد أن أمره الرب بتعليم ذلك للبشر، أخبره بعصيان البشر، كما كشف له عن الطوفان الذي سوف يحل بالبشر نتيجة لذلك العصيان قائلًا: « أنا أعرف خبث البشر، وأعلم أنهم لن يحتملوا النير الذي فرضته عليهم، وأنهم لن يبذروا البذار الذي أعطيتهم إياه، بل إنهم سيرمون نيري ويأخذون نيرًا آخر، وأنهم سيبذرون بذارًا باطلة، وأنهم سيعبدون آلهة باطلة، ويردون سلطتي الملكية، وأن الأرض كلها ستقع تحت الجور ونكران العدل والفسق وعبادة الأصنام، عندها سأحل الطوفان على الأرض، والأرض نفسها ستغرق في مستنقع عظيم » [٢].

وهنا نجد الإله يكشف لأخنوخ الطوفان الذي سوف يحل على الأرض في عهد نوح ﷺ، ثم تكشف الرواية تكليف أخنوخ بمهمة تعليم البشر كافة العلوم التي تلقاها في السماوات لمدة محدودة، فجاء: (وختم الرب وحيه لأخنوخ بالكلمات التالية: « أعمل فكرك يا أخنوخ واعرف الذي يكلمك، وخذ الكتب التي كتبتها، وإنني معطيك سمئيل ورسوئيل [٣]، اللذين أصعداك نحوي. وانزل إلى الأرض واشرح لأبنائك كل ما قلته لك وكل ما رأيته بدءًا من السماء الدنيا حتى عرشي ») (« كل

---

(١) مخطوطات البحر الميت، أخنوخ الثاني، (٣/ ١٥١). بالمقارنة مع سفر التكوين (١/ ٢) كانت الأرض غير مرئية وغير متشكلة، وبلا شكل، وأن النور ظهر أولًا، التكوين (١/ ٣) تقول الفقرة « الله يقطع الفضاء مثلما تقطعه الشمس من الشرق إلى الغرب، ومن الغرب إلى الشرق ».

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥٣، ١٥٤).

(٣) رسوئيل (רזיאל)، وسمئيل (סמאל) الملاكان اللذان أصعدا أخنوخ إلى السماء ورافقاه أثناء مشاهداته فيها פירוש השם רזיאל הרב משה עמיאל 20 – 1 – www.moriya.org.il.2007 . وورد في مخطوطات البحر الميت: (٣/ ١٧٧) أن رسوئيل مشتق من اللفظ العبري (eresel أي أرض الله) وهو خطأ، والصحيح رذيئيل (רזיאל). وتعبير راز بالعبرية، يعني السر أما أيل ؛ فيقصد به الإله، فتكون رذيئيل بمعنى سر الرب.

الكتائب أنا الذي صنعتها، فليس هناك من يعارضني لا يخضع، وكل شيء يخضع لسلطتي الملكية، ويخدم قدرتي الوحيدة »[1].

ومن السياق السابق نجد أنه بعدما كتب أخنوخ ما أملاه عليه الملاك فرفئيل، وكتب ٣٦٠ كتابًا، أمره الرب بالنزول إلى الأرض لتعليم العلوم لأبنائه والأجيال القادمة، وأمر الرب ملاكين ليكونا بصحبته عند نزوله للأرض.

ويلاحظ أن صعود أخنوخ إلى السماء لم يكن واحدًا، وأنه بعد صعوده إلى السماء، عاد أخنوخ بهذا العلم مكتوبًا كما أمره ربه.

وكان جملة ما كتبه من كتب كما جاء في أخنوخ الثاني ثلاثمائة وستين كتابًا، كتبها في ستين يومًا، استغرقها في ترجمة الإشارات التي تكلم بها الملك بالعلوم خلال الثلاثين يومًا.

ومما يدل على دوام ترحال أخنوخ إلى السماوات بصحبة الملائكة يستطرد النص القول: (وبعد أن فرغ من الحديث إلى بنيه، وعلمهم ألا يحيدوا عن الرب، والحفاظ على أحكامه، فقد استدعاه هذان الرجلان، وحملاه على أجنحتهما، ووضعاه على الغمام الذي أخذ في الارتفاع، حتى وضعاه تحت أول سماءٍ)[2].

مشاهدات أخنوخ في السماوات في الرواية اليهودية:

ورد في كتاب أخنوخ الثاني أن المشاهدات التي رآها في كل سماء كانت من خلال رؤاه، ولا نستطيع الجزم إن كانت هذه الرؤى أحلامًا، أم أنها رؤى في حالة يقظة، كما أشار البعض، فنجد المؤلف قد قام بوضع تصورات لكل سماء على حدة، لا أساس لها من عقل أو منطق أو شرع، حيث قسمها إلى سبع سماوات، وهي:

السماء الأولى:

ورد على لسان أخنوخ المشاهدات التي رآها في السماء الأولى فقال: « وحملاني (الملكان) إلى السماء الأولى، ووضعاني هناك، وجعلا سادة أنظمة النجوم يأتون أمامي، وبينوا لي حركاتها وانتقالاتها من زمن إلى آخر، وأرياني مائتي ملاك يسودون

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥٣).

(٢) جنزبرج: لويس، مرجع سابق، (ص ١٣٩).

على النجوم وعلى توافقات السماوات، وأرياني هنا بحرًا كبيرًا جدًّا، أكبر من بحر الأرض، وملائكة تطير بأجنحتها، وأرياني خزانات الثلوج والجليد، وكان ملائكة مريعون يحرسون هذه الخزانات، وأرياني خزانات الغيوم، التي ترتفع وتخرج منها، وأرياني خزانات الندى، الشبيه بزيت الزيتون، والملائكة الذين كانوا يحرسون خزاناتهم، وكان مظهرهم شبيهًا بكافة أزهار الأرض »[1] .

السماء الثانية:

يذكر في السماء الثانية رؤية أخنوخ للملائكة المدانة، وتوسلاتهم له فيقول:

« وقادني هذان الرجلان ووضعاني في السماء الثانية، وأرياني سجناء محفوظين لحساب عظيم، وهناك رأيت ملائكة مدانين يبكون، وقلت للرجلين اللذين كانا معي: لماذا هؤلاء معذبون؟ وأجابني الرجلان: هؤلاء مرتدون على الرب، لا يسمعون صوت الرب، بل انتصحوا من إرادتهم الخاصة، وتكدرت كثيرًا من أجلهم، وانحنى الملائكة أمامي وقالوا لي: يا رجل الله صل لله من أجلنا. وأجبتهم وقلت: من أنا، الرجل الفاني لأصلي من أجل ملائكة، ومن يعلم إلى أين أمضي أو ما سيحصل لي، أو من سيصلي من أجلي؟ »[2] . ونجد هنا تكرارًا لما ورد في كتاب أخنوخ الأول، وما جاء بشأن الملائكة المتمردة مع أخنوخ.

السماء الثالثة:

ويتحدث أخنوخ عن مشاهداته للجنة والنار فيقول: « وقادني الرجلان من هناك وأصعداني إلى السماء الثالثة، ووضعاني في وسط الجنة، وكان مظهر هذا المكان ذا جمال لا يمكن معرفته؛ فكل شجرة مزهرة، وكل ثمر ناضج، وكل غذاء متوفر دائمًا، وكل نفس عطر، وتجري أربعة أنهار جريانًا هادئًا على طول البستان الذي ينتج كافة الأنواع الصالحة للأكل، وشجرة الحياة في هذا الموضع حيث يستريح الرب، عندما يدخل إلى الجنة، وهذه الشجرة ذات رائحة طيبة لا توصف، وثمة شجرة أخرى إلى جوارها،

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٦). يضيف جنزبرج في كتابه (أساطير اليهود) أن أخنوخ شاهد في هذه السماء خزائن الذهب التي تحتويها السحب. جنزبرج، قصص اليهود، مرجع سابق، (ص ١٣٩).

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٦).

زيتونة لا ينفك يسيل الزيت منها، وكل شجرة تحمل ثمرًا طيبًا، وليس هناك شجرة غير مثمرة، والمكان كله مبارك، ويحفظ ملائكة الجنة وهم لامعون جدًّا، وصوتهم لا يهدأ، ويخدمون الرب دائمًا بنشيد عذب. وقلت: كم هذا المكان جميل! فأجابني الرجلان: حضر هذا المكان يا أخنوخ من أجل الأبرار، الذين يعانون من المحن في حياتهم ويحزنون نفوسهم، ويحولون عيونهم عن الظلم، ويحكمون حكمًا عادلًا؛ إعطاء الخبز للجياع، وإكساء العراة بثوب، ورفع الذي وقع، ومساعدة الذين يجرحون، الذين يمشون أمام وجه الرب ويخدمونه وحده، فلهم إنما حضر هذا الموضع كإرث خالد »[(١)].

ونجد هنا وصفًا دقيقًا للجنة، وما فيها من نعيم، ومن خلال هذا الوصف يقوم مؤلف السفر بتوظيف النص لحث جماعته على عمل الخير، ومساعدة الناس، حيث نلمس من أسلوب النص العلاقة بين الجماعة الآسينية، ومؤلف سفر أسرار أخنوخ ، كما أشار بعض الباحثين، أن مؤلف أخنوخ الثاني هو أحد أعضاء جماعة الآسينيين[(٢)] .

ثم يذكر أخنوخ رؤيته للنار فيقول: « وخطفني هذان الرجلان من هناك، وأصعداني إلى شمال السماء[(٣)] ، وهناك أرياني مكانًا مريعًا جدًّا، فكل وجع وعذاب موجودان في هذا الموضع، كما الظلمات والضباب، وهناك ليس ثمة نور، بل نار معتمة[(٤)] تتقد بلا توقف، ونهر من النار يتقدم على كامل هذا المكان، وثمة هناك البرد والجليد، وسجون، وملائكة شنيعون وعنيفون، يحملون أسلحة ويعذبون بلا شفقة وهم ملائكة العقاب. وقلت: كم هذا المكان مريع!؟ وأجابني الرجلان: هذا المكان يا أخنوخ مُحضر للكفار الذين يقومون بأشياء مرجسة على الأرض، ويمارسون

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٦، ١٤٧)، ويطابق هذا القول ما جاء في العهد القديم؛ حيث إن شجرة الحياة ذكرت في التكوين، (٢/ ٩): (وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر). أما الأربعة الأنهار الموجودة بالجنة فمذكورة في سفر التكوين، (٢/ ١٠): (وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس).

(٢) مخطوطات البحر الميت، المقدمة، (٢/ ٦).

(٣) يذكر الكاتب أن الجحيم يقع إلى الشمال من السماء الثالثة. انظر مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٧١).

(٤) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ١٧١).

السحر والتعازيم، ويتبجحون بأعمالهم، الذين يسرقون نفوس البشر في الخفاء، والذين يهربون من النير المربوطين به، والذين يغتنون من خير الآخرين ظلمًا، الذين أماتوا الجوعى من الجوع، وكان بإمكانهم إشباعهم، وعروا العراة الذين كان بإمكانهم إكساؤهم، الذين لم يعرفوا خالقهم، بل عبدوا آلهة باطلة، مشيدين صورًا، وعابدين ما صنعته الأيدي، إنما من أجل هؤلاء كلهم حُضِّر هذا المكان كموروث أبدي »[1].

ويصور المؤلف في السياق السابق الملائكة بشكل لا يليق بمكانتها التي خلقها الله من نور، فيصفهم بالشناعة والعنف، وأنهم يحملون أسلحة، ويعذبون بلا شفقة، ثم نجد فيه إخبار بعقاب الكفار، ويصنفهم كالآتي:

١- القائمون بأعمال وأفعال رجس في الأرض.

٢- ممارسو السحر.

٣- آخذوا أموال الغير ظلمًا.

٤- غير المحسنين للمساكين.

٥- غير المصدقين على المحتاجين.

٦- عابدو غير الإله.

٧- عابدو الأصنام.

السماء الرابعة:

يصف الكاتب في السماء الرابعة رؤى أخنوخ للفلك، ومسارات الشمس والقمر، فيقول: « وخطفني الرجلان من هناك وحملاني إلى السماء الرابعة، وهناك أرياني كافة الحركات والانتقالات، وكافة أشعة الشمس والقمر، وقست مسيرهما وقارنت نورهما، ورأيت أن الشمس لها نور مضاعف سبع مرات عن نور القمر، ودائرتهما ومركبتهما، التي يصعد عليها كل منهما، والتي تمضي كالريح، وليس لهما راحة اللذين يمضيان ويرجعان نهارًا وليلًا، وهناك أربعة نجوم كبيرة معلقة على يمين مركبة

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ١٤٧).

الشمس، وأربعة على يسارها، وهي تمضي مع الشمس بشكل مستمر، وتمضي ملائكة أمام مركبة الشمس، أرواح طائرة، لكل ملاك اثنا عشر جناحًا، يجرون مركبة الشمس، حاملين الندى والحرارة عندما يأمرهم الرب بالنزول على الأرض مع أشعة الشمس ».

« وحملني الرجلان باتجاه مشرق السماء، وأرياني الأبواب التي منها تشرق الشمس بحسب الأزمنة المحددة، وبحسب مسارات القمر طيلة السنة، وبحسب قصر وطول النهارات والليالي »[١].

ويظهر في العبارات السابقة معرفة أخنوخ بعلوم الفلك ومسارات النجوم وحساباتها.

السماء الخامسة:

جاء وصف مشاهدات أخنوخ في السماء الخامسة بقوله: « وأخذني الرجلان وحملاني من هناك إلى السماء الخامسة. وهناك رأيت كتيبة كثيرة العدد، الإغرغوروا (Egregoroi): كان مظهرهم مثل مظهر البشر، وحجمهم أكبر من حجم العمالقة العظام، ووجوههم حزينة وأفواههم صامتة، ولم يكن هناك خدمة في السماء الخامسة، وقلت للرجلين اللذين كانا معي: لماذا هؤلاء حزينون جدًّا، ووجوههم حزينة، وأفواههم بكماء، ولا يوجد خدمة في هذه السماء؟ وأجابني الرجلان: هؤلاء هم الإغرغوروا الذين انفصلوا عن أنفسهم، رئيسان ومائتان من المشاة في إثرهما، ونزلوا على الأرض وعقدوا ميثاقًا على قمة جبل الحرمون، لكي يتدنسوا مع نساء البشر، وقد تدنسوا، فأدانهم الرب[٢] . وهؤلاء يبكون على جميع أخوتهم، وعلى المعاملة المخزية

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٧، ١٤٨). بحسب أخنوخ الأول تشرق الشمس عبر ستة أبواب في الشرق، وتغرب عبر ستة أبواب في الغرب، (هامش، ص ١٧٢). تذكر المخطوطات أن الملائكة منظمون وفق تشكيلات عسكرية، وأن خدمة الرب تكون بواسطة الطبول والأدوات، وتذكر وصية لاوي أن الأناشيد لا تنفك تقدم لله في السماء الرابعة الأدوات الموسيقية المستخدمة من قبل الملائكة، مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٧٢).

(٢) تشير هذه الفقرة إلى الملائكة الخطاة الذين اعترضوا على الفساد القائم في الأرض، وطلبوا أن ينزلوا الأرض لأجل محاربة هذا الفساد، وتعاهدوا مع الرب على ذلك، إلا أنهم حينما نزلوا الأرض وشاهدوا النساء تدنسوا معهم، فعاقبهم الرب.

التي فرضت عليهم، وقلت أنا للإغرغوروا: لقد رأيت أخوتكم وعرفت ما عملوا، وأعلم صلواتهم، وقد صليت من أجلهم. وها أن الله قد حكم عليهم بالمضي إلى تحت الأرض حتى نهاية السماوات والأرض، فلماذا تنتظرون أخوتكم ولستم في الخدمة أمام وجه الرب؟ فأعيدوا الخدمة التي كانت، واخدموا أمام وجه الرب، خشية ألا تغضبوا الرب إلهكم، ويرميكم من هذا المكان! فأطاعوا عظتي، وانتظموا في أربعة تنظيمات في السماء، وها أن أربعة أبواق بدأت بالنفخ أمامي، وبدأ الإغرغوروا بالخدمة كما لو بصوت واحد، وصعد صوتهم حتى وجه الرب »[1].

ومما سبق نجد المؤلف يصور السماء الخامسة وقد توقفت الخدمة فيها بسبب الملائكة المذنبة، وقد تفاعلت معهم الملائكة الأخرى، حزنًا عليهم وما أصابهم من عقاب الرب، إلا أن أخنوخ عارضهم، وأمرهم أن يقوموا بواجبهم ويستأنفوا عملهم حتى لا تتوقف الخدمة في السماء، فأطاعوه وعادت الخدمة مرة أخرى، وهو تصور لا يصدقه عقل؛ فالكون بسمواته وأراضيه، مسير بأمر الخالق، ولا يمكن أن تتوقف حركته عما هي مخلوقة له، وهي من الأمور الغيبية التي لا يصح الرجم فيها.

السماء السادسة:

رأى أخنوخ في السماء السادسة الملائكة الذين يقومون على تنظيم العالم وحركته، من نجوم، وشمس، وقمر، وفصول، وسنوات.... وغيرها، فيقول: « وأخذني الرجلان وأصعداني من هناك إلى السماء السادسة، وهناك رأيت مجموعة من سبعة ملائكة، لامعين ومجيدين جدًّا، ووجههم يشع مثل شعاع الشمس، وليس ثمة فرق في الوجه، أو في أبعاد الجسم، أو تغير في الثوب ».

إنهم هم الذين ينظمون ويعلمون النظام الحسن في العالم، وسير النجوم والشمس والقمر، لأدلائها الملائكة وللملائكة السماء، ويضعون التوافق في كامل حياة السماوات.

وهم ينظمون أيضًا الوصايا والتعاليم، وصوت الأناشيد العذب، وكل تسبيح للمجد.

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٩).

وهناك الملائكة الذين يقومون على الفصول والسنوات، والملائكة الذين يقومون على الأنهار والبحار، والملائكة القائمون على الثمار والعشب وكل ما ينمو ويكثر، وملائكة الشعوب كلها، وهم الذين ينظمون الحياة كلها، ويكتبونها أمام وجه الرب [١].

وفي وسطهم ثمة سبعة من الفينيق...... وسبعة من الشيروبيم [٢]،

وسبعة من السيرافين [٣] ذوي الستة أجنحة، وحيث تتحد أصواتهم وأناشيدهم مع بعضها بعضًا؛ غناؤهم لا يوصف، والرب يغتبط بمواطئ قديمة » [٤].

ويصف المؤلف في السماء السادسة مهمات الملائكة التي تقوم بتنظيم الكون، بينما نجد عدم ذكر السماء السادسة في مصادر أخرى مثل جنزبرج في قصص اليهود.

السماء السابعة:

يتحدث مؤلف سفر أسرار أخنوخ عن مشاهداته في السماء السابعة ورؤيته للرب وحديثه معه، فجاء: « وخطفني الرجلان وحملاني من هناك إلى السماء السابعة، ورأيت نورًا عظيمًا، وكافة كتائب النار اللامتجسدين، ورؤساء الملائكة، والملائكة، والأوفانيم [٥]

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٩).

(٢) الشيروبيم ملائكة لهم أربعة أجنحة، مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٧٠)

(٣) السيرافيم ذوو الأجنحة الستة، بحسب إشعياء يحيي السيرافيم عرش الله بدلًا من حجب وجههم وأقدامهم (٣/ ١٧٤). والسيراف نوع من الملائكة المذكور في إشعياء، ويتم وصفه كملاك ذي ستة أجنحة، وفي قصة المركبة في إشعياء (١٣/ ١) نجد وصف كائنات من العالم الإلهي كالتالي: (سيرافيم يقفون أعلاه ستة أجنحة، لكل واحد منهم: باثنين يقوم بتغطية وجهه، وباثنين يقوم بتغطية قدمه، وباثنين يطير، وينادي هذا على ذاك، ويقولهم: قدوس قدوس قدوس، رب الجنود، مجده ملء كل العالم). ويظهر المصطلح (שָׂרָף) أو (שְׂרָפִים) سيراف أو سيرافيم في العهد القديم بطريقتين: الأولى يأتي كتسمية أو وصف للحية (تثنية (٢١/ ٦)): وأرسل الرب الحيات السيرافيم، أما المعنى الثاني، فيعني الملاك: مثلما جاء في وصف السيرافيم ذي الستة أجنحة في نبوءة النبي إشعياء، ونبوءة المركبة الموجودة في (حزقيال (١/ ٥) he.wikipedia.org/wiki/ שרף، ويلاحظ رسم كلمة سيرافين في نص المخطوط تنتهي بحرف النون، والصحيح سيرافيم؛ لأن صيغة الجمع في العبرية تنتهي بحرفي الياء والميم وليس الياء والنون.

(٤) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥٠).

(٥) الأوفانيم (אופנים) وردت في حزقيال (١/ ١٥): (וָאֵרֶא הַחַיּוֹת וְהִנֵּה אוֹפַן אֶחָד בָּאָרֶץ אֵצֶל הַחַיּוֹת לְאַרְבַּעַת פָּנָיו) (فنظرت الحيوانات وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة).

الذين كانوا ينتصبون ساطعين، وخفت وارتجفت، وقادني الرجلان إلى وسطهم، وقالا لي: تشجع يا أخنوخ ولا تخف! وأرياني من بعيد الرب جالسًا على عرشه. وكانت كافة كتائب السماء تتقدم متجمعة بالتدرج وتنحني أمام الرب، ثم تنسحب وتعود إلى أماكنها، بفرح وحبور، في نور لا حد له. وكان المجيدون يخدمونه، لا يبتعدون ليلًا ولا ينسحبون نهارًا، واقفين أمام وجه الرب يعملون مشيئته، وجميع كتيبة الشيروبيم حول عرشه لا يبتعدون عنه، والسيرافيم ذوو الستة أجنحة يغطون عرشه، وينشدون أمام وجه الرب، وبينما كنت أرى ذلك كله، تركني الرجلان ولم أعد أراهما بعد ذلك، وتُركت في أقصى السماء وحيدًا، فخفت وسقطت على وجهي، وأرسل لي الرب واحدًا من مجيديه، جبرائيل [١] ، الذي قال لي: تشجع يا أخنوخ، ولا تخف، انهض وتعال معي، وقف أمام وجه الرب إلى الأبد! وأجبته وقلت له: واحسرتاه، يا رب، فالخوف بلغ حدًّا أن روحي انسحبت مني: ناد لي الرجلين اللذين أوصلاني إلى هذا المكان؛ إذ بهما كانت ثقتي، ومعهما سأمضي أمام وجه الرب فأنهضني جبرائيل مثل ورقة تحملها الريح [٢] ، وجرني ووضعني أمام وجه الرب. ورأيت الرب، ووجهه القوي والمجيد جدًّا والمخيف. فمن أنا حتى أقول سعة جوهر الرب، ووجهه القادر والمرعب جدًّا، وجوقة ملائكته ذات العيون الكثيرة، والأصوات الكثيرة والعرش العظيم جدًّا للرب، المصنوع دون عمل الأيدي، والجوقات من حوله من كتائب الشيروبيم والسيرافيم، أو خدمته المجيدة التي لا تسكت، والثابتة والتي لا توصف؟ وسقطت ووجهي إلى الأرض، وعبدت الرب) [٣] .

ويتضح مما سبق ـ بحسب الرواية اليهودية ـ أن أخنوخ كان بارًّا وتقيًا، ولا يوجد له مثيل في العالم، فحينما قام الرب بعمل الطوفان، أخذه معه كشاهد على الطوفان، وقام

---

(١) جبرائيل: بحسب ما ورد في أخنوخ الثاني هو ملاك الروح القدس، ويقف على يسار الرب، وهو أحد الملائكة السبعة الكبار، مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٧٥).

(٢) (مثل ورقة تحملها الريح) تعبير مستعار من أيوب، (١٣/ ٢٥) والذي جاء فيه: أترعب ورقة مندفعة وتطارد قشًّا يابسًا.

(٣) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥٠).

الرب بإصعاده إلى السماء، وتحويله إلى الملاك مطاطرون، ثم قام بتعيينه كملاك يشرف على البشر؛ وذلك لأنه لم يكن مثل شخصيات أخرى في سفر التكوين، فهو لم يمت، بل تم أخذه إلى السماء [١].

وعلى الرغم من ذلك فهو يعلن دائمًا ضعفه أمام القدرة الإلهية، ويظهر ذلك في تمثيله لنفسه وكأنه ورقة في مهب الريح أمام جلال الرب، ويصف روحه وكأنها سحبت منه من شدة الخوف وهو في هذا المكان العظيم، وأنه سقط على وجهه من هول ما رآه، إلا أن جبرئيل تداركه وأنهضه.

ثم يأمر الرب أخنوخ بالنزول إلى الأرض؛ ليشرح لأبنائه كل ما رآه، وأن يعطيهم كافة الكتب التي دونها في السماء؛ ليقرأوها، ويعرفوا خالق الأشياء، وذلك خلال مدة ثلاثين يومًا، فورد ذلك في قول الرب: « وإنني معطيك سمئيل ورسوئيل اللذين أصعداك نحوي، وانزل إلى الأرض واشرح لأبنائك كل ما قلته لك، وكل ما رأيت، بدءًا من السماء الدنيا حتى عرشي، وسأرسل خلال ثلاثين يومًا الملائكة ليبحثوا عنك، وسيأخذونك من الأرض ومن أبنائك ليحضروك إلي؛ لأنه ثمة موضع معد لك، وستصبح أنت أمام وجهي بعد ذلك إلى الأبد، وستصبح الذي يعرف أسراري، وستصبح ناسخ خدمي؛ لأنك ستكتب كافة أعمال الأرض، وما هو على الأرض وفي السماوات، وستكون لي شاهدًا على محاكمة القرن الكبير. (لقد قال لي ذلك كله الرب كما يتحدث رجل إلى قريبه) [٢].

ويشرح السياق السابق الوظيفة التي أعدها الرب لأخنوخ في السماء عندما ينتهي وجوده في الأرض، حيث يذهب إلى السماء ليخلد فيها، فيحدد الرب مهام أخنوخ بعد صعوده النهائي للسماء بحسب الرواية اليهودية، وهي:

١ - سيصبح ناسخًا لخدم الرب.

٢ - سيقوم بكتابة أعمال الأرض وكل ما عليها.

---

(١) האינציקלופדיה היהודית -דעת- ערך/ מטטרון 20-1-2007. www.daat.ac.il/encyclopedia.

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥٣، ١٥٤).

٣- سيقوم بكتابة أعمال السماء بكل ما فيها.

٤- سيكون شاهدًا على محاكمة البشر يوم الحساب.

ثم يأتي تصوير صعود أخنوخ النهائي إلى السماء، فورد أن الظلمات غطت المكان حتى يصعد أخنوخ إلى السماء، فيقول النص:

« بينما كان أخنوخ يحادث شعبه، أرسل الرب العتمة على الأرض، وحلت الظلمات، وغطت الظلمات البشر الواقفين مع أخنوخ، وسارع الملائكة إلى أخذ أخنوخ وإلى إصعاده إلى السماء العليا، واستقبله الرب وأحله أمام وجهه إلى الأبد، وانسحبت الظلمات من الأرض وكان النور، وأبصر الشعب، وفهم كيف أن أخنوخ رفع، ومجدوا الله ومضوا إلى بيوتهم »[1].

وجاء في كتاب لويس جنزبرج (أساطير اليهود) أن صعود أخنوخ الأخير إلى السماء كان بواسطة جواد وهي مسألة دخيلة على سفر أخنوخ، وفيها إضافة ذكرت في كتب أبوكريفية أخرى، حيث ورد فيها، أنه صعد إلى السماء من خلال أحصنة ومركبات نارية[2].

ومن سياق المشاهدات السابقة التي رآها أخنوخ من السماء الأولى حتى السابعة، ثم صعوده النهائي إلى السماء، يتضح أنها أساطير، تخيلها الرواة والمؤلفون، وما هي إلا تكرار لأخبار وردت في كتاب أخنوخ الأول، ويدخل فيها جانب كبير من التصورات غير المنطقية والمبالغات لأحداث صعود أخنوخ إلى السماء، استنادًا على توسيع النص التوراتي الوارد في سفر التكوين (أن الله أخذه).

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٦٢).

(٢) הספרים החיצוניים.ספר חיי חנוך 2007-1-20. www.daat.ac.il/daat/hasfarim/hanoch.pdf.
وورد في كتاب (حياة أخنوخ) وهو من كتب الأجاداه اليهودية التي ذكرت صعود أخنوخ إلى السماوات، فقال أنه كان بواسطة جواد، فجاء فيه: (في اليوم السابع صعد أخنوخ من خلال عاصفة إلى السماء بأحصنة، ومركبات نارية، واختفى في السماء. وفي اليوم الثامن ذهب كل الملوك إلى ذلك المكان، فوجدوا أن الأرض في ذلك المكان كانت كلها مغطاة بالثلج، وعلى الثلج أحجار ضخمة. فقال كل شخص للآخر: هيا نزيل الثلج ونرى إن كان الرجال الذين ذهبوا مع أخنوخ قد ماتوا تحت أحجار الثلج، فوجدوهم قد ماتوا جميعًا، وكانت الملائكة تعلم عدد الأفراد الباقين الذين ذهبوا وراء أخنوخ.

وقد ورد في كتابات علماء المشنا والأحبار اليهود أقوال عديدة حول مكانة أخنوخ، وصلته بالملائكة، وصعوده إلى السماء، فيتصورون أن صعود أخنوخ إلى السماء كان بصحبة أربعة من الملائكة؛ اثنان عن يمينه، واثنان عن يساره، وكل واحد منهم يحمل على كتفيه أربعة أجنحة نارية تتلون بألوان مختلفة، وكل واحد منهم يمسك أخنوخ من ذراعية وأقدامه، ويقول الرابي شمعون الجليلي: « إن عدد الملائكة كانوا ثمانية، وكان كل واحد منهم يحمل رمحًا ناريًّا، يتشكل من ألوان مختلفة اللون، ويمسك كل واحد من هؤلاء الثمانية بجزء من جسد أخنوخ، وحينما صعد أخنوخ إلى السماء، استقبله عشرة ملائكة غير الذين أصعدوه، وقاموا بإشهاد أخنوخ للعالم كله الذي رآه كأنه كرة صغيرة، ورأى البحار التي فيه كأنها غدير أو بحيرة صغيرة ومتناهية في الصغر، ثم أصعدوه إلى مركبة النور، والتي كان قائم عليها خمسمائة من الملائكة القادة، وعلى رأسهم جبورائيل ورفائيل، وحينها رأى العديد من مختلف أنواع العجائب التي تحدث في السماء، ورأى حروبًا سوف تحدث، وأنبياء لم يولدوا بعد، وكشفت له ملائكة النار، وهم المسؤولون عن تعذيب الخطاة الجحيم، وما به من خطاة، وعلى رأسهم بعلزبول رئيس الشياطين، كما رأى أخنوخ الملائكة الساقطين الذين نزلوا إلى الأرض ليتزوجوا من بنات البشر، رآهم كلهم في الجحيم، وكان عددهم مائتي ملاك، ثم نظر أخنوخ إلى ناحية أخرى ورأى ملائكة السيرافيم، وهم المسؤولون عن العرش الإلهي، حيث أشهدوه ما سيلاقيه الأخيار في العالم الآخر من سعادة وفرح نتيجة أعمالهم في عالم الدنيا، وما سيتم مكافأتهم به فيما بعد رحيلهم عن هذا العالم »[1].

« كما شاهد أخنوخ الأتقياء الذين لم يولدوا بعد في عالمنا هذا، ورأى كيف تم خلق العالم، وكيف سيكون يوم الدينونة، وكيف ستكون نهاية العالم، وبعد قيام الملائكة بإصعاده إلى مكان أعلى، رأى قصرًا كبيرًا جدًّا في انتظاره، وأخبره ثلاثمائة ملاك أن الرب قد حوله إلى الملاك مطاطرون، وأن هذا القصر سيكون مكانه للقضاء بين أهل

(١) מדרש תנחומה، באר שבע، כל הזכויות שמורות לישיבת הר עציון، תשס"ה، עורך: בעז קלוש בית המדרש הווירטואלי שליד ישיבת הר עציון. האתר בעברית: http://www.etzion.org.il، האתר באנגלית: http://www.vbm-torah.org . משרדי בית המדרש הווירטואלי: 02-9931456 שלוחה 5، דואר: office@etzion.org.il

الأرض، أي البشر، فيما ينشأ بينهم من نزاعات ».

ويذكره علماء المشنا والتلمود فيقول رابي يوسي الجليلي: « إن أخنوخ لم يتحول إلى الملاك مطاطرون إلا بعد أن مر بعدة تجارب واختبارات في عالم السماوات، منها، محاربة التنين والأكيانوس، وهم من أشر الملائكة التي تقطن في السماء الأولى، ثم مر بالدخول في صراع معهم وهزمهم، وبعد انتصاره دخل في بحيرة من النور ليتطهر من خطاياه، ثم قام ملائكة الرب الذين هم قادة الملائكة بتتويجه وزيرًا للرب، ودعي اسمه (إلوهيم هاقاطون) أي الإله الأصغر أي نائب الرب في حكم البشر ».

ويقول رابي يوسي الجليلي: « إن ملائكة العرش هم آخر أنواع الملائكة الموجودة في السموات، وهم حراس العرش وحاملوه، وعددهم ستمائة ملاك، وهم يعتبرون قادة الملائكة، بالإضافة إلى ملائكة الشمس والقمر، والذين قاموا بوقف حركة الشمس والقمر، كي يعبر أخنوخ من السموات إلى قصره، كي لا يعوقه شيء أثناء عبوره ».

ويقول رابي أفهو: « إن هناك كثيرين من الأتقياء والأنبياء كانوا سيتحولون إلى ما تحول إليه أخنوخ، لكنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى مثل تلك الدرجة من القداسة التي وصل إليها أخنوخ ، ومن المعروف أن إيليا (إلياس) قد صعد للسماء – في التصور اليهودي – وغيره كثيرون، لكنهم بخلاف أخنوخ لم يستطيعوا أن يتحولوا إلى ملائكة؛ وذلك بسبب هزيمة الأوكيانوس لهم؛ أو بسبب تغلب التنين عليهم؛ أو لأنهم لم يتحملوا المرور في بحيرة النور ليتطهروا من ذنوبهم البسيطة؛ فاكتفى الرب بوضعهم في منزلة أقل بكثير من أخنوخ نفسه » [1] .

ويقول رابي شموئيل: « إن الملائكة الذين رافقوا أخنوخ خلال رحلته، كانوا أشكالًا عدة؛ فمنهم الملائكة الحاملون، ووظيفتهم نقل أخنوخ من الأرض للسماء الأولى، والملائكة المدافعون، وهم الذين أوكلت إليهم مهمة الدفاع عن أخنوخ ضد

---

(١) מדרש תנחומה، באר שבע، כל הזכויות שמורות לישיבת הר עציון، תשס"ה، עורך: בעז קלוש בית המדרש הווירטואלי שליד ישיבת הר עציון. האתר בעברית: http://www.etzion.org.il، האתר באנגלית: http://www.vbm-torah.org משרדי בית המדרש הווירטואלי:02-9931456 שלוחה 5 , דואר: office@etzion.org.il

أي شياطين أو مخلوقات تريد إيذاءه أثناء رحلته إلى عالم السموات، وهناك الملائكة المدافعون الثانيون، وهم الذين يقومون بحماية الملائكة المدافعين الأوائل، وهناك الملائكة المعلمون، وهم الذين كانوا يعلمون أخنوخ، ويمدونه بتفاصيل عن كل ما يراه في الأرض والسموات، وبالإضافة إلى هؤلاء، كان هناك الملائكة حارسو البوابات، الذين كانوا يحرسون أبواب السماء الأولى، وعددهم ألف ملاك، ويتسلحون بكل أنواع اللهب والنيران، وهناك الملائكة حارسو الأوكيانوس والتنين، ويسمون « الملائكة القابضون»؛ لأنهم يقبضون على المخلوقين الأشرار.

ويضيف رابي أفريم: « إن الملائكة في السماء الثانية وحتى الأخيرة، كان لكل منهم لون مختلف عن الآخر، فالملائكة ذوو اللون الأحمر، هم ملائكة السماء الثانية، والأسود هم ملائكة السماء الثالثة، ثم ملائكة السماء الرابعة لونهم البرتقالي، وهكذا كان لكل سماء لون لملائكتها، أما السماء الأخيرة والتي عليها عرش الرب فهي تتسم بأن ملائكتها شفافو اللون وعديمو اللون ».

ويقول رابي أفراهام: « إن أخنوخ ترك عددًا من الكتب السرية، وأوصى ألا يطلع عليها أحد من أبنائه إلا من هو يعلم بشؤون الفلك، فإذا اطلع عليها ولم يكن يعرف هذا العلم فإنه لم يفهمها، وبالإضافة إلى ذلك فسيموت عقابًا على دخوله تلك الأرض المحرمة، مثلما كان عقاب آدم أن يحرم من الخلود حينما أكل من شجرة معرفة الخير والشر »[1].

ويقول رابي أبيا: « إن السموات لم تكن تخلو من الشياطين، والذين وضعهم الرب كعبرة وعظة لكل البشر الذين يخطئون حتى يبتعدوا عن خطيئتهم، ويقوم على حراساتهم عدد من الملائكة يسمون « الملائكة القادرون »، وهم يمنعون أي شيطان من الاقتراب من العرش الإلهي ».

ويتحدث كتاب الزوهار وهو الكتاب الذي يعبر عن الفكر القبالي الذي يعتمد

---

(١) מדרש תנחומה، באר שבע، כל הזכויות שמורות לישיבת הר עציון، תשס"ה، עורך: בעז קלוש בית המדרש הווירטואלי שליד ישיבת הר עציון. האתר בעברית: http://www.etzion.org.il، האתר באנגלית: http://www.vbm-torah.org . משרדי בית המדרש הווירטואלי: 02-9931456 שלוחה 5 , דואר: office@etzion.org.il

على الأسرار والمعارف الإلهية، ويطلق عليه التصوف اليهودي عن أخنوخ فيقول: « إن هناك ما يسمى بالروح العلوية، ويعتبر أخنوخ من صنف تلك الروح العلوية، وكل البشر يمتلكون جزءًا من تلك الروح العلوية، لكن حين أخطأ آدم الأول قلت تلك الروح العلوية داخلهم ».

ويضيف كتاب الزوهار، أن الملائكة تمتلك طبيعتين، خيرة وشريرة، وفي قصة أخنوخ نجد أنه كان هناك ضمن الملائكة التي أصعدته للعالم العلوي ملائكة شريرة حاولت طوال رحلتها معه أن تسقطه إلى الأرض مرة أخرى، لكن ملائكة النور ذات الطبيعة الخيرة منعتها من ذلك.

كما نجد أن أخنوخ قد طهر نفسه من تلك الناحية الشريرة الموجودة في كل بني الإنسان، وقام بتطهيرها عن طريق صلواته وتقشفه، حتى لم يبق فيه غير الناحية الخيرة؛ لذلك وصل إلى درجة الملائكة النورانية من ناحية الخير والشفافية، فقام الرب بجعله رئيسًا لهم، وأعطى له الاسم مطاطرون [١].

مسح أخنوخ بالزيت المقدس في الرواية اليهودية:

تقول الرواية في سفر أخنوخ الثاني أنه بعد صعود أخنوخ إلى السماء السابعة، أمر الرب الملاك ميخائيل بمسحه بالزيت المقدس؛ لأجل تجريده من البشرية، حتى يصبح شبيهًا بالملائكة فجاء: (وناداني الرب بفمه وقال: تشجع يا أخنوخ، ولا تخف، انهض وقف أمام وجهي إلى الأبد! وأنهضني ميخائيل أعظم رؤساء ملائكة الرب، وقادني إلى أمام وجه الرب. وتحقق الرب من خدمه وقال لهم: فليصعد أخنوخ ليقف أمام وجهي إلى الأبد! وانحنى المجيدون وقالوا: فليصعد، وقال الرب لميخائيل: خذ أخنوخ، وجرده من ثيابه الأرضية، وامسحه بالزيت الصالح، وألبسه ثياب المجد! وجردني ميخائيل من ثيابي، ومسحني بالزيت الصالح، وكان مظهر الزيت يتجاوز مظهر نور عظيم، وكان شحمه مثل ندى ناجع، وعطره مثل المر، وكان يشع مثل شعاع الشمس، ونظرت إلى نفسي، فكنت مثل واحد من المجيدين، ولم يكن هناك فرق في المظهر) [٢].

---

(١) http://www.kab.co.il

(٢) مخطوطات البحر الميت: أخنوخ الثاني، (٣/ ١٥٠، ١٥١).

ونستدل من هذا، أنه في هذه اللحظة، أصبح أخنوخ النبي مثل الملائكة، ويؤكد هذا، العبارة التي ذكرها أخنوخ أنه منذ أن مسحه الرب بزيت مجده فلم يعد يدخل غذاء إليه [١] . ويذكر المخطوط عن ترجوم يوناثان المنحول لسفر التكوين، أن أخنوخ صعد بشخصه إلى السماء، وسمي مطاطرون، الناسخ الكبير [٢] .

صعود إدريس(ﷺ) إلى السماء وأسبابه في تفسير ابن كثير:

لم تذكر التفاسير الإسلامية شيئًا عن أي مشاهدات لإدريس ﷺ في السماوات، أو عودته إلى الأرض، أو تكرار صعوده إلى السماء. قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦، ٥٧] فكان إخبار القرآن الكريم برفع إدريس ﷺ بشكل مجمل، وطبقًا للتفاسير الإسلامية فهي تفسر الرفع بأنه إلى مكان عالٍ أي السماء، كما تفسره بأنه مرتبة رفعة إلى مكانة سامية.

وقد أجمل القرآن الكريم أسسًا وقواعدَ نهتدي بها في مقارنتنا بين المصدر اليهودي، ومصادرنا الإسلامية التي تناولت الإسرائيليات في شأن إدريس ﷺ، وتلك الأسس هي أنه كان صديقًا نبيًّا، يقول الطبري في شرحه لهذه الآية الكريمة: أنه كان صديقًا لا يقول الكذب، ونبيًّا نوحي إليه من أمرنا ما نشاء. وفى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيفسرها أن الله رفعه إلى السماء الرابعة، ويعني إلى مكان ذي علو وارتفاع [٣] .

وقد ذكر الله تعالى إدريس ﷺ أنه من الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم. يقول الطبري في معنى هذه الآية الكريمة: « إن الذي عنى به الله تعالى من ذرية آدم هو إدريس ﷺ ».

كما وصفه المولى ﷻ بالصبر، فكان من الصابرين الذين تحملوا مهمة الدعوة لإصلاح البشر، وكما أنه في مرتبة الصالحين، الذين نالوا اجتباء الله بهدايته، وتقريبه، وحبه، وذلك ثمرة عبوديته لله وطاعته وصلاته [٤] .

---

(١) مخطوطات البحر الميت: أخنوخ الثاني، (٣/ ١٥٩).
(٢) هوامش مخطوطات البحر الميت، أخنوخ الأول، (٢/ ١٢٢).
(٣) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، (١٦/ ٩٦).
(٤) المرجع نفسه، (١٦/ ٩٧).

وقد ذكر ابن كثير في رفع إدريس ﷺ إلى السماء عدة روايات ترجع إلى الإسرائيليات. فيذكر في الرواية الأولى: أن إدريس ﷺ: (أتاه خليل له من الملائكة فطلب منه أن يكلم له ملك الموت ليؤخر أجله حتى يزداد علمه وعمله، فقال له: إن الله أوحى إلي كذا وكذا، فكلمْ لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملًا؛ فحمله بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء)[1] هذا أن إدريس ﷺ طلب تأخير أجله لأجل زيادة عمله الصالح، وعبادته في الدنيا.

ويذكر ابن كثير في رواية ثانية عن كعب الأحبار: (كان سبب رفعه إلى السماء الرابعة - على ما قاله كعب الأحبار وغيره - أنه سار ذات يوم في حاجة، فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب، إني مشيت يومًا، فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد، ويعني - ويقصد الملك المكلف بالشمس - فقال إدريس ﷺ: اللهم خفف عنه ثقلها وحرها. فلما أصبح الملاك وجد من خفة الشمس وحرها، ما لا يعرفه؛ فسأل الله عن سبب ذلك.... فقال: إن عبدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرها، فأجبته).

وتوضح هذه الرواية مكانة إدريس عند الله تعالى، فكان مستجاب الدعوة، حتى إنه كان يطلب من الله التخفيف عن الملائكة، مما جعل ملك الشمس يطلب من الله مصاحبة إدريس ﷺ، قال الملك: يا رب فاجمع بيني وبينه، واجعل بيني وبينه خلة، فأذن له، وعندما ذهب الملك إلى إدريس: قال له إدريس: اشفع لى عند ملك الموت ليؤخر أجلي، فأزداد شكرًا وعبادة، فقال الملك: لا يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها، وأنا مكلمه، فرفعه إلى السماء، ووضعه عند مطلع الشمس)[2] .

ثم يحكي ابن كثير أن إدريس رفعه خليل له من الملائكة: (فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرًا. فكلم الملك، ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: العجب؛ بعثت وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول كيف أقبض

---

(١) ابن كثير، تفسير، مرجع سابق، (٣/ ١٢٧).

(٢) القرطبي، (١١/ ١١٨).

روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض، فقبض روحه هناك. يقول ابن كثير: « فذلك قول الله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ »(١) .

ويعقب ابن كثير على هذه الرواية أنها من أخبار كعب الأحبار في الإسرائيليات، وقال: في بعضه نكارة، والله أعلم. ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر، عن ابن عباس أنه (سأل كعبًا فذكر أنه قال لذلك الملك: هل لك أن تسأله يعني ملك الموت، كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل؟ وذكر باقيه، وفيه أنه لما سأله عما بقي من أجله، قال: لا أدري حتى أنظر، فنظر ثم قال: إنك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين، فنظر الملك تحت جناحه، فإذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به)(٢) .

وفي رواية عن كعب الأحبار، يقول: « ثم أتى ملك الشمس إلى ملك الموت وقال له: ألك حاجة؟ قال: صديق من بني آدم يتشفع بي إليك لتؤخر أجله، فقال ملك الموت: ليس ذلك إلي، ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه، قال: نعم. فنظر في ديوانه فقال: إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبدًا، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: أنا أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق فما أراك تجده إلا وقد مات، فوالله ما بقي من أجل إدريس عليه السلام شيء، فرجع الملك فوجده ميتًا »(٣) . وفي رواية للسيوطي، أن إدريس عليه السلام حُمل إلى السماء وهو حي بواسطة ملكٍ، بناءً على طلبه؛ حيث ذاق الموت ثم أحياه الله بإذنه، وشاهد النار وأهوالها، ثم ذهب إلى الجنة، فطلب البقاء فيها، فأجابه الله لطلبه، فبقي فيها(٤) . وهذه الرواية ترجع إلى الإسرائيليات التي لا سند لها.

ويلاحظ أن جميع هذه الروايات مستقاة من الإسرائيليات، وليس لها سند في القرآن، ولم يرد ذكرها في حديث صحيح، وتدخل في باب المبالغات.

وإذا سلمنا بأن القصص الإسرائيلية الواردة في التفاسير الإسلامية والخاصة بإدريس عليه السلام تبغي إبراز مكانته من الله والملائكة، وبيان علمه الغزير، إلا أنه من

---

(١) ابن كثير، التفسير (٣/ ١٢٧)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٢) المرجع نفسه، (٣/ ١٢٧).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره، (١١/ ١١٨).

(٤) السيوطي: جلال الدين، الدر المنثور، مرجع سابق، (٥/ ٥١٩ – ٥٢٣).

الواجب تنقية التفاسير من الروايات التي تخرج عن مجال العقل والمنطق؛ وذلك لأنها تدخل في مجال أمور الغيب الذي لا ينبغي ادعاء معرفته، فنقع في زلل نحن في غنى عنه.

وأهم ما ورد من مبالغات احتوتها الروايات اليهودية هي:

• تكرار صعود أخنوخ من الأرض إلى السماء مع الملائكة؛ حيث لم يرد في التفاسير الإسلامية أي ذكر لذلك، لكنها تحدثت عن صعوده بواسطة الملائكة صعودًا واحدًا.

• الملائكة التي رآها أخنوخ وعدد أجنحتها، فورد في الرواية اليهودية أن الملائكة التي تسير أمام مركبة الشمس كان لكل منها اثنا عشر جناحًا [١]، ولم تذكر التفاسير الإسلامية التفاصيل التي روتها الحكايات اليهودية عن أبواب السماء، وأعدادها الاثنا عشر باتجاه الشرق، والاثنا عشر باتجاه الغرب، وما ورد عن حسابات القمر التي رآها في السماء، لا دليل عليها في الإسلام [٢].

• رؤية أخنوخ لعرش الرب في السماء السابعة، وحديثه مع الرب، ووقوفه أمام الرب، ثم مسحه بالزيت، وتجريده من ثيابه، ووضع الرب تاج على رأسه، ثم تحوله إلى الملاك مطاطرون [٣]. ولم يأت خبر لذلك في أي تفسير إسلامي.

كل هذه الأمور ليس لها شاهد قرآني أو نص في حديث عن رسول الله ﷺ، وبالنسبة لليهود فلم يكن أخنوخ فقط هو الذي تحدث معه الرب ورآه، فقد ذكروا رؤية الله وحديثه ﷻ مع أنبياء آخرين مثل إليا (إلياس) وآدم، وإبراهيم، ويعقوب، وموسى عليهم جميعًا السلام.

ولسنا بصدد تصديق إلا ما ورد في القرآن الكريم؛ وذلك لأن الكتب الأخرى قد أصابها الكثير من التحريف والتدخلات البشرية.

ومن المبالغات الواردة في الرواية اليهودية أيضًا، أن فرفئيل (أحد رؤساء الملائكة) كان يقوم بتعليم أخنوخ العلوم والأسرار الإلهية، فعلمه كافة أعمال السماء والأرض

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٧).
(٢) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٤٨).
(٣) نفسه، (٣/ ١٥٠، ١٥١).

والبحر، وكافة العناصر، وصعود الغيوم، ومخارج الرياح، حيث تعلمها خلال ثلاثين يومًا وليلة، وكتب ٣٦٠ كتابًا [١] . وذلك ما لم تذكره التفاسير الإسلامية.

أيضًا قول أخنوخ لأبنائه بعلمه ومعرفته بما كان في الماضي، وما سيكون في المستقبل، فجاء النص: (كنت قد أرسلت اليوم من فم الرب إليكم لأقول لكم كل ما هو كائن وما سيكون حتى يوم الحساب)، وقوله: (أنا أعلم الأشياء كلها، بعضها من فم الرب، والأخرى رأتها عيناي من البداية وحتى النهاية) [٢] . وهذا القول لم نجد له ذكر في المصادر الإسلامية.

وكذلك قول أخنوخ بنزول الرب إلى الأرض، فيقول النص: (في أيام أبينا آدم، نزل الرب على الأرض ليزورها مع خلقه كله الذي كان قد صنعه بنفسه، ونادى الرب كافة الحيوانات على الأرض، وكافة زواحف الأرض، وكافة الطيور، وقادها إلى أمم أبينا آدم لكي يعطيها أسماء لها كلها على الأرض، وتركها الرب قربه وأخضعها له كلها، وجعلها أدنى منه، ومن ثم جعلها خرساء بهدف الخضوع والطاعة الكاملين للإنسان) [٣] .

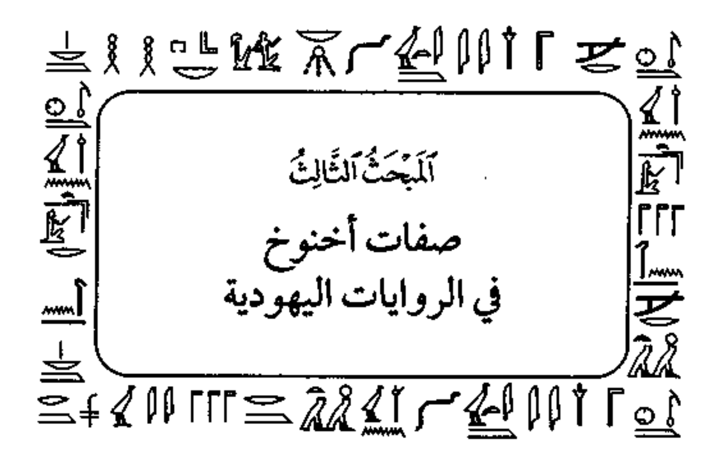
وهذا الأمر المتعلق ببداية الخلق لم يرد ذكره في كتاب الله، وليس له أي دليلٍ في القرآن أو السنة الصحيحة.

* * *

(١) مخطوطات، البحر الميت، (٣/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) نفسه، (٣/ ١٥٥).

(٣) مخطوطات، البحر الميت، (٣/ ١٦٠).



المَبْحَثُ الثَّالِثُ

صفات أخنوخ في الروايات اليهودية

إن مكانة النبي إدريس ﷺ العالية وذكره في الكتب السماوية، وبيان اختصاص الله تعالى له بالمدح والتصديق والقرب منه تعالى، جعلته كائنًا متميزًا تتنازعه الأمم بالانتساب إليها؛ كاليونانيين والفرس والبابليين والعرب والرومان وغيرهم، إلى جانب قدماء المصريين، وقد اتضح ذلك من خلال ما ذكرناه آنفًا في الاختلاف في مسميات إدريس ﷺ، ثم تناوله في التوراة، ونسج المفسرين اليهود الكثير من القصص والروايات التي تذكر صفاته ومكانته في محاولة لنسبته إليها.

وعلى الرغم من الكتابات الكثيرة حول مكانته ومرتبته إلا أننا نلاحظ أنه حتى وقتنا الحالي لم تظهر دراسة كاملة لحياة هذا النبي الجليل، وهو ما نحاول جاهدين تقديمه في هذه الدراسة من أجل إبراز مكانته التي تندر فيها الكتابة؛ لذا فسوف نبدأ بذكر خصائص أخنوخ (إدريس ﷺ)، وصفاته التي وردت في الروايات اليهودية في مخطوطات البحر الميت، والتي تم ذكرها في أسفار أخنوخ الأول وأخنوخ الثاني، كذلك ما ورد ذكره في قصص اليهود (الأجاداه).

صفات أخنوخ (إدريس ﷺ) في الكتابات اليهودية:

تحكي الرواية اليهودية أن أخنوخ قضى فترة طويلة منعزلًا عن البشر، ثم أتته الملائكة وطلبت منه أن يخرج من عزلته ليعلم البشر طرق الله، فأطاع وأرشد الكثير وعم السلام خلال ٢٤٣ سنة. وبعد وفاة آدم ﷺ قرر أخنوخ الاعتزال مرة أخرى

والتفرغ للعبادة، فكان يقضي ثلاثة أيام في الصلاة والتسبيح، ثم يعود في اليوم الرابع لتعليم أتباعه الحكمة، واستمر هذا الحال لفترة، ثم طالت فترات عزلته، حيث أصبح يظهر لقومه مرة في الأسبوع، ثم مرة في الشهر، ثم مرة في العام، وأثناء فترات عزلته لم يكن أحد يستطيع الاقتراب منه لطغيان الروح القدس على ملامحه [١] . ويلاحظ هنا سيطرة روح التصوف التي كانت منتشرة قديمًا في فارس وغيرها من دول الشرق الأدنى على مؤلفي هذه الروايات؛ حيث كان التصوف يولي أهمية كبيرة على فكرة الانعزال عن البشر للتعبد والقرب من الله.

وتذكر الروايات اليهودية أن أخنوخ تميز بصفات خاصة ومميزة، فقد عاش فترة طويلة من حياته في عزلة في مكان سري متفرغًا للعبادة، وكان يرتحل مع الملائكة الساهرة والمقدسة، يحملونه على أجنحتهم إلى السموات بغرض المشاهدة، وتعلم العلوم المختلفة، ثم يعودون به إلى الأرض مرة أخرى [٢] . وكانت الملائكة تناديه: يا كاتب العدالة، وتستغيث به، وتطلب شفاعته لها عند الرب [٣] .

كما كان معلمًا ومرشدًا يتجمع حوله الكثير لتعلم الحكمة لما لا يقل عن ١٣٠ ملكًا وأميرًا [٤] . وكان ملاك الحكمة يفسر له كل الكتب والأسرار الإلهية، وبواسطة هذا الملاك كتب أخنوخ كل شيء عن السموات والأرض وأرواح البشر، والتي لم تولد، والأماكن المعدة لها إلى الأبد، فكتب ٣٦٦ كتابًا. وتقول الروايات اليهودية أنه أصبح شبيهًا بملائكة الرب بعد صعوده السماء، وكشف له الرب عن الأسرار العظيمة التي لا يعرفها الملائكة، وزوده بالحكمة والذكاء والعدل، والمعرفة والفهم والرحمة، والتواضع والقوة، والبهاء والجمال. وقد أخبره الرب بقدوم طوفان سيأتي على الأرض ويدمر الأشياء كلها بسبب شرور البشر. وقد ذكر الرب للملائكة أن أخنوخ من

---

(١) لويس جنزبرج، قصص اليهود، مرجع سابق، (ص ١٣٧).

(٢) الساهرون هم الملائكة، ويذكرون أنهم الملائكة الأوفياء، أما النص الأثيوبي لكتاب أخنوخ فيذكرهم أنهم الملائكة المذنبون (الساهرون سيرتجفون وسيملكهم خوف ورعب عظيم)، انظر مخطوطات البحر الميت – التوراة المنحولة، (ص ١١٧).

(٣) لويس جنزبرج، قصص اليهود، مرجع سابق، (ص١٣٥).

(٤) نفسه، (ص ١٣٧).

أصفى البشر، وأنه أكثر البشر إيمانًا وصدقًا وعدلًا، وهو الذي استحق الرفع من العالم الأرضي، وأنه فتحت له بوابات الحكمة، وبوابات الفهم والإدراك، والحياة والسلام، والقوة والمحبة والتواضع، والمخافة من الذنب، كما فتحت له بوابات الحضرة الإلهية. وتضيف الرواية اليهودية أن أخنوخ بعد صعوده إلى السماء أصبح طوله وعرضه في طول وعرض العالم، وكان يرى في السموات الجنة والنار والعرش والكرسي والكواكب السيارة، وأنه لحق به من يمناه ويسراه ستة وثلاثون جناحًا. ووهبه الرب ٣٦٥ عينًا، كل منها مشع كالشمس. وجعله الله حارسًا على خزائن قصور السماء، وجعل أميري الحكمة والفهم يعملان لديه، ويكشفان له علوم السماء والأرض، ومعارف ما هو حاضر وآت، وكانت كل الملائكة تتوجه إليه بالطاعة وتنفيذ أوامره بناء على أمر الله لهم. وتقول الرواية أيضًا أنه لمكانته السامية، وضع الرب على رأسه تاجًا، يحمل الحروف التي خلقت بها السموات والأرض والبحار والأنهار والجبال والكواكب والرعد والبروق والعواصف وكل الأشياء، وكان أمراء السموات (أي الملائكة) يرتعدون عند مشاهدته، ويسجدون أمامه، وكان بهاؤه وجماله وجلاله يطغى على كافة الملائكة [1] .

كما أنه احتل المكانة الأولى في مدح الآباء في الروايات اليهودية، ووصفوه أنه معجزة المعرفة على مدى الدهور، فهو البار والكاتب، وهو ابن الإنسان الذي كان قد عاش على الأرض، والذي اعتقدوا أن كشوفاته قد وصلت إلى نوح بمعرفته وإخباره بالطوفان الذي سوف يحل على الأرض [2] .

وتذكره اليهودية أيضًا أنه هو القاضي في الآخرة الذي يوصل أوامر الرب للملائكة والبشر، وأنه كان موجودًا قبل الوجود، وأن اسمه لفظ قبل خلق الشمس وعلامات البروج، وهو معطى روح الحكمة والقدرة [3] .

ومن أهم مميزاته في منظور الرواية اليهودية اهتماماته المتعلقة بالتقويم والأعياد، كذلك امتلاكه صفة العدل، إلى جانب سلطة الشفاعة؛ لتشفعه للملائكة التي توسلت

---

(١) انظر لويس جنزبرج، قصص اليهود، (ص ١٤١ - ١٤٤).

(٢) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ٩).

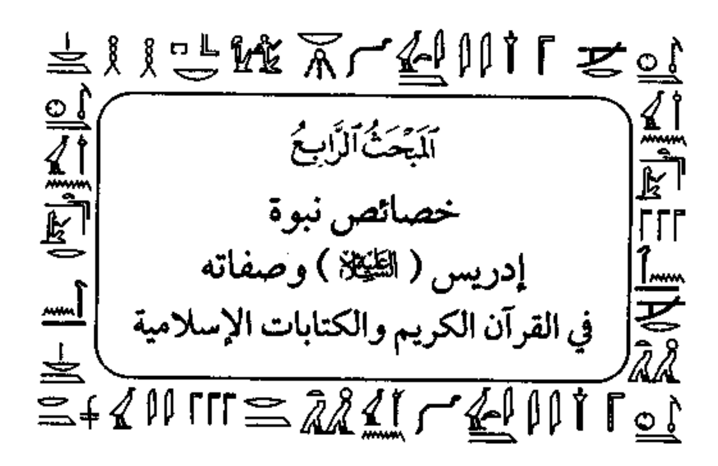
(٣) نفسه، (٢/ ١١).

إليه. كما تذكره الروايات بأنه التجسد لابن الإنسان السابق الوجود، الذي سيبقى إلى الأبد بالروح بين أتباعه، وأن أتباعه سيتوحدون به بعد الحساب إلى الأبد [١].

وهذه الصفات التي ألحقتها الروايات اليهودية بأخنوخ تتوافق بعضها مع الصفات التي ذكرها المفسرون والرواة الإسلاميون، والتي تتضمن صفات الحكمة، ومعرفته بالعلوم والأسرار التي كشفت له، كذلك صفاؤه وإيمانه وصدقه، وفهمه وعدله وأحقيته بالرفع، غير أن القصة اليهودية ورد فيها كثير من المبالغات والزيادات التي لم يتطرق إليها الإسلاميون،مثل: الأجنحة التي مده بها الرب، والتاج الذي وضع على رأسه، وتحوله إلى رئيس الملائكة وغيرها، وكذلك عدد عيونه، وطوله، وعرضه، إلى آخره من التصورات الخيالية والأسطورية التي وردت في الروايات اليهودية.

***

(١) مخطوطات البحر الميت، (٢/ ١٤٤).



أولًا: القرآن الكريم:

تبرز خصائص نبوة إدريس عليه السلام طبقًا للآية الشريفة المذكورة في القرآن الكريم في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ في الأمور التالية:

١- صفة الصدق والإخلاص التي كان يتحلى بها، حتى أنها جاءت بصيغة مبالغة بقوله تعالى: ﴿صِدِّيقًا﴾ مبالغة من صفة الصادق، ولفظ « كان » تدل على أنها من الخصال التي جبل عليها إدريس عليه السلام منذ نشأته، وتأصلت في فطرته، ويدل لفظ « كان » على أن إدريس عليه السلام حمل الرسالة قبل نبوته، لما له من صفات عليا تؤهله لحملها، وقد أثمرت هذه الصفات أن منحه الله الرسالة ورزقه النبوة.

٢- قول الله عز وجل في سورة (مريم/ ٥٨) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، فجاء ذكر إدريس عليه السلام أنه من ذرية آدم التي ذكرها الله سبحانه، وأولاها بالاجتباء والهداية والفضل العظيم، فدل على خصائص نبوة إدريس عليه السلام بإنتمائه لجده آدم عليه السلام، أول الخلق، وأول الأنبياء، وأول الرسل الكرام، وخليفة الله في الأرض، الذي سجدت له الملائكة أجمعين.

٣- من خصائص نبوته أيضًا طاعته لله وخشوعه، وعبادته التي توجه بها بالإذعان والامتثال والتسليم لله في كل أموره. قال تعالى في حق ذرية آدم ونوح وإبراهيم

وإسرائيل عليهم السلام: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] ولفظ « خروا » يدل على شدة الخضوع والتذلل والعبودية لله ﷻ مع كمال قدرهم.

٤- صفة الصبر التي تحلى بها إدريس ﵇ مع الإيمان، وجهاده في سبيل الله مما هيئه لحمله هداية قومه المفسدين والضالين ممن خالفوا شريعة آدم وشيث عليهما السلام. قال تعالى في أمر هؤلاء: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] ويظهر المولى ﷻ تلك الصفة في إدريس ﵇ في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥].

٥- ارتفاع مكانته، وعلو قدره، حيث أثنى عليه الله ﷻ بقوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فسواء كان ارتفاع رتبة، أو منزلة، أو مكانة، أو إلى السموات، فكل تلك المعاني لم يقع في القرآن مثلها في شأن أي نبي – على ارتفاع مكانتهم – إلا في إدريس ﵇، فهي خصوصية لا يعلمها إلا الله.

٦- آتاه الله تعالى الكتاب والحكمة، فيما أنزله عليه من صحف سماوية كان عددها ثلاثين صحيفة.

٧- دعوته لقومه بطاعة الله وأداء العبادات، من صلاة وصيام وزكاة، والطهارة وتحريم المسكرات، ونهيه لقومه عن مخالفة شريعة آبائه آدم وشيث عليهما السلام.

٨- حكمه ومواعظه التي أداها لقومه بالعمل الصالح في الدنيا والزهد فيها، والإعداد الكامل للحياة الأخرى، فكانت طريقًا ومنهاجًا سار عليه من بعده؛ لأجل العبادة الصحيحة والمعاملة الحسنة بين بني الإنسانية؛ لما فيه الخير والصلاح وعمارة الأرض.

ثانيًا: صفات إدريس ﵇ في الكتابات الإسلامية:

خص العلماء المسلمون إدريس ﵇ بصفات مميزة لما كان له من خاصية إرساله من الله تعالى نبيًّا بعد آدم ﵇، فوصفوه بالصديقية والصبر، ونيل مرتبة الرفع إلى المكان العلي، وقد تجلت هذه الصفات في ذكر القرآن الكريم له في سورة مريم ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٦] حيث نال مرتبة النبوة والصديقية.

فقد تناولته الكتابات التاريخية التراثية الإسلامية، وتحدثت عن مكانته العظيمة وصفاته الجليلة، مثل كتاب وهب بن منبه (التيجان في ملوك حمير)، واليعقوبي في تاريخه، وابن قتيبة في كتاب (المعارف)، والدينوري في كتابه (الأخبار الطوال)، وابن جرير الطبري في كتابه (تاريخ الرسل والملوك)، والمسعودي في (مروج الذهب)، وكتاب (الفهرست) لابن النديم، و(الإكليل) للهمداني، وابن صاعد الأندلسي في كتابه (طبقات الأمم)، والشهرستاني في (الملل والنحل)، وابن الأثير في (الكامل في التاريخ)، والقفطي في (تاريخ الحكماء)، والقزويني في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد)، وابن العبري في كتابه (تاريخ مختصر الدول)، وابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، وابن خلدون في تاريخه، وغيرهم، وقد أثنت تلك الكتابات على مكانته وفضله، وتفضيل الله له وقربه منه تعالى.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: « روى ابن عساكر من طريق الكلبي أنه قال: أول نبي بعث إدريس عليه السلام، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم إسماعيل، ثم إسحق، ثم يعقوب، ثم يوسف، ثم لوط، ثم هود، ثم صالح، ثم شعيب، ثم موسى، وهارون، ثم إلياس، ثم اليسع، ثم عرفي بن سويلخ بن إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، ثم يونس بن متى من بني يعقوب، ثم أيوب بن زراخ بن أموص بن لبغرز بن العيص ابن إسحق بن إبراهيم ».

ويعلق ابن كثير، أن هذا الترتيب للأنبياء فيه نظر؛ وذلك لأن هودًا وصالحًا المشهور أنهما بعد نوح وقبل إبراهيم، والله أعلم [(١)] .

ومن خصائصه التي ذكرها المفسرون الإسلاميون أنه سمي إدريس عليه السلام لكثرة دراسته سنن الإسلام من كتب الله تعالى [(٢)] ، وأنه أول من خط بالقلم، فيذكر ابن كثير أن طائفة من الناس قالت أن إدريس عليه السلام هو المشار إليه في حديث معاوية بن الحكم السلمي لما سأل رسول الله ﷺ عن الخط بالرمل فقال: « **إنه كان نبي يخط به فمن وافق**

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١/ ٢٢١).

(٢) ذكره أبو السعود في تفسيره، (٥/ ٢٧٠)، والقرطبي في تفسيره، (٧/ ٥٩)، والزمخشري في تفسيره، (٣/ ٢٥)، والنسفي في تفسيره، (٣/ ٤٠). ونقله ابن منظور في اللسان (درس)، (٦/ ٧٩).

خطه فذاك »[(١)] . وقال المفسرون أنه أول من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود من قبله، وكان لا يغرز إبرة إلا قال: سبحان الله [(٢)] ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وهو أول من نظر في علم النجوم والحساب، وأول أولي العزم، وأول من اتخذ السلاح وقتل الكفار [(٣)] ، وأول من اتخذ السبي والأسرى [(٤)] . وكان عبدًا تقيًا رفع له من العمل الصالح ما رفع لأهل الأرض في زمانه [(٥)] ، وهو أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية. وأول من بنى الهياكل ومجد الله فيها، وأول من نظر في علم الطب، وأول من أنذر بالطوفان، وخاف ذهاب العلم فبنى الأهرام والبرابي في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصنائع والآلات [(٦)] .

وجاء أن إدريس عليه السلام نزل عليه جبريل أربع مرات، وهو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة، ورتبها في بيوتها [(٧)] ، وهو أول من تكلم في الأجرام العلوية، وهو الذي رأى أنه آفة سماوية تلحق الأرض، فخاف ذهاب العلم، فبنى الأهرام التي في صعيد مصر الأعلى، وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ورسم صفات العلوم والكمالات حرصًا على تخليدها [(٨)] .

وقال القنوجي: « إن آدم عليه السلام كان يرسم الخطوط بالبنان، وكان أولاده يتلقونها بوصية منه، وبعضهم بالقوة القدسية القابلية (القلبية) فكان أقرب عهد إليه،

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، مرجع سابق، (١/ ٩٩، ١٠٠).

(٢) ابن كثير، التفسير، مرجع سابق، (٣/ ١٢٧).

(٣) السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير السمعاني، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، (٣/ ٣٠٠).

(٤) حسين بن محمد ديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ت ٩٦٦هـ، مؤسسة شعبان، بيروت، الجزء الأول.

(٥) السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، (٥/ ٥١٨).

(٦) ابن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، (ص ٤١)، وقاله ابن العبري في تاريخ مختصر الدول. وفي طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل يذكر أنه بنى البرابي وهو الجبل المعروف بالبربا (بأخميم) نحته نقشًا، وصور فيه جميع الصناعات وصنائعها، وجميع الآلات، حرصًا منه على تخليد العلوم لمن بعده. انظر (ص ٥).

(٧) الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، (٢/ ٢٠٢)وما بعدها.

(٨) القنوجي، أبجد العلوم، مرجع سابق، (١/ ١٦٤).

إدريس عليه السلام؛ فكتب بالقلم، واشتهر عنه من العلوم الكثير، ولقب بِهرمِس الهرامسة، والمثلث بالنعمة لأنه كان نبيًّا ملكًا وحكيمًا، وقال: وهو لا يزال مؤيدًا بالملة الإسلامية إلى يوم الحشر والميزان »[1] .

وقال القفطي: « إدريس عليه السلام هو أول من استخرج الحكمة، وعلم النجوم، وأفهمه الله ﷻ سر الفلك، ونقطة اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب، وقسم الأرض أربعة، وأمر قومه بالصلاة والصيام والزكاة، وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة، وحرم السكر من المشروبات، وجعل لهم أعياد في أوقات معلومة، وأمر بتقريب البخور والذبائح والخمر، وعرَّف قومه صفة النبي محمد ﷺ، ورتب الناس ثلاث طبقات: كهنة، وملوكًا، ورعية »[2] .

وقال القفطي أيضًا: « أقام إدريس عليه السلام ومن معه بمصر، يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الله ﷻ، وتكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لسانًا، وعلمه الله منطقهم ليعلم كل فرقة منهم بلسانها، ورسم له تمدين المدن، وجمع كل طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية، فبنت كل فرقة من الأمم مدنًا في أرضها، وكانت عدة المدن التي أنشئت في زمانه مائة مدينة وثمان وثمانين مدينة، أصغرها الرها »[3] . وقال أيضًا: « إنه قسم الأرض أربعة أرباع، وجعل على كل ربع ملكًا يسوس أمر المعمور من ذلك الربع، وأمر قومه بالعمل الصالح في الدنيا، وحض على الزهد فيها والعمل بالعدل، وأمرهم بالصلاة والصيام في أيام معلومة في كل شهر، وأمرهم بزكاة الأموال، ومعونة الضعفاء، وجعل لهم أعيادًا في أوقات معروفة، وكان مكتوبًا على فص خاتمه: (الصبر مع الإيمان بالله يورث الظفر). وقال القفطي أيضًا: « ألف لأهل زمانه قصائد موزونة، وأشعارًا معلومة في الأشياء الأرضية والعلوية »[4] .

---

(١) المرعشي، كشف الظنون من أسامي الكتب والفنون، مرجع سابق، (١/ ٢٥) والقنوجي، أبجد العلوم (١/ ١٦٣) وكلاهما نقلًا عن السيوطي في المزهر.

(٢) القفطي، تاريخ الحكماء، مرجع سابق، (ص ٢٠٢).

(٣) القفطي، مرجع سابق، (ص ٣)، والقرماني، مرجع سابق، (ص ٥٧).

(٤) القفطي، تاريخ الحكماء، مرجع سابق، (ص ٣).

وقال وهب: « إدريس عليه السلام النبي، أول من كتب بيده من أهل الدنيا، وأنزل عليه الكتاب السرياني، علمه إياه جبريل (عليه السلام)، وهو أول من أنزل الله تعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) في صحيفة، وبعده ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...﴾ إلى آخر الآية، ثم أنزل عليه أبجد إلى آخرها، فكتب وقرأ، ولما رفعه الله استخلف ابنه متوشالح »[1] .

وقال ابن قتيبة الدنيوري: « إنه استجاب له ألف إنسان ممن كان يدعوهم، فلما رفعه الله اختلفوا بعده، وأحدثوا الأحداث إلى زمن نوح »[2] .

وقال ابن جرير الطبري: « دعا أخنوخ قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان، وألا يلابسوا ولد قابيل، فلم يقبلوا منه »[3] . وقال أيضًا: « إدريس عليه السلام هو أول من سبى من ولد قابيل، فاسترق منهم ودعا قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان »[4] . وقال: « إدريس عليه السلام أول من ركب الخيل لأنه اقتفى رسم أبيه في الجهاد »[5] .

وقال: « قيل أن هِرمِس الأول بنى مائة وثمانين مدينة صغراها الرها، وسن للناس عبادة الله، والصوم والصلاة والزكاة، والتعييد لحلول السيارة ببيوتها وأشرافها، وكذلك كلما استهل الهلال، وحلت الشمس برجًا من الاثني عشر، دعا الناس أن يقربوا قرابين من كل فاكهة باكورتها، ومن الطيب والذبائح والخمور أنفسها، وحرم السكر والمآكل النجسة ». وقال أيضًا: إن اسقليبياذيس الملك اليوناني هو أحد من أخذ الحكمة عن هِرمِس، وولاه هِرمِس ربع الأرض المعمورة يومئذ، وهو الربع الذي ملكه اليونانيون بعد الطوفان. ولما رفع الله هِرمِس إليه، حزن اسقليبياذيس على أخنوخ حزنًا شديدًا، تأسفًا على ما فات الأرض من بركته وعلمه؛ فصاغ له تمثالًا على صورته ونصبه في هيكل عبادته، وصوره مرتفعًا إلى السماء، على غاية ما يمكن من

---

(١) وهب بن منبه، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، طبعة مصر، ١٩٣٤م.

(٣) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، مرجع سابق، (٣/ ٥٣٣).

(٤، ٥) نفسه.

إظهار أهبة الوقار والعظمة عليه، وكان الملك يمثُل بين يديه تارة، ويجلس أخرى، ويتذكر حكمه ومواعظه، وبعد الطوفان ظن اليونانيون أن الصورة لاسقليبياذيس فعظموه غاية التعظيم ». ثم يذكر ابن العبري أن هذه الأخبار فيها ورد قبل الطوفان، لم يسند إلى نبأ نبوي، فهو حدس وتخمين لعدم المخبر به على الوجه [(١)] .

وجاء في رسائل إخوان الصفا: هِرمِس المثلث بالحكمة، وهو إدريس عليه السلام النبي، أنه صعد إلى فلك زحل، ودار معه ثلاثين سنة، حتى شاهد جميع أحوال الفلك، ثم نزل إلى الأرض فخبَّر الناس بعلم النجوم [(٢)] .

وقال القرماني: « إدريس عليه السلام كان نبيًّا وملكًا عظيمًا، ولد بمصر وسموه (هِرمِس الهرامسة)، أي أسد الأسود، وهو عطارد، ومن معجزاته أنه كان يرى الملائكة في الهواء حين يظهرون، وكان كلما دعا السحاب أجابه بلغته، وسمعه الناس يتكلم مع السحاب، ويقال أنه دفع إليه كتاب سر الملكوت الذي علمه عزرائيل الملك لآدم، وكانوا يتوارثونه لا ينظرون فيه، ولم يفتحه بعد شيث غير إدريس عليه السلام » [(٣)] .

وقال السعدي: « جمع الله له بين الصديقية الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه واختياره لرسالته » [(٤)] .

ويذكر عفيف طبارة في كتابه مع الأنبياء في القرآن أن خلاصة أقوال العلماء فيه أنه أول من نزل عليه الملك جبريل بالوحي لهداية نسل قابيل؛ ليرجعوا عن غيهم وكفرهم ويتوبوا إلى الله [(٥)] .

وتضيف دائرة المعارف الإسلامية: أن إدريس عليه السلام هو أول من امتطى الفرس للجهاد في سبيل الله ضد أحفاد قينان المفسدين، وأول من نزل عليه جبريل بالوحي [(٦)] .

---

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، مرجع سابق، (ص ١٢، ١٣).

(٢) رسائل إخوان الصفا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٥م، الجزء الأول الرياضيات، (ص١٢٠).

(٣) القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، مرجع سابق، (ص ٢١).

(٤) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، تحقيق ابن عثيمين، (١/ ٤٩٦).

(٥) عفيف عبد الفتاح طبارة، مع الأنبياء في القرآن، دار العلم، بيروت، ١٩٧٩م، (ص ٥٦، ٥٧).

(٦) قال ابن الأثير: « خنوخ عاش بعد ما ولد متوشلح ثلاث مئة سنة ثم رفع، واستخلفه خنوخ على أمر ولده =

وحُكي عن وهب: أنه أول من اتخذ السلاح، وجاهد في سبيل الله، ولبس الثياب، وأظهر الأوزان والأكيال، وأنار علم النجوم [١] .

وقال القرماني: « صنف إدريس ﷺ الكتب الكثيرة مما جاء به جبريل، ومما فيه إظهار أسرار الربوبية » [٢] .

وجاء في نهاية الأرب في فنون الأدب: أن إدريس ﷺ أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وورثه صحف شيث وتابوت آدم [٣] وجاء في الباب الثالث من القسم الأول من الفن الخامس: كان إدريس ﷺ يعيش من كسب يديه، وكان يدعو الناس ثلاثة أيام، ويعبد الله أربعة. وأخرج ابن المنذر، عن عمر مولى غفرة يرفع الحديث إلى النبي ﷺ قال: إن إدريس ﷺ كان نبيًّا تقيًّا زكيًّا، وكان يقسم دهره نصفين: ثلاثة أيام يعلم الناس الخير، وأربعة أيام يسيح في الأرض ويعبد الله مجتهدًا [٤] .

ويقول الشهرستاني: « وهِرمِس العظيم، المحمودة آثاره، المرضية أقواله وأفعاله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال هو إدريس النبي ﷺ، هو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة ورتبها في بيوتها، وأثبت لها الشرف والوبال والأوج والحضيض، والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع، والمقابلة والمقارنة والرجعة والاستقامة، وبين تعديل الكواكب وتقويمها، وأما الأحكام المنسوبة إلى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع » [٥] . ويذكر الشهرستاني أيضًا، أن للهند والعرب طريقة أخرى في الأحكام، أخذوها من

وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل أن يرفع، وأعلمهم أن الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم، وأنه أول من ركب الخيل لأنه سلك رسم أبيه خنوخ في الجهاد »، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م، (١/ ٣٥، ٣٦).

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي بأبي ظبي.

(٢) أخبار الدول، مرجع سابق، (ص ٤٤).

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، مرجع سابق.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور، (٥/ ٥١٩) معزوًّا إلى ابن المنذر.

(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، (٢/ ١٠٣ - ١٠٦).

خواص الكواكب لا من طبائعها، ورتبوها على الثوابت لا على السيارات. ويقال أن غاذيمون وهِرمِس، هما شيث وإدريس عليهما السلام، ونقلت الفلاسفة عن غاذيمون أنه قال: « المبادئ الأول خمسة: الباري تعالى، والعقل، والنفس، والمكان، والخلاء وبعدها وجود المركبات »[١].

ويذكر نديم السيار معارف إدريس ﷺ العلوية فيقول: « إن قدماء المصريين عرفوا منه معاني روحية سامية كالتوحيد، والإيمان بالبعث، وعرفهم حساب الآخرة، والميزان، والجنة والنار، والعبادات من صوم وصلاة وزكاه وغيرها »[٢].

ومن أقوال عبد الوهاب النجار في قصص الأنبياء في خصاله: « أنه قال بالتوحيد، وحض على الزهد في الدنيا، والعمل بالعدل، وغلظ على قومه في الطهارة من الجنابة والحمار والكلب، وحرم السكر، وأمر بتقريب ثلاثة أشياء: البخور والذبائح والخمر، وتقريب كل باكورة، فمن الرياحين الورد، ومن الحبوب الحنطة، ومن الفواكه العنب، وعرف أهل زمانه بأنبياء يأتون من بعده، وعرفهم صفة النبي فقال: يكون بريئًا من المذمات والآفات، كاملًا في الفضائل، مستجاب الدعوة في كل ما يطلبه، وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم. وأن شريعته في المملكة الحقيقية، وتعرف في ملة الصابئين بالقيمة »، ويذكر النجار أن قبلة إدريس ﷺ كانت الجنوب على خط نصف النهار[٣].

ويعلق النجار فيما رواه عن إدريس ﷺ أن كل ما جاء فيه من أخبار، لم يؤيد بنقل صحيح، ولم يعضدها نص قاطع، وهي أقوال لا بأس بالاطلاع عليها، وهي أشبه بالخرافات، بل يجد فيها أهل التاريخ ما يناقضها من العلم بأسماء بناة الأهرام، والذين حفروا البرابي، وشيدوا المعابد، والله تعالى أعلم بشأنه[٤].

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، (٢/ ١٠٣ - ١٠٦).

(٢) نديم السيار، قدماء المصريين أول الموحدين، ط٢، ١٩٩٦م، (ص ١٩٢).

(٣) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، مرجع سابق، (ص ٤١، ٤٢).

(٤) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، مرجع سابق، (ص ٤٤).

وجاء في دائرة معارف البستاني: إدريس عليه السلام ألف كتبًا كثيرة فيها أسرار الربوبية [١] .

ويشرح السمرقندي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ : أن التفضيل على ثلاثة أوجه، تفضيل في دلالة النبوة، أو أكثرية أمته، أو يكون بنفسه مثل تكليم موسى عليه السلام لله، أو رفع بعضهم درجات مثل إدريس عليه السلام قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [٢] .

ويضيف السمرقندي أن إدريس عليه السلام كان يسيح النهار كله وهو صائم، فإذا جنه الليل أتاه رزقه حين يمسي، فينظر عليه ثم يحيى الليل كله [٣] .

وقال السعدي في تفسيره: « إن الله تعالى ذكره في كتابه الكريم في سورة (مريم/ ٥٨): ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ دلالة على الخضوع والخشوع والإنابة إلى الله سبحانه » [٤] .

وقال النسفي في تفسيره: « إن إدريس عليه السلام حبب للملائكة لكثرة عبادته » [٥] .

---

(١) دائرة معارف البستاني، (٢/ ٦٧١). وقد تغنى الشعراء بأمجاد أخنوخ، ومنهم علي بن الجهم المولود ببغداد سنة ١٨٨ هـ فيقول:

وَلَم يَزَل يارِدُ يَألو قَومَهُ	نُصحًا وَكانوا يُكثِرونَ لَومَهُ
حَتّى إِذا ماتَ اِستَقَلَّ بَعدَهُ	إدريس بِالأَمرِ فَأَورى زِندَهُ
وَهُوَ أَخنوخ بِالبَيانِ أَعجَما	صَلّى عَلَيهِ رَبُّنا وَسَلَّما
أَوَّلُ مَبعوثٍ إِلى العِبادِ	وَآمِرٍ بِالخَيرِ وَالرَشادِ
وَأَوَّلُ الناسِ قَرا وَكَتَبا	وَعَلِمَ الحِسابَ لَمّا حَسَبا
فَلَم يُطِعهُ أَحَدٌ مِن أَهلِهِ	وَاِختَلَطوا بِقابِينَ وَنَسلِهِ
فَرَفَعَ اللهُ إِلَيهِ عَبدَهُ	مِن بَعدِ ما اِختارَ المَقامَ عِندَهُ
وَصارَ مَتوشَلَخٌ مُستَخلَفا	مِن بَعدِ إدريس النَبِيِّ المُصطَفى

انظر الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي بأبي ظبي، وواضح من الأبيات اطلاع الشاعر على الآثار الواردة في شأن أخنوخ (إدريس)؛ حيث يتحدث عن نسبه وأسمائه ومرتبته وعلومه.

(٢) السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث، تفسير السمرقندي، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمود مطرجي، (١/ ١٩٢)، في شرح سورة البقرة آية ٢٥٣.

(٣) السمرقندي، تفسير، (٢/ ٣٧٨).

(٤) السعدي، تفسير، مرجع سابق، (١/ ٤٩٦).

(٥) النسفي، تفسير، مرجع سابق، (٣/ ٤٠).

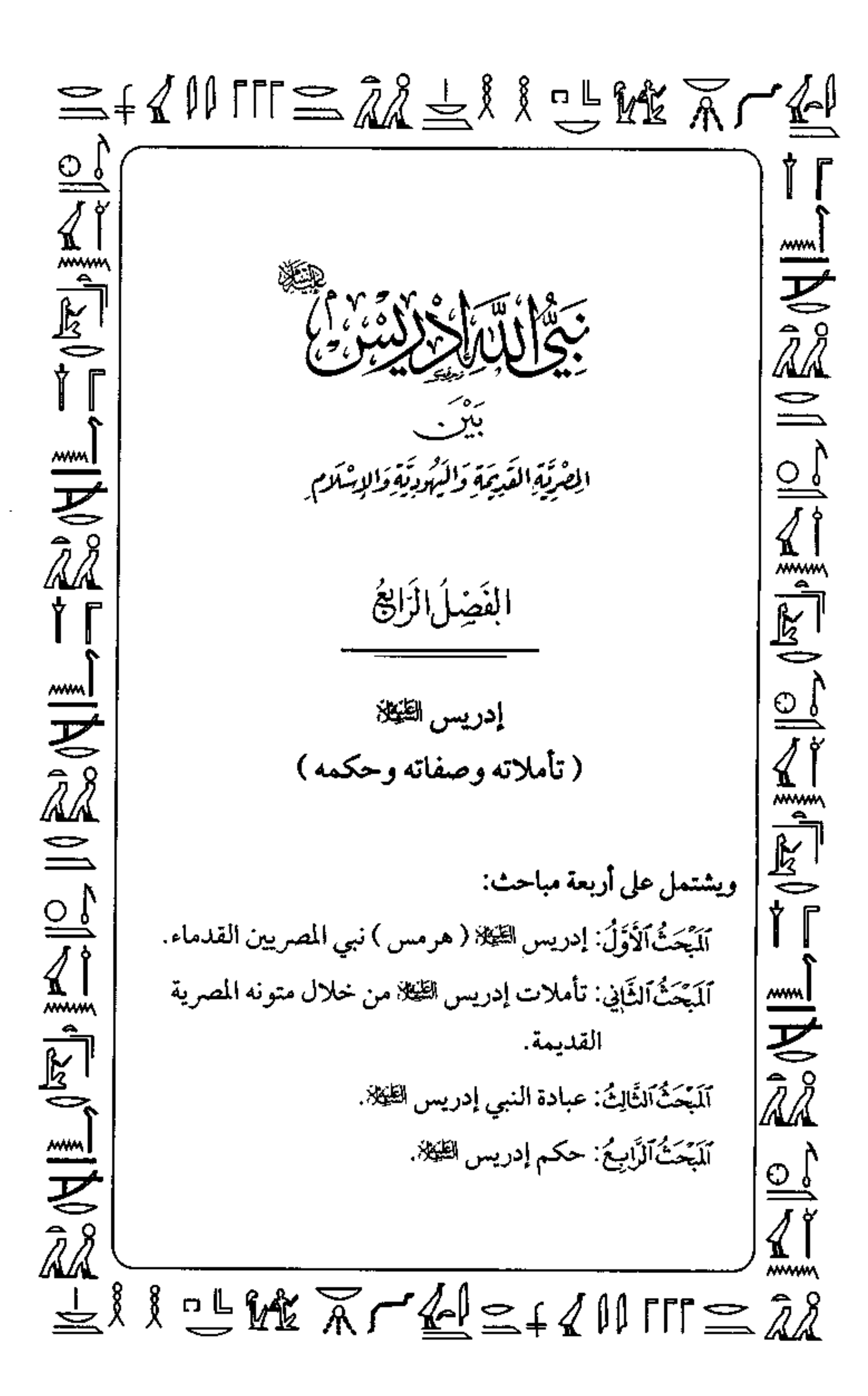
ويقول القرطبي: « إنه حبب لملك الموت لما رآه منه من كثرة عبادته لله وصيامه نهارًا وقيامه الليل »[1].

وخلاصة القول في صفات إدريس ﷺ. أن جميع المفسرين والعلماء والشراح - سواء الإسلاميين واليهود - قد جمعوا لإدريس ﷺ جميع خصال الكمال في النبوة والصديقية، والطاعة والخضوع والخشوع، والتذلل لله والدعوة إلى الله بالعمل والصبر والإخلاص والجهاد في سبيله، وهى خصال ليست بغريبة على نبي مرسل من الله تعالى ذكره ﷻ في القرآن والتوراة بالاصطفاء والاجتباء، وأثنى عليه بعلو المكان والمكانة.

***

---

(١) القرطبي، تفسير، مرجع سابق، (١١/ ١١٨).



نبي الله إدريس عليه السلام

بين

المصرية القديمة واليهودية والإسلام

الفصل الرابع

إدريس عليه السلام
(تأملات وصفاته وحكمه)

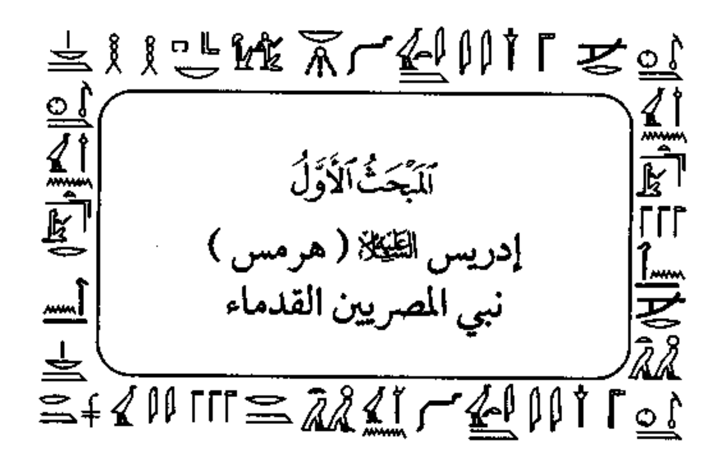
ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: إدريس عليه السلام (هرمس) نبي المصريين القدماء.

المبحث الثاني: تأملات إدريس عليه السلام من خلال متونه المصرية القديمة.

المبحث الثالث: عبادة النبي إدريس عليه السلام.

المبحث الرابع: حكم إدريس عليه السلام.



المَبْحَثُ الأَوَّلُ

إدريس عليه السلام (هرمس) نبي المصريين القدماء

يرجع الفضل في معرفة حقيقة المصريين القدماء ودينهم وشرائعهم وآدابهم إلى علماء الآثار الذين كشفوا عن الوثائق التاريخية التي تركها قدماء المصريين المكتوبة على أوراق البردي، والنقوش القديمة التي كانت تزدان بها واجهات المعابد والمسلات والأعمدة والأهرامات في مصر القديمة، كذلك المخطوطات التي وجدت مع الموتى في حوانيتهم. وقد كشف (مانيتون) في مذكراته عن عقائد المصريين القدماء التي كانوا يدينون بها، والتي تدعو إلى التوحيد، وأرجعها الى الرسل الذين أرسلهم الله إليهم، فذكر أن إدريس عليه السلام هو نبي المصريين القدماء الأوحد، وكانوا يطلقون عليه (هوروس)، وهو الذي عرف هو وأتباعه الحورشوس أو أتباع حوروس، المسمى وقتهم بعصر ملوك الكهنة، وهو عصر ما قبل مينا أول العائلات الفرعونية، وكان يدعو المصريين إلى عبادة الله الواحد الأحد فعرفوا منه التوحيد [١] .

يقول السيد محمود أبو الفيض في كتابه القيم (الدين المقارن): « كان المصريون يعرفون الله الواحد الأحد، وكانت عبادتهم له بالصمت والرهبة احترامًا وتوقيرًا، وكانوا يصفونه: فرد أزلي خالق، كان قبل كل شيء، ويبقى بعد كل شيء، لا بداية له ولا نهاية، خالق الأرواح في الأشباح، يمضي الزمان وهو باق؛ لأنه هو الإله الذي لا اسم له ».

---

(١) محمود أبو الفيض، الدين المقارن، مرجع سابق، (ص ٥٦، ٥٧).

وقد سماه المصريون القدماء (آتون) ولهذا الاسم معنيان: معنى خفي: وهو أصل كل شيء، وهو الذي قام به الوجود، ومعنى ظاهري: وهو الذي تكونت به السموات وما فيها من شموس، والأرض وما فيها من مخلوقات [١] .

ويذكر أيضًا: أنه جاء في كتاب خطي مكتوب باللغة الهيروغليفية اكتشف حديثًا، وتاريخه قبل المسيح بأربعة آلاف سنة أي في عهد الدولة الرابعة، أن أبا الهول كان مطمورًا تحت التراب ومنسيًّا أجيالًا عديدة، فاكتشف في العصر المذكور، وليس كما توهم بعض المؤرخين من أن أبا الهول أقيم في عهد بناة الأهرام، بل كان مطمورًا فكشفوه. ووضع أبو الهول على شكل له جسم ثور، وصدر سبع، ورأس امرأة، إشارة إلى القوة والصبر واللطف – وهو تمثال لهرمس أو إدريس – أو رمز للحكمة، أو للنيل في فيضانه الحاصل دائمًا، وللشمس في برج الأسد والجوزاء [٢].

ويقول السيد أبو الفيض: « وكان هرمس إدريس ﷺ قد بلغ في الحكمة والعلوم الإلهية والطبيعية والفلك مبلغًا عظيمًا، حتى أَلَّهه المصريون فيها بعد، استجابة لدعوة بعض تلاميذه الذين انحرفوا عن تعاليمه. وإدريس هو أيضًا الذي علمهم المساحة والفلك وباقي العلوم الرياضية، وعلم الطبيعيات، وله في ذلك مؤلفات احتفظ بها الكهنة ككنز سري تحت أيديهم » [٣] .

وكان الكهنة يلقنون تلك الفلسفات والعلوم الهرمسية، لتلاميذهم تلقينًا شفويًّا، فيعلمونهم التوحيد وسر الروح، وشيئًا من أسرار الطبيعة وعلم الفلك، ويأمرونهم بكتم تلك العلوم عن العامة، وجعلوا كتب هرمس أسفارًا لهم.

وكان المصريون يعتقدون أن أجدادهم وأسلافهم (الحرشوس) إنما أوتوا أصل دينهم وقوانينهم من المحكمة الإلهية مباشرة على لسان نبيهم هوروس أو هرمس، وهو إدريس ﷺ أو أخنوخ بالعبرية وهيرماكيس باليونانية.

---

(١) محمود أبو الفيض، الدين المقارن، مرجع سابق، (ص ٥٨، ٥٩).

(٢) المرجع السابق، (ص ٦٠).

(٣) المرجع نفسه، (ص ٦٠، ٦١).

ويذكر أبو الفيض أن الهرامسة ثلاثة:

١- واحد في مصر: باسم هرمس الكبير، وهو غير هورروس ابن إيزيس.

٢- وواحد في اليونان باسم هيرماكيس، وكان يسميه القدماء إسكايبازيس.

٣- وواحد في الفرس يدعى باسم هرمز.

ويرى الأستاذ أبو الفيض أن الجميع شخص واحد وتعبير عن هرمس واحد وهو هرمس المصري أو إدريس النبي المثلث الحكمة؛ لكونه أوتي النبوة والعلم والحكمة، وقد رفع إلى السماء بعد موته [١].

وقد اشتهر المصريون القدماء بالحكمة، وكان أهل روما يعتقدون أن الفلاسفة اليونانيين أخذوا أفضل نظرياتهم من كهنة مصر، ولا سيما فيثاغورس الذي علم في إيطاليا فلسفته وعلومه، وبالأخص الرياضة والموسيقى [٢].

وكان قدماء المصريين أول الموحدين، كما ذكر كثير من العلماء وخاصة الغرب، وكانوا يمتلكون علومًا ومعارف غزيرة، استقوها من نبيهم إدريس الذي كانوا يدينون له بالطاعة والولاء، ويتبين لنا هذا من خلال توجههم إلى الله بالعبادة والتوحيد وأداء الشرائع من صلاة وصيام وزكاة وغيرها من تعاليم النبي إدريس، وهناك الكثير من الصور والوثائق المكتوبة على جدران المعابد يظهر فيها كيفية تأدية المصريين القدماء لهذه العبادات، ويظهر ذلك من كيفية طهارتهم ووضوئهم، ومن حركات الصلاة لديهم؛ من وقوف في وضع التكبير، وركوعهم وسجودهم وقعودهم ، وأيضًا في ندائهم للصلاة، وفي ذكرهم لفظ آمين المستعمل في صلاتهم وأيضًا في تسبيحاتهم [٣].

وتذكر دائرة المعارف الإسلامية أن تحديد مواعيد الصلاة عند قدماء المصريين عرفوه طبقًا لتقسيمهم للزمن إلى ساعات ودقائق وثواني، وكان إدريس أول من

---

(١) محمود أبو الفيض، الدين المقارن، مرجع سابق، (ص ٦٣).

(٢) المرجع نفسه، (ص ٥٦، ٥٧).

(٣) انظر: هدى درويش، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، (ص ٢٦- ٢٨).

نظر في علم النجوم وحساب السنين والأيام [١]، فيذكر ويل ديورانت أن قدماء المصريين أول من أنشأ (التقويم) الذي أصبح من أعظم ما أورثه المصريون بني الإنسان [٢].

ويذكر نديم السيار في كتابه (المصريون القدماء أول الحنفاء) والذي أيده بالوثائق والصور، أن الصلاة هي الركن الثاني بعد الشهادة عند قدماء المصريين، وكانت عندهم خمس صلوات في اليوم، وشروط الصلاة عندهم ثلاثة: الطهارة، ستر العورة، واستقبال القبلة، كما علمهم نبيهم إدريس عليه السلام.

والطهارة عند قدماء المصريين تشمل الاغتسال من الجنابة كما جاء في تعاليم إدريس عليه السلام [٣]؛ وكان قدماء المصريين أول من عرف ومارس الطهارة، فهي عند قدماء المصريين الحنفاء فرض واجب، ولا يدخلون المعابد بدونها.

والتطهر عندهم قبل الصلاة بالوضوء؛ بغسل الوجه، ومسح الجبين والأذن والأنف، ثم غسل اليدين إلى المرفقين، ثم تغطيس الرجل اليمنى ثم اليسرى في الماء، ويلاحظ التشابه مع الوضوء في الإسلام [٤]. ويقول محمد الحسيني عن قدماء المصريين: « ومن سنة الوضوء، تثليث الغسل بمعنى أداء كل غسل أو مسح بالماء ثلاث مرات [٥]. ومن نواقض الوضوء عند قدماء المصريين خروج دم أو ريح وملامسة النساء [٦]، ويتم الوضوء في مبنى خاص به في المعبد يسمى بيت الوضوء » [٧].

وقد عرف الأذان للنداء إلى الصلاة عند قدماء المصريين وارتبط بلفظ (دوي) في

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد شنتناوي وآخرين، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٥٤٣).

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، م١، (٢/ ١٢١).

(٣) نديم السيار، المصريون القدماء أول الحنفاء، الناشر المؤلف، ٢٠٠٤م، نقلًا عن إخبار العلماء بأخبار الحكماء، (ص ٤).

(٤) السيار، مرجع سابق، (ص ٣١٥)، نقلًا عن موسوعة الديانات والعقائد في مختلف العصور، عبد الغفور عطار (١/ ٢٩٢).

(٥) محمد الحسيني، موجز في فقه العبادات، (ص ٣٢، ٣٣).

(٦) السيار، نقلًا عن سليم حسن، مصر القديمة، (١/ ٢٣٦).

(٧) انظر نديم السيار، مرجع سابق، (ص ٣١٦).

المصرية القديمة بمعنى صيحة أو صرخة، وبمعنى نادى أو نداء [١] ، وارتبط هذا اللفظ بصلاة الحنفاء، ويكررونه خمس مرات [٢] ولفظ دا – نو المصرية القديمة تعنى حرفيًّا، أتى أو جاء وقت الصلاة [٣] .

وكان المؤدي يضع يديه خلف أذنيه عند النداء للصلاة [٤] . وهي أيضًا من تعاليم إدريس ﷺ لهم، ويؤدي المؤذن نداءه من مكان مرتفع، ويذكر سونيرون أن الكاهن كان يقوم للصلاة مكررًا نداءه أربع مرات ليبلغ آفاق الوجود الأربع [٥] .

وستر العورة من شروط الصلاة عند قدماء المصريين، وهي عند الرجل الستر إلى ما تحت الركبة.

وكان قدماء المصريين أول من عرف القبلة واستخدمها، وكانت من تعاليم إدريس ﷺ وكانت قبلتهم الجنوب [٦] .

وأركان الصلاة عند قدماء المصريين طبقًا لتعاليم إدريس ﷺ تتشكل من خمسة أركان:

١ – الوقوف في وضع التكبير، وتظهر في قول الشهرستاني: « من حكم إدريس أول ما يجب على المرء تعظيم الله بأن يرفع المصلي يديه إلى أعلى مع توجيه الكفين إلى الخارج؛ للإقرار والتعبير عن ضآلة الإنسان في حضرة الإله، والاستغاثة منه والاحتماء به » [٧] .

٢– وضع الكف الأيمن فوق الأيسر، ووضعهما بالنسبة للنساء على مستوى الصدر، وعند الرجال أسفل السرة [٨] .

---

(١) السيار، مرجع سابق، (ص ٣٧٨) نقلًا عن، قاموس بدوي وكيس، (ص ٢٨٥ – ٢٨٨).

(٢) السيار، مرجع سابق، (ص ٣٧٨).

(٣) نفسه، (ص ٣٧٨) نقلًا عن
A Concise Dictionary of Middle Egyptian, by Faulkner. P. 309.

(٤) نفسه، (ص ٣٨٠) ، نقلًا عن الفن المصري (٣/ ١١٦٨).

(٥) السيار، (ص ٣٨١)، نقلًا عن سونيرون سيرج حسن كمال، كهان مصر، (٩١).

(٦) يقول عبدالوهاب النجار أن شريعة إدريس في المملكة الحقيقية كانت قبلته إلى الجنوب على خط نصف النهار، النجار، (ص ٤٢).

(٧) الملل والنحل، (٢/ ١٠٣).

(٨) المرجع السابق، نقلًا عن رزقانة، حضارة مصر والشرق القديم، (ص ٢٣٠).

٣- الركوع رمزًا للخضوع والاستسلام لله.

٤- السجود؛ وهو الانحناء لأسفل، ويلمس الأرض بالجبهة في خضوع [١] .

ويلاحظ في سجود قدماء المصريين أنهم لا يكتفون بلمس الجبهة الأرض، ولكن يجب ارتطام الجبهة بالأرض لتكون الجبهة هي المسجد، ولهذا فنلحظ حرصهم الشديد على وجوب تطهر الجبهة كشرط من شروط الوضوء عند قدماء المصريين لإعدادها لعملية السجود [٢] . ويذكر ابن كثير قوله: « ذهب الحنفية إلى وجوب مسح ربع الرأس، وهو الناصية التي هى أعلى الجبهة » [٣] .

٥- وضع القعود وهو يشبه القعود الأخير في صلوات اليهود، ووضع التحيات عند المسلمين [٤] ، وقد انتقل هذا الوضع من مصر إلى اليهود، ويطلقون على هذا الوضع في اليهودية لفظ برك [٥] .

وقدماء المصريين أول من عرف التسبيح طبقًا لتعاليم إدريس ﷺ، وأول من استخدم (السبحة) [٦] باعتبارها أداة حساب عدد التسبيحات.

وكان التسبيح عندهم صلاة توسل وتضرع، وكان قدماء المصريين يستخدمون التسبيح بنفس اللفظ المعروف الآن؛ حيث يذكر صاحب كتاب (رفع الإصر عن كلام أهل مصر) أن هذا اللفظ (سبح) قد دخل اللغة العربية من لغة أهل مصر [٧] .

ويعتقد المصريين القدماء أن كلمات التسبيح والحمد سوف توزن يوم الحساب كما علمهم نبيهم إدريس [٨] .

---

(١) The Egyptian Book of the dead, Introduction, W. Budge, p. 885.

(٢) السيار، مرجع سابق، (ص ٣٦٩).

(٣) تفسير ابن كثير، (٢، ٢٤).

(٤) نديم السيار، نقلًا عن دائرة المعارف الإسلامية، (١٤/ ٢٨٧).

(٥) قاموس قوجمان (عبري – عربي)، (ص ٨٥).

(٦) حسن كمال، موسوعة الطب المصري القديم، (٢/ ٣٣٨).

(٧) نديم السيار، مرجع سابق، (ص ٣٩٦)، نقلًا عن أبو السرور الشافعي، قاموس القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب، (ص ١، ٢).

(٨) السيار، (ص ٤٠٤)، نقلًا عن The Egyptian Book of the dead w. Budge, p.12 وقاموس المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة، بدوي وهيرمان كيس، (ص ١٦٧).

وهذه العقيدة نجدها في حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده** »(١) .

وقد عرف قدماء المصريين البكاء أثناء السجود خضوعًا وخشية لله كما علمهم نبيهم إدريس(٢) .

وإلى جانب الصلوات اليومية كان قدماء المصريين يؤدون صلاة الأعياد، ويقدمون فيها الأضاحي قبل الخروج للصلاة(٣) .

كما كانوا يؤدون صلاة الجنازة على الميت طبقًا لتعاليم إدريس عليه السلام، ومن آداب الصلاة عند قدماء المصريين عدم رفع الصوت أثناء الصلاة، وتؤدى في حالة تذلل وخشوع(٤) .

وما حدث في الديانة الإدريسية (الديانة المصرية القديمة) من انحدار إنما حدث على أيدي الكهنة الذين جعلوا تعاليم إدريس رموزًا وأسرارًا مستورة، حتى انقلبت إلى نصب حية أو جامدة، وجعلوا من آمون إلهًا بعد أن كان رمز النور الشمسي فقط، وبهذا أصبحت الديانة المصرية أساسًا لما بعدها من ديانات وثنية أو مشركة؛ كالدين الكلداني والفارسي والإغريقي والروماني إلى عهد الإسكندر. وظهور اليهودية والمسيحية والإسلام بعد ذلك كان رجوعًا بالحق إلى نصابه وبالتوحيد إلى نبعه(٥) .

* * *

---

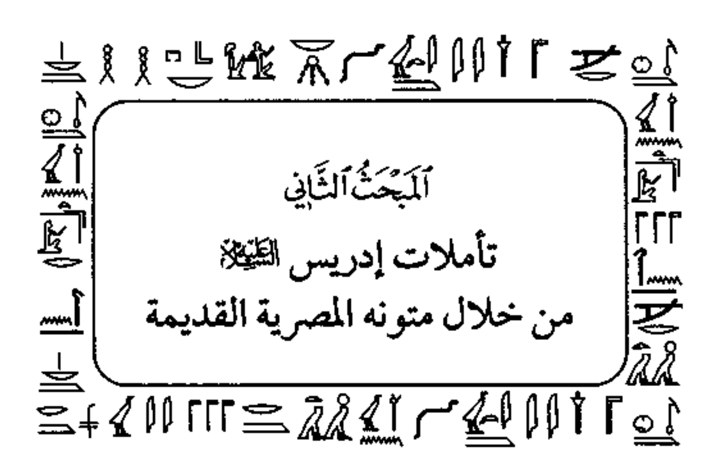
(١) أخرجه البخاري في صحيحه، (٦٠٤٣) ومسلم في صحيحه، (٢٦٩٤).

(٢) انظر نديم السيار، أول الحنفاء، (ص ٢٣٨).

(٣) السيار، مرجع سابق، (ص ٤١٧، ٤١٨) نقلًا عن هيردوت، فقرة ٤٠، (ص١٣١).

(٤) السيار، مرجع سابق، (ص ٤١٩)، نقلًا عن موسوعة الفن المصري، د. عكاشة، (٢/ ٨٣١).

(٥) محمود أبو الفيض، الدين المقارن، (ص ٥٦، ٥٧).



المَبْحَثُ الثَّانِي

تأملات إدريس عليه السلام من خلال متونه المصرية القديمة

ذكرنا سابقًا أن كافة المصادر تجمع على أن هِرمِس الأول هو الإله « تحوت » أو « توت » عند المصريين القدماء، وهو أخنوخ عند اليهود، وهو إدريس عليه السلام عند المسلمين الذي علم الإنسانية الحكمة، وطرق المعرفة الإلهية، وطرق التأمل في القدرة الإلهية، لذا فمن الواجب أن نوضح رؤية هِرمِس (إدريس عليه السلام) للخالق، ونظرياته وآراءه للوصول للمعرفة الإلهية الحقة من خلال متونه المعروفة بـ(متون هِرمِس). وهي عبارة عن ترجمة لعمل مكتوب باللغة الإنجليزية عن اليونانية التي ترجع إلى الأصل المصري القديم فيما كتبه الحكيم المصري (تحوت) هِرمِس من متون، والكتاب بعنوان (متون هِرمِس)، حكمة الفراعنة المفقودة ترجمها إلى العربية عمر الفاروق عمر، والكتاب لم يتناول كل التعاليم الهِرمِسية ذات الثمانية عشر كتابًا، إلا أن هذا الكتاب تظهر فيه الحكمة الأساسية التي توضح جوهر الهِرمِسية، ويلاحظ أن اليونانيين في ترجماتهم للنصوص الفرعونية القديمة قد استخدموا لفظ: (الكائنات الربانية) بمعنى الآلهة، مما أوحى ذلك إلى الظن بالقول بتعدد الآلهة، إلا أن هِرمِس نفسه يرفض التعدد ويتكلم بالتوحيد الخالص، كما نجد مترجم الكتاب للعربية يستخدم اسم (آتوم)، وهو أحد الأسماء المصرية القديمة للإله الواحد المتعالي، حتى يعطى للقارئ فرصة التصور الحرفي للمعاني الواردة بالمتون. وفى دراستنا المتناولة فضلنا استخدام الاسم الأساسي وهو الإله الواحد الذي يعنيه هِرمِس في متونه،

ويحتوي هذا الكتاب على عشرين متنًا، كل منها يتحدث عن حقيقة إلهية في الكون تنطوي على كثير من الحكم السامية المتعالية. وسوف نتناول هذه المتون حتى نبرز آراءه ونظرياته في حقيقة الوجود، وفكره التوحيدي الخالص الذي هو أصل الديانة.

تأمل هِرمِس في كينونة الإله الواحد:

يقول هِرمِس (إدريس ﷺ) في متونه: « إن الإله هو الوحدة، وكل شيء جزء من الكائن الواحد الأعلى، مثل الواحد الذي هو منبع كل الأرقام التالية، فالإله منبع كل شيء، ولكن مثل الرقم واحد الذي يبقى واحدًا سواء أضرب في نفسه أو انقسم عليها، فالإله يبقى دائمًا وحدة واحدة (لا تتكاثر ولا تنقسم)، وطبيعته متناقضة؛ حيث إنه يوحد كل شيء، فهو الخالق لذاته، خفي عنا دومًا، ولكنه أيضًا العالم الذي يحيط بنا، وليس له اسم معين؛ لأن كل الأسماء تصفه » [1] .

ويرى هِرمِس أن الإله هو العقل الأعلى، وأنه دائم في الزمان وفى كل مكان، وأن عقل الإنسان هو صورة من عقل الإله الأعظم، الذي يستطيع بقوة المخيلة أن يحيط بالكون، ويصبح كالإله في كل مكان وزمان، ويقول: « إننا لو فهمنا حقيقة القوة الكامنة في العقل البشري؛ فسوف نعرف طبيعة الإله ». ويرى أن كل شيء يوجد كفكرة في عقل الإله، ويخلق كل شيء بنفس الطريقة التي يخلق بها عقلنا الأفكار، وكما أن طبيعة العقل البشري هي أن يفكر ويخلق أفكارًا، فإن عقل الإله يفكر ويخلق كل شيء. وليس هذا أمرًا تحقق في بداية الخلق فقط، ولكنه دائم الحدوث، إن الإله يخلق الخلق دومًا، ولن يفتر مطلقًا، والإله هو في نفس الوقت الأشياء المادية الكثيفة التي تحيط بنا، كما أنه الأفكار اللطيفة في عقولنا، والعالم الذي نراه ونحسه هو وهم لو قارناه بالأفكار العظمى التي في عقل الخالق، وفوق كل الأفكار يعلو الإحسان والجمال، وهاتان الصفتان تنتميان بكمالهما إلى الإله وحده، ولكننا نلمح منهما صورة ناقصة في العالم المادي، لكنهما توجدان بكمالهما في العقل، حتى إن الإله أحبهما، فالإله (أجل مبتهج بذاته) [2] .

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، حكمة الفراعنة المفقودة، مرجع سابق، متن رقم (٣) كينونة آتوم، (ص ٤١).

(٢) المرجع نفسه.، (ص ٤٢).

وفي محاورة هِرمِس (إدريس عليه السلام) للإنسان محفزًا لهممه وعقله يقول له:

« استجمع شتات فكرك، وانتبه بكامل وعيك لمعرفة كينونة الإله الواحد، إذ إنها تتطلب بصيرة عميقة، تنبثق فقط كهبة تكريم، كمياه تنحدر في شلال، تفوق سرعتها قدرة الإنسان على المتابعة، تاركة المتعلم والمعلم وراءها. (فإدراك الإله الواحد شاق وتحديده مستحيل، فلا يستطيع الناقص والفاني، إدراك الكامل والخالد بيسر وسهولة) [١] ؛ فالإله هو الواحد الصمد [٢] ، غير متحرك ومع ذلك هو أصل الحركة ذاتها، لا يشوبه نقص، وهو الباقي دومًا، والخالد أبدًا [٣] . وهو الواقع الحق، كما أنه المطلق الأكمل الأسمى. وهو جُماع الأفكار التي لا تدركها الحواس [٤] ، ولا تدركه المعرفة مهما عظمت ».

ويصف هِرمِس الإله الواحد فيصل إلى قمة الإدراك بقوله: « الإله الواحد هو الفكر الأول، هو أعظم من أن يطلق عليه اسم الإله الواحد، هو الخفي المتجلي في كل شيء، تُعرف كينونته بالفكر وحده، وتدركه عيوننا في الآفاق. لا جسد له، ولكنه في كل شيء. وليس هناك ما ليس هو. لا اسم له؛ لأن جميع الأسماء اسمه، هو الجوهر الكامن في كل شيء. فلنعرفه بكل الأسماء، ولنعرف كل شيء باسم الإله الواحد. هو أصل ومنبع كل شيء. كل شيء له منبع سوى ذات الإله الواحد، التي نبعت من ذاته » [٥] ، ثم يقول في حديثه عن كينونة الإله: « الإله الواحد كامل، كمثل الواحد الذي يبقى واحدًا لو ضرب في ذاته، أو قسم عليها، ومنه تأتي كافة الأرقام. الإله الواحد هو كل الكل، ويحيط بكل شيء، هو الواحد الذي ليس كمثله شيء [٦] هو الكل، وليس هو الكثرة. الوحدانية تشتمل على كل الوحدات، ولكنها

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، حكمة الفراعنة المفقودة، مرجع سابق، متن رقم (٣) كينونة آتوم، (ص ٤٢).

(٢) عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى في سورة الإخلاص.

(٣) وهو المعنى الذي ذكره القرآن في غير آية منها قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾.

(٤) عبر القرآن عن ذلك المعنى بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾.

(٥) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، مرجع سابق، (ص٤٢).

(٦) عبر القرآن عن ذلك المعنى بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

ليست الأشياء الكثيرة كما تراها متفرقة، أما حين تراها متعلقة بالواحد، ونابعة من الواحد، يمكنك إدراك وحدتها، يرتبط بعضها ببعض، يضمها تناسق الوجود من أعلاه إلى أسفله، وتخضع جميعها لإرادة الإله الواحد، فالكون واحد، والشمس واحدة، والقمر واحد، والأرض واحدة، فهل يجوز الظن بتعدد الآلهة؟ هذا محال فالإله واحد. الإله الواحد وحده هو الباري لكل ما هو ثابت ولكل ما يتغير ».

ويضيف هِرمِس في حواره مع الإنسان قائلًا: « إن كنت تظن أن هذا غير معقول ففكر في ذاتك أنت، إنك ترى، وتسمع، وتتكلم، وتلمس، وتذوق، وتمشي، وتفكر، وتتنفس، وليس كل هذا بغريب عنك، إن ذلك الذي يستمتع بكل تلك الملكات هو كائن واحد يحملها جميعًا [1] .

إن أردت أن تعرف كيف خلق الإله الواحد كل شيء ففكر في فلاح يبذر البذور، قمحًا هنا، وشعيرًا هناك، وشجرة عنب الآن، وشجرة تفاح بعد ذلك، فكما يزرع الفلاح كل تلك المزروعات، فقد غرس الإله الواحد الخلود في السماء، والتغير على الأرض، حيث تنتشر الحياة والحركة [2] .

إنهما أعظم ظاهرتين في الكون: تشيران إلى الإله الواحد ومخلوقاته، كما تنبئان عن كل شيء في الوجود. ليس الإله الواحد أبًا لأنه خلق كل الأشياء، وليس إنسانًا، يجاهد لميلاد طفل استمرارًا لحياة، بل هو يعمل في الطبيعة حسب قانون الضرورة ليبدع الموت والنشور من جديد، ويعمل على دوام الخلق، وللكشف عن حكمته اعلم أن ما تراه العين أشباح وأوهام، أما الفكر فهو الحقيقة، وأفكار الجمال والجلال هما أسماها، وإن لم ترها عين، وطالما عجزت العين عن رؤية كينونة الإله الواحد فإنها لا تستطيع رؤية الأفكار العظمى التي يتصف بها الإله الواحد وحده. ليس ثمة نقص في الإله الواحد فليس هناك ما يتمناه، ليس ثمة ما يفقده الإله الواحد فليس هناك ما يمكن أن يصيبه بالحزن. الإله الواحد هو كل شيء، خالق هو لكل شيء. كل شيء جزء من الإله الواحد، الإله الواحد خالق ذاته بنفسه، وتلك هي عظمة الإله الواحد، كينونته الحقة هي قدرته على الخلق،

(١، ٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، مرجع سابق، (ص ٤٣).

ويستحيل أن يتوقف عن الخلق، ويستحيل أن يتوقف عن أن يكون [١].

الإله الواحد في كل مكان، فالفكر لا يمكن أن يحاصر بسياج، وكل ما هو موجود خاضع للفكر، فليس هناك ما يماثله في السرعة والقوة ».

ثم يدعو هِرمِس (إدريس عليه السلام) الإنسان للتأمل وصولًا للمعرفة الحقة فيقول: « انظر إلى وجودك أنت، وتخيل نفسك في بلد غريب، وستكون هناك بفكرك كما تخيلت. فكر في المحيط، وهناك ستكون، لا لأنك سافرت، فأنت لم تتحرك كما تتحرك الأشياء. حلق في السماء بلا أجنحة فلن يعوقك وهج الشمس أو دوران النجوم. تقدم بفكرك إلى حدود الكون إن أردت. هل يمكنك أن تشعر بالقوة التي تمتلكها؟ إن استطعت ذلك، فافعل هذا كله، ثم فكر من يكون بارئك، وحاول أن تفهم أن الإله الواحد هو الفكر. انظر كيف جمع الإله الواحد الكون، فكل شيء هو فكر الإله الواحد » [٢].

تأمُّله في إبداع الإله في خلقه:

يعلمنا هِرمِس (إدريس عليه السلام) في هذا المتن كيف نرى الإله بالتأمل في خلقه، ويطلب منا إعمال العقل وإطلاق الفكر فيقول: « إذا نحن نظرنا إلى العالم بعيون أجسادنا فقط فليس الإله بظاهر لنا، ولكن إذا نظرنا بفكرنا فسوف نراه بفهم روحي، وفجأة ينبثق الإله من كل مكان، وفي هذه الحالة المتعالية، نعرف أن كل ما نرى، وما نلمس، هو جزء من الإله، ونفهم أن غرض الإله من خلق العالم هو أن نراه فيه.

والكون هو الجسد الذي أبدعه، ونحن نستطيع أن نراه في نظام الكون البديع وجماله، ويحضنا هِرمِس على تأمل الدورات الثابتة للأجرام في سماء الليل، وقانون المصير الذي يسميه الضرورة، والخير والإحسان في كل شيء كان، وكل شيء يكون، فهل يمكن لكل هذا الكمال أن يكون خلوًّا من عقل أعظم يحفظ مثل ذلك النظام البديع؟ وهل يمكن أن يحدث كل هذا كصدفة؟» [٣].

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، مرجع سابق ، (ص ٤٤).

(٢) متون هِرمِس، حكمة الفراعنة المفقودة، مرجع سابق، (ص٤١ - ٤٤).

(٣) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن (٤) (تأمل الخلق)، (ص٤٥).

ويذكرنا هِرمِس بمعجزة ميلادنا نحن فيقول: « من خلقنا في الرحم؟ ومن ذا الذي صنع تفاصيل أجسادنا الفريدة ؟ فالتماثيل والتصاوير لا تحدث عرضًا، بل تحتاج لنحات ورسام، ولا شك أن العمل الفني الجميل المعقد الذي هو أجسادنا هو عمل صانع أسمى، والرأي الحديث هو أننا نتاج قوانين الطبيعة، وهِرمِس لا يرفض ذلك الرأي ولكنه يسأل ببساطة: ومن ذا الذي سن تلك القوانين؟».

إن هِرمِس يحاول أن يعيدنا إلى حواسنا الغضة الطفولية للإحساس بالرهبة أمام عجائب الحياة، فالعالم معجزة، ولكننا نأخذه مأخذ المعطيات المسلمة، فإذا نحن استغرقنا في التأمل يتضح أننا محاطون بأسرار عميقة، فالكون عمل فني مروع الضخامة أبدعه خالق قادر، والتواضع والدهشة هما أوليات العرفان بالإله [١] .

ويحاول هِرمِس أن يساعدنا في الوصول إلى طريق المعرفة الإلهية فيقول: « سل الإله الواحد أن يبعث شعاعًا من ضيائه ليمنحك القدرة على فهم كينونته العليَّة بفكرك، حيث لا يفهم ما خفي عن الحس إلا بالفكر الذي هو خفي أيضًا. فإذا لم تكن ترى الأفكار فهل تتوقع أن ترى الإله الواحد ؟

انظر بفكرك إذن، وسوف يظهر لك تجليًا بلا تحفظ في العالم أجمع، فترى صورته بعينيك وتلمسها بيديك [٢] . هل تعتقد أن الإله الواحد خفي؟ لا تقل ذلك! فليس هناك ما هو أكثر وضوحًا من الإله الواحد. لقد خلق كل الأشياء بحيث تراه من خلالها، هي رحمة الإله الواحد العظيمة التي جعلته ظاهرًا في كل شيء. فيمكن أن يُعرف كل شيء حتى ما هو غير المادي، ومثلما يُعرف العقل بالأفكار، كذلك يُعرف الإله الواحد بخلقه [٣] . الإله الواحد هو صانع الأبدية المطلق، ينسج كل شيء في نسيج الواقع، وحيث إن الخلق منظور نستطيع رؤية الخالق، وهذا هو غرض الخلق،

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن (٤) (تأمل الخلق)، (ص٤٥).

(٢) يقول منشيوس: « كل الأشياء مكتملة في داخلنا » وبتعبير آخر، إن طبيعة الإنسان الفطرية ليست كاملة فحسب، بل هي أيضًا نوع من عالم صغير يمثل أو يحوي خلاصة كل الأشياء. ويقول منشيوس أيضًا: « من يعرف تمامًا طبيعته الذاتية يعرف السماء »، هـ .ج كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج، ترجمة عبدالحميد سليم، الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الرابع، (ص ٤٦).

وحيث إنه لا يتوقف عن الخلق، فهو أبدًا ظاهر للعيان، حتى نفكر، ونتعجب، ونعلم أننا قد بوركنا بمعرفة الأب.

تفكر بعقلك كي تعرف كينونة الإله الواحد، وتراه بعينيك، وترى أي نظام بديع في الكون، الضرورة هي التي تحكم كل ما ترى، والخير والإحسان في كل ما كان، وفي كل ما سوف يكون.

انظر إلى الحياة التي تملأ المادة واشهد الإله الواحد في تردداتها، تأمل الكون في جسده القديم، والذي يتجدد أبدًا في عنفوانه، وانظر إلى الكواكب الدوارة في الزمن الأبدي، والى نيران السماء الروحية التي تحيلها الشمس ضياءً وتشع بالخير على العالم، انظر إلى القمر المتغير أبدًا يحكم الميلاد، والنماء والفناء. انظر إلى النجم القطبي، لا يشرق، ولا يغرب، لكنه ثابت في نقطة على محور تدور حوله الأبراج والكواكب [١] . انظر إلى الشهب التي تدعى (نجوم النبي) تظهر عدة أيام من بيتها الخفي تحت دائرة الشمس عندما ينتظر العالم مصير جديد. فمن ذا الذي يحافظ على مثل هذا النظام البديع؟

فالشمس أعظم ملائكة السماء إنها كملك يقدم إليه الآخرون فروض الولاء، إلا أن ذلك الملك القوي يخضع بتواضع، لتدور فوقه الكواكب الصغيرة، فمن ذا الذي يطيعه هذا الملك بخشية؟ وكل نجم يسبح في مداره في الكون، فلماذا لا تسير جميعها في مدار واحد؟ ومن ذا الذي كلف كلًّا منها بمداره؟ النجم القطبي يدور حول نفسه، ويحمل معه الكون بأكمله، فمن ذا الذي أسند إليه هذا الواجب؟ ومن ذا الذي أرسى الأرض وجعلها شواطئ للبحار؟ لا بد أن يكون لكل هذا صانع وسيد، ولا يمكن أن تكون قد حدثت بذاتها، كل الأنظمة لا بد أن تخلق، ولا يخرج عن ذلك القياس سوى ما هو حادث بالصدفة، إلا أن انعدام النظام في حد ذاته طوع للسيد الذي يفرض عليه النظام [٢] .

إذا كان من الممكن أن نكتسب أجنحة نطير بها بين السماء والأرض، فسوف نرى الأرض الصلبة، والأنهار الجارية، والرياح الجوالة، والنيران الثاقبة، والأنجم الدوارة،

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هرمس، المتن الرابع، (ص ٤٦، ٤٧).

(٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، المتن الرابع، (ص ٤٧).

والسماء الحاضنة تحيط بكل شيء. فأية سعادة أن نرى كل ذلك محمولًا على ومضة واحدة لإدراك المحرك غير المتحرك، الذي يتحرك في كل ما يتحرك، الخفي الذي يتجلى في كل أعماله؟».

ثم يؤكد ثانيًا ضرورة التفكر في خلق الله فيقول: « تأمل للحظة كيف تأَتى لك أن تخلق في الرحم، فكر في صنع القادر، وابحث عن الصانع الذي أبدع جمال صورة الخالق. فمن ذا الذي أدار حدقة عينيك؟ ومن ذا الذي فتح أنفك وفمك وأذنيك؟ ومن ذا الذي مد أربطتك وربطها ببعضها؟ ومن ذا الذي أنشأ عظامك وكسى لحمك بالجلد؟ ومن ذا الذي سوى أصابعك وبسط قدميك؟ ومن ذا الذي شكل قلبك وجوف رئيتك؟ ومن ذا الذي جعل جمالك ظاهرًا، وأخفى قبح أحشائك؟ كم من الصنائع صنعت، وكم من الأعمال أبدعت لتجسيد المخلوق الإنساني؟ فلا التماثيل ولا التصاوير تحدث من تلقاء ذاتها دون عمل ناحت أو راسم. أفلا يكون لهذا العمل المتعالي من خالق »[1].

رؤية هرمس (إدريس عليه السلام) للكون:

يرسم هِرمِس (إدريس) في هذا المتن صورة للكون باعتباره كائن حي فيقول:

« في البدء كانت الوحدة، ثم إنها انقسمت إلى قوتين أساسيتين – كالموجب والسالب في تيار كهرباء – ولَّدا كل الأشياء، ويسميهما هِرمِس (النور والحياة)، واللذان تحولا إلى العقل والروح، ونسبرهما كالأفكار والمشاعر؛ فوحدانية الله هي النور والحياة معًا، وهاتان القوتان هما والدا العقل والكون، وقد سبق أن رآهما هِرمِس في رؤيته الصوفية في (الكلمة التي بعثت الهدوء في اللجة المظلمة)، وهما قوانين الطبيعة الأساسية التي تبعث النظام في الفوضى »[2].

والكون المادي هو انعكاس كامل لذلك المبدأ المنظم، وهو عقل الكون، وعقل الكون (الكلمة) هي بدورها انعكاس كامل لعقل الإله، كما تفصح الكلمة المنطوقة

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، المتن الرابع، (ص ٤٨).

(٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الخامس: الكون الحي، (ص ٤٩).

عن نية قائلها؛ وحيث إن الإله هو الإحسان المطلق، فالكون خير مطلق، وحيث إن الكون مصنوع على صورة خالقه، فهو أيضًا كائن خالد، ومن المستحيل أن يموت فيه أي جزء، ففي بداية الحمل به أُفعم بالطاقة، والتي أثبت العلم الحديث أنها لا تفنى ولا تستحدث، فالطاقة ذاتها خالدة وليست هي الأشكال التي تتحقق بها وتتحول عنها، والإله هو منبع تلك الطاقة التي تخلق الحياة من خلال قوانين الطبيعة، وعقل الكون يستقي الطاقة من الإله ويمنحها لكل ما فيه، وفي هذه العملية السرمدية يمتلئ الكون بالروح، وهي قوة الحياة، وكل ما فيه حي، وليس فيه ميت حتى الجوامد، فالكون هو الكائن الحي الشاسع الذي يمنح الحياة للكائنات الصغرى التي يحتضنها، فهو الكل الذي يغذي أجزاءه، مثل أب رؤوم يعتني بأبنائه.

العقل الأول الذي هو حياة ونور، خلق عقل الكون، والعقل الأول ثابت لا يتحرك، خالد لا يتغير، يحتوي على عقل الكون الذي لا تدركه الحواس [١] .

والكون الذي تدركه الحواس، هو نسخة وصورة من عقل الكون الخالد، كأنه انعكاس في مرآة؛ فأول الخلق بلا بداية هو الإله الواحد، وثاني الخلق الكون، مخلوقًا على شاكلة الإله الواحد، خالدًا أبدًا، ولأن كل ما في الكون هو جزء منه، فمن المستحيل أن يموت، والكون هو الحياة بأجمعها، ومن أساس الحياة الأول، لم يوجد شيء إلا وينبض بالحياة. فلم يكن، ولن يكون في الكون أبدًا ما هو ميت [٢] .

الإله الواحد هو النور ومصدر الطاقة الخالد أبدًا، مانح الحياة ذاتها أبدًا، والتي يحكم مددها قوانين الكون الخالدة، وكينونة الكون هي في الطاقة الخالدة أبدًا، والتي تنبع منها كل أشكال الحياة ويستحيل عليها أن تتوقف أو تفنى، تضمها وتربطها قوة الحياة الأبدية.

ويمنح الكون هذه الحياة لكل الأشياء التي يحتويها، فالأبدية تمنح الكون الحياة، والكون بدوره يمنح الحياة لكل ما فيه، والعقل والروح تجسد للنور وللحياة، وكل شيء يتحرك بقوة الروح.

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الخامس: الكون الحي، (ص ٤٩، ٥٠).

(٢) نفسه، (ص٥٠).

وجسد الكون – الذي يحتوى كل الأجساد – مشبع تمامًا بالروح، والعقل يضيء الروح بكاملها، والعقل ينبع بتمامه من الإله الواحد. والروح تملأ وتحيط بجسد الكون بكامله، وتمنح الحياة للمخلوق العظيم الكامل الحي الذي هو الكون، والذي يمنح بدوره الحياة لكل المخلوقات الأدنى التي يحويها.

والكون هو الكل الذي يولد ويغذي كل مكوناته كالأب الذي يحدب على أبنائه.

ويستمد الكون قوامه من إحسان الإله الواحد، وتلك هي قوة الخلق العظمى الحقيقية، فالكون صورة الإله الواحد، وحيث إن الإله الواحد هو الخير المطلق، فكذلك الكون هو خير » [1].

رؤية هِرمِس (إدريس عليه السلام) لطبيعة الزمن وتغيره:

يوضح هِرمِس نظرته للزمن ودورانه فيقول:

« يتغير كل شيء في الزمن أبدًا، تولد الكائنات، ثم تفنى، ثم تعود للوجود من جديد، كالنباتات التي تموت كل شتاء، لتبزغ بادرات جديدة في كل ربيع، وكل هذه التحولات تحكمها قوانين طبيعية لا تفتر، وبهذه القوانين يمكن القول بأن الكون ثابت بالضرورة لا يتغير. ينظم الزمن عمليات التغير الطبيعية في الكون، ويقاس بدورات الشمس والكواكب التي تدور في أفلاك ثابتة دائمة » [2].

ويرى هِرمِس الزمن كالدائرة، في حين نراه نحن في منظورنا الحديث كالخط المستقيم من الماضي إلى المستقبل، إلا أننا في الواقع نقيس الزمن كدائرة، فاليوم، هو دائرة زمن تبدأ بشروق الشمس وتبدأ ثانيًا عند شروقها في اليوم التالي، والعام، دائرة زمن تقاس بدورة الأرض في فلكها حول الشمس، وهناك دورات شاسعة للزمن تحسب بحركة أفلاك النجوم، وكل هذه الدورات بالضرورة تعيد الأمور إلى ما كانت عليه في البداية، ومن المستحيل القول بأينية تلك البدايات، فليس للدائرة نقطة بداية، فلا مجال للقول بنهايتها [3].

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الخامس، (ص ٥٠).

(٢) المرجع نفسه، المتن السادس: دورة الزمن، (ص ٥١).

(٣) المرجع نفسه، المتن الخامس، (ص ٥٠).

ويشير هِرمِس إلى فهم أعمق للزمن، حيث ينتهي وجود الماضي، والمستقبل آت ولم يوجد بعد، والحاضر لا يكاد يوجد في عدم ثباته، فاللحظة تنتهي حتى عندما نقول (الآن). ولا يمكن أن نمسك بالحاضر، فبأى وجه يمكن القول بوجوده؟

وهذا الفهم الروحي المعرفي لطبيعة الزمن الوهمية، هي طريقة للتبصر في وحدانية الإله الذي وجد فيما وراء الزمن، فليس للإله ماضي ولا مستقبل ولا حاضر، وليس له غير الأبدية، وتحررنا من ربقة وهم الزمن هو واحد من المداخل التي نجرب بها الربوبية بمعنى ما، فالكون لا يتغير، إذ تخضع حركاته لقوانين ثابتة تجعله يدور إلى الأبد بلا بداية أو نهاية. وأجزاؤه تظهر، وتختفي، وتُخلق من جديد مرة بعد مرة، في نبضات الزمن التي لا تفتر [١].

ومن خلال الزمن تنتظم الحياة وتستمر، ويجدد الزمن كل شيء في الكون بدوره التحولات التي تضبطها الكائنات الإلهية السماوية: تعود أبدًا إلى مواضعها في دورانها السرمدي، فينبثق الحاضر من الماضي، وينبثق المستقبل من الحاضر، وتتوحد جميع الأشياء بهذه الديمومة.

والزمن كالدائرة، تتصل نقاطها حتى إنك لا تستطيع تحديد أولها من آخرها، حيث تتبع كل نقطة ما يسبقها وتتبعها ما تلحقها إلى الأبد، إلا أن هناك فهمًا أعمق، حيث ينسلخ الماضي ولا يكون أبدًا، والمستقبل لم يولد بعد ليكون، وحتى الحاضر لا يستمر، فكيف يمكن القول بوجوده إذا لم يكن ثابتًا للحظة واحدة؟ [٢].

تأمل هِرمِس (إدريس عليه السلام) في تنظيم إدارة الإله للكون:

يقول هِرمِس: « إن الإله خلق مبدأ منظمًا هو عقل الكون، وهذا المبدأ يعمل أبدًا على صهر المادة التي هي في حالة فوضى إلى مخلوقات بديعة تنظم الكون المادي. والزمن هو أحد المبادئ التي رتُّب عليها الكون، ووجود الزمن يعني أن كل شيء في الكون دائم التحول بقدر محدد [٣].

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن السادس، (ص ٥١، ٥٢).

(٢) المرجع السابق، المتن الخامس، (ص ٥٢).

(٣) المرجع السابق، المتن السابع: الكائنات الإلهية، (ص ٥٣).

والإله هو الخير الذي يخلق الحياة، وعقل الكون هو القوانين الأساسية للطبيعة والمبادئ الثابتة التي لا تتغير، والتي تحكم الحياة، والكون المادي هو نظام الطبيعة الجميل الذي توجد من خلاله الحياة، والزمن هو المبدأ الحاكم للكون بفرضه للتغير، والتغير المستمر هو العملية التي يحياها كل ما يعيش وكل ما يموت »[١].

ويفلسف هِرمِس نظرته لحركة الكون النابعة من الإله بقوله: « إن عقل الكون هو فكرة تحققت من عقل الإله، والكون المادي هو خاطر قد تحقق في عقل الكون، وقلب الكون هو الشمس التي تمنح الحياة، وهي صورة من الروح التي تنبثق منها الحياة في قلب كل ما يعيش. خلق الإله الواحد عقل الكون، وعقل الكون خلق الكون، والكون خلق الزمن، والزمن خلق التغير، وجوهر الإله الواحد هو الإحسان الأول، وجوهر عقل الكون هو الثبات والمثلية، وجوهر الكون هو النظام الجميل، وجوهر الزمن هو الحركة، وجوهر التغير هو الحياة، ويعمل الإله الواحد بالعقل والروح، ويعمل عقل الكون بالخلود والدوام، ويعمل الكون بالبدء والعود، ويعمل الزمن بالزيادة والنقصان، ويعمل التغير بالكيف والكم، وعقل الكون في الإله الواحد، والكون في الأبدية، والزمن في الكون، والتغير في الزمن. عقل الكون مرتبط أبدًا بالإله الواحد، والكون مكون من الأفكار التي في عقل الكون، وعقل الكون صورة من الإله الواحد، والكون صورة من عقل الكون، والشمس صورة من الكون، والإنسان صورة من الشمس »[٢].

رؤية هِرمِس (إدريس عليه السلام) في أسباب خلق الإله للإنسان وتسخيره الكون له:

يقول هِرمِس في سبب خلق الإله للإنسان: « إن الإله خلق الإنسان لأنه أراد أن يوجد مخلوق قادر على الإحساس بجمال الكون الخارق، وقد طلب من كائنات القضاء والقدر الإلهية أن تمنح الإنسان بعضًا من قواها؛ فتكفلت الشمس بالفرح، وتكفل القمر بالنوم، وتكفل زحل بحدود العدالة والضرورة، وتكفل المشترى

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثامن: تراتب الخلق، (ص ٥٥).

(٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثامن، (ص٥٥، ٥٦).

بالسلام، وتكفل المريخ بالصراع، وتطوعت الزهرة بالحب والبهجة، وتولى عطارد (هِرمِس) الحكمة [١] .

ويفكر الإله في الإنسان فيوجد، وفى البداية كان الإنسان مجرد روح، ليست بقادرة على تحقيق الرعاية على الأرض كما أراد الإله، فحبسها في جسد مادي فان كمنزل لروحه الخالدة، ومن أجل هذا خلق الطبيعة، وهي كالمرأة الجميلة التي جعلها الإله سيدة العالم، فهي تنتج بذور الحياة الطبيعية، وقد رأت في الإنسان صورة الإله فأحبته وتوحدت معه، وهذا مثل امتزاج الروح والجسد، والذي خلق كلًّا منا. وقد أصبح للإنسان طبيعة مزدوجة من جسد فان، وروح خالدة، ونحن نمجد كلا الجانبين في طبيعتنا عندما نخدم الإله برعاية العالم الطبيعي حسب مشيئته [٢] .

وقد منح الإله الإنسان هبة عظيمة هي القدرة على التناسل، ثم إنه قدر لهذا الأمر أن يكون حبًّا مقدسًا يشاكل زواج المادة بالروح في خلق العالم، إن رباط الزواج المقدس يوحد الرجل والمرأة حتى يشارك كل منهما الآخر صفاته الجوهرية ».

ويضيف هِرمِس في سببية خلق الإنسان فيقول: « إن الخالق الذي ندعوه الإله الواحد، عندما خلق الكائن الإلهي الثاني الذي هو الكون كان مبتهجًا. لقد كان خلقه جميلًا مترعًا بالإحسان فأحبه كابن له، ولرحمته أراد الإله الواحد أن يكون هناك مخلوق قادر على الإعجاب بجمال خلقه،.فخلق بمشيئته الإنسان؛ كي يقلد حكمته الربانية وحبه الإلهي [٣] .

وسأل الإله الواحد كل كائن إلهي في السماء ماذا يمكنك أن تقدم للإنسان الذي سوف أخلقه؟.

فقالت الشمس أنها سوف تسطع طوال النهار لتغذي بالضحكة والفرحة عقول الفانين والعالم أجمع، ووعد القمر بأن يمنح الإنسان النوم والصمت ويضيء الليل، وقدم زحل العدالة والضرورة، وأعطى المشترى السلام، وتولى المريخ الصراع،

(١، ٢) تيموثى فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن التاسع: خلق الإنسان، (ص ٥٧).

(٣) المرجع نفسه.

والزهرة تطوعت بالحب والبهجة، أما عطارد - والذي يدعى أيضًا هِرمِس - فقال: سوف أعمل على أن يكون الإنسان ذكيًّا، وسوف أنقل له الحكمة ومعرفة الصدق، ولن أتوانى عن نفع الإنسانية.

وسُر الإله الواحد عندما سمع تلك الكلمات وقال كلمته: بأن يخرج الإنسان للوجود. فالإله الواحد هو العقل الكلي الذي هو حياة ونور خلق الإنسانية التي حملت صورته، ووجد مسرة في خليقته »[١].

لقد ارتبط الإنسان بوشائج قربى للكائنات الإلهية فبجلها بالتقوى والأفكار القدسية، في حين نظرت إليه الكائنات الإلهية باهتمام وحب ورحمة.

ويضيف هِرمِس قوله في بداية خلق الإله للإنسان فيقول: « في أول الأمر كان الإنسان روحانيًّا وخالدًا، ولكن الإله الواحد رأى أن خلقه الجديد لن يرتبط بالأرض ما لم يكن له درع مادي يمنحه جسدًا فانيًا، وروحًا خالدة. وهكذا خلق الإله الواحد الطبيعة، وبكلمته خلق شكل المرأة، وكانت حلوة حتى إن الكائنات الإلهية صعقت من جمالها. وجعل الإله الواحد الطبيعة سيدة العالم، وتوحدت مع ذاتها حتى أنتجت كل البذور التي خلقها الإله الواحد وبذرها بيديه على الأرض التي هي أم لكل المخلوقات الأرضية، وامتلأت الأرض حُبًّا للإنسان وضمته إليها حتى توحدا بالحب، وامتزج فيه الفاني والخالد، حتى يستطيع الإنسان أن يقوم بواجبه نحو كل من مصادر خلقه ».

ثم يذكر هِرمِس واجبات الإنسان نحو الإله والكون فيقول:

- أن يخدم الإله بتقديس وتسبيح ما في السماء.
- أن يرعى ما على الأرض بزراعة التربة، وملاحة البحار، والبناء على الأرض[٢].
- أن يخدم بعضهم البعض، وهي أقوى الروابط التي تصل الإنسان بالإنسان[٣].

ثم إن الإله الواحد – سيد الخليقة – وهب الإنسان قدسية التناسل المفعمة

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٥٨).

(٢) المقصود عمارة الأرض.

(٣) نفسه، المتن التاسع، (ص ٥٨، ٥٩).

بالعاطفة، والفرح والسرور والشوق، وبكل الحب السماوي الذي هو من كيانه.

ثم يتحدث هِرمِس عن الرابطة بين الرجل والمرأة فيقول: « كان علي أن أوضح طبيعة الرابطة المقدسة التي تربط الرجل والمرأة معًا، ما لم يكن كل منا قادرًا على ممارستها، واستكشاف أعمق مشاعرها. تأمل تلك اللحظة السامية، عندما يتوحد كل جنس مع الآخر: يمنح أحدهما ويتعلق الآخر بشغف، وفى لحظة اختلاط الطبيعتين تكتسب الأنثى قوة الذكر، ويسترخي الذكر في أحضان الأنثى. وهذا الحدث الحلو المكرس الذي نحتفي به يتم في خفاء، فلو أنه تم علنًا أمام عيون دنسة فقد يسخر الجاهل، وسوف تنسحب القوى الربانية من الجنسين حياءً »[1].

نظرة هِرمِس (إدريس عليه السلام) لدور الإنسان في الحياة:

تعلمنا متون هِرمِس أن قصة الكون لن تكتمل إلا عندما يلعب الإنسان دوره فيها؛ فالفنون والعلوم التي توصلت إليها الإنسانية هي خطوات لاستكمال خطة الصيرورة العظمى للقدر، والفنون تكمل ما لا تستطيع الطبيعة إنجازه، وكل الذين يتعاونون بمشيئة الخالق يطبقون مهارتهم ومعرفتهم لإذكاء جمال الكون[2].

يقول هِرمِس: « لقد تأملت الإنسانية في تقوى جمال وديمومة الخلق؛ فالسماء البديعة يغمرها الضياء، وجلال الليل المظلم تضيئه المصابيح الإلهية، وتتبع القوى الكوكبية مساراتها الثابتة في السماء، تبعث النماء في الأحياء بأسرارها.

ونظر الإنسان بعجب وتساؤل بعد أن لاحظ تحفة الخالق، وأراد أن يخلق هو أيضًا أشياء في حد ذاتها، وسمح الرب أن تشارك ملائكة الكون الإنسان بشيء من قواها، وحيث إن العالم من صناعة الإله الواحد، فقد تعاون كلُّ مَنْ حمل مسؤولية في إظهار جماله مع مشيئة الإله الواحد، بالإسهام بقواهم؛ بالرعاية والعمل اليومي لجعل الأشياء تتخذ مسار نموها الذي أراده لها الإله الواحد. الصدفة هي الحركة بلا نظام، والمهارة هي قوة خلق النظام، فيعم النظام الأرض بالمعرفة الإنسانية، وبتطبيق العلوم

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن التاسع، (ص ٥٩).

(٢) المرجع نفسه، المتن العاشر، بعنوان: مولد حضارة الإنسان، (ص٦١).

والفنون، إذ رأى الإله الواحد ألا يكتمل العالم حتى يلعب الإنسان دوره. لقد بارك الإله الواحد صانع الكون الأرض لفترة حياة والدنا الأعظم أوزيريس ووالدتنا الملاك الأكبر إيزيس؛ حتى يمنحانا المعونة التي نحتاجها، فأهديا للأرض الدين الرباني، وأوقفا المذابح بين الناس، وأقاما شعائر العبادة توافقًا مع القوى المقدسة للكون؛ أقاما المعابد، وقدرا قرابين التقرب للكائنات الإلهية التي هي أسلافهم، ووهبا أعطيات الطعام والمأوى، وعلما الإنسان تحنيط أجداث موتاه الفانين كي لا تبلى، وبعد أن عرفا قوانين الإله الواحد السرية سنَّا القوانين للناس، وقدما للناس ملاك العهد المسؤول كأساس للتعهدات والثقة المتبادلة، ووضعنا أصول قبول وتدريب الكهنة المتنبئين؛ حتى يغذوا بالحكمة أرواح الناس ويعالجوا أمراض الجسد بفنون الشفاء »[1].

تأمل هِرمِس (إدريس عليه السلام) في قيمة الإنسان وطبيعته:

يتحدث هِرمِس عن علاقة الإنسان بالإله فيقول: « الإله والكون والإنسان ثلاثة كائنات عظمى، فالكون صورة من الإله، والإنسان صورة من الكون، وكل يتكون من أجزاء، ولكن كلًّا منهم هو أكبر من مجرد مجموع تلك الأجزاء، لقد خلق الإله الإنسان ليكون قناة له في خلق النظام والجمال في الكون، ولكل الكائنات الحية روح، وهي قوة الحياة فيها، ولكن الإنسان فقط ممتحن بقوة العقل يتأمل بها الكون، ويصل إلى العرفان بالإله »[2].

والإنسان ميدان للقاء العقل والمادة، فلنا إذن طبيعة مزدوجة، عقل خفي يغلفه جسد مادي، والعقل الإنساني صورة من عقل الإله، فهو خالد لا يفنى، وأبدي وطليق، أما الجسد الإنساني ففان تحكمه قوانين الصيرورة التي تحكمها الأبراج.

ويجد هِرمِس الجرأة على وصف هذه الطبيعة المزدوجة بأنها تضع الإنسان فوق الكائنات الإلهية، فكواكب البروج تدور محدودة في أفلاكها لا تستطيع منها فكاكًا، لكن الإنسان قد يكون على الأرض، ولكنه يرتفع إلى الأفلاك بقوة فكره في ذات الوقت، وكون الإنسان روحًا ومادة، جعله وسيطًا بين هذين الجوهرين العظيمين، فهو أعظم

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، (ص ٦٢).

(٢) المرجع نفسه، المتن الحادي عشر، وعنوانه: الإنسان أعجوبة، (ص ٦٣).

من الكائنات الفانية فقط، وهو أعلى من الكائنات الخالدة فحسب، ويشارك الإله في قدرة الخلق، وحتى إنه بعقله يخلق كائنات إلهية على شاكلته الآدمية [١].

ويخرج هِرمِس بنتيجة، أن الإنسان أعجوبة، ويستحق العجب والإجلال، وغرض حياة الإنسان هو الارتقاء عن مجرد الطبيعة الإنسانية، ليوقظ طبيعته الإلهية، ولديه القدرة الفريدة على معرفة الإله، ومشيئة الإله العظمى هي أن يحقق الإنسان هذه القدرة؛ فالإله الواحد هو الأول، والكون هو الثاني، والإنسان هو الثالث، والإله الواحد واحد، والكون واحد، وكذلك الإنسان – مثله الكون – كلٌّ واحد من أجزاء مختلفات. لقد صنع الصانع الإنسان ليشاركه الحكم، وإذا قبل الإنسان هذا العهد – بالكامل – صار مصدرًا للنظام في العالم، قد يعرف الإنسان ذاته، فيعرف الكون بالوعي بأنه صورة للإله الواحد، وصورة للكون، ويختلف عن غيره من المخلوقات الحية الأخرى من حيث إنه يمتلك عقلًا، وبالعقل يمكن أن يتوحد مع الكون، الذي هو الكائن الإلهي الثاني، وبالفكر يمكن أن يصل إلى معرفة الإله الواحد [٢].

وجسد الإنسان يحتوي على عقل خالص، كما لو كان حديقة مسورة تحميه وتعزله، حتى يمكنه العيش في سلام. وللإنسان طبيعة مزدوجة: فهو فاني الجسد، خالد الذكاء، يعلو على السماء، ولكنه ولد عبدًا للمصير، مزدوج الجنس هو مثل أبيه، ساهد هو مثل أبيه، ولكنه محكوم برغبات جسدية، تائه في قبضة النسيان. الإنسان فقط من بين كل ما له روح له طبيعة ثنائية. أحدهما يدعى (صورة الإله الواحد) وهو فرد لا ينقسم، روحاني وخالد، والآخر مصنوع من مواد العناصر.

أحدهما يأتي من العقل الأول، وله قوة الخالق، وقادر على معرفة الإله الواحد، والآخر موضوع في الإنسان بفعل دورات السماء [٣].

والإنسان هو أكثر الكائنات ربانية، فمن بين جميع المخلوقات لا يخالط الرب سواه، يتحدث إليه في الأحلام ليلًا، ويعلمه نبوءة المستقبل في طيران الطير، وفى شكل أمعاء الحيوان وهمسات السندباد، وكل المخلوقات الأخرى لا تسكن سوى منطقة

---

(١) تيموثى فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٦٣).
(٢) المرجع نفسه، (ص ٦٤).
(٣) المرجع نفسه، المتن الحادي عشر، مرجع سابق، (ص٦٤).

واحدة في الكون، فالسمك في الماء، والحيوان على الأرض، والطير في الهواء، لكن الإنسان يخترق كل تلك العناصر، وبثاقب نظره يمكن أن يرى السماوات، والإنسان يفوق ملائكة السماء في الكلام بلا خوف، أو على الأقل يكافئها، حيث إن الكائنات الإلهية لن تخرج عن حدودها السماوية لتهبط إلى الأرض، لكن الإنسان قادر على الصعود إلى السماء دون أن يترك مكانه في الأرض، قواه تستطيع الإحاطة بشاسع المسافات، وبمشيئة الإله الواحد صار الإنسان مزيجًا من خلود الربوبية وفناء المخلوقات، هو أكبر من أن يكون مجرد إنسان فان، وأعظم من أن يكون مجرد كائن خالد.

والإنسان أعجوبة تستحق التشريف والتبجيل، فله صفات الكائنات الإلهية كما لو كان واحدًا منها، وقد عرف الكائنات الإلهية لأنه علم أنه نشأ من نفس الأصل، ويرفع إلى السماء عيونًا ملأى بالتقوى، ويفلح الأرض تحت أقدامه، وقد باركه الرب بأن يكون وسطًا، فيحب كل ما هو أدنى منه، ويحبه كل من هو أعلى، واثق في ربوبيته، فهو يستطيع أن يلقي عنه طبيعته الإنسانية، يستطيع أن يتواصل مع الكل، فحدة فكره تنزل به إلى أعماق البحار، ولا تبعد عن حكمته أقطار السماوات، وذكاؤه يخترق العناصر، فالهواء بضبابه الكثيف لا يعمي رؤى عقله، وحجب الأرض وأعماق المياه لا تغشي ثاقب بصره، الإنسان كل شيء، الإنسان في كل مكان، يستطيع الإنسان تلقي نور الحياة الربانية، كما يستطيع منح هذا النور، يستطيع الإنسان أن يرتفع إلى مصاف الكائنات الإلهية، كما يستطيع أن يخلقها بفكره، وكما قدر الإله الواحد أن يكون الإنسان مخلوقًا على شاكلته هو، كذلك نخلق نحن على الأرض الكائنات الإلهية على شاكلتنا. ألا يستحق ذلك العجب؟ [1] .

هناك إذن ثلاثة: الإله الواحد، والكون، والإنسان. الإله الواحد يحتوي الكون، والكون يحتوي الإنسان. الإله الواحد لا يتجاهل الإنسان، بل يعيه تمامًا مثلما يريد أن

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الحادي عشر، (ص٦٥ ، ٦٦). وقد قيل في كنه الإنسان: وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر. المناوي: عبد الرؤوف، فيض القدير، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦ هـ، (٥/ ٣٦٦) والألوسي في روح المعاني (١٨/ ١٤).

يعيه الإنسان تمامًا، ولذلك فقط، كان هدف حياة الإنسان وخلاصه هو الصعود إلى السماء ومعرفة الإله الواحد[1].

رؤية هِرمِس (إدريس عليه السلام) في قوة البروج وأثرها في قدر الإنسان:

يشرح لنا هِرمِس في هذا المتن قوة البروج، وإمكانية التحرر من قيودها المحددة، فيقول:

« إن قدر المرء أن يحيا الحياة المقضية له في المصير، وقليل من الناس من يستطيع الخلاص من حتمية نفوذ البروج، فحياة الإنسان الأرضي محكومة بقوة القدر، وبالمحددات التي يفرضها جسد الإنسان الفاني، ولكن إذا استنار عقل الإنسان بنور الإله تحرر من نفوذ البروج، فحتى الكائنات الإلهية تعجز أمام نور الإله »[2].

ويحث هِرمِس الإنسان على ضرورة التفكر والتأمل في القدرة الإلهية فيقول في تعاليمه: « كأن واجبنا لا ينحصر في الاستكانة لمصائرنا، ولكن أيضًا في إمعان الفكر والتأمل في الإله، كي نتعالى عن طبيعتنا الفانية، ونوقظ أرواحنا الخالدة، عندما خلق الخالق هذا الكون البديع المنظم أراد أن ينظم العالم أيضًا، فأرسل الإنسان – المخلوق الفاني الذي أبدع على صورة الكيان الخالد – كي يصبح زينة العالم، وعمل الإنسان هو إكمال عمل الإله الواحد؛ فقد صنع ليرى الكون بخشية وعجب، ويعلم خالقه »[3].

ثم يعود هِرمِس متحدثًا عن بداية الكون وحديث الملائكة مع الإله فيقول: « في مبدأ الأمر شكت الكائنات الإلهية قائلة: لقد تسرعت في خلق الإنسانية، فهم ينظرون بعيون متسائلة، ويسمعون ما لا يحق لهم سماعه، وتمتد أيديهم بوقاحة، فيحفرون عند جذور النبات، ويتحرون خصائص الصخور، ويشرحون الحيوانات الأدنى، كما يشرحون بعضهم البعض أيضًا، وسوف يبحثون لاكتشاف كيف تأتى لهم أن يعيشوا، وماذا خفي عنهم، وسوف يقطعون غابات مواطنهم، ويقلعون في البحار ليعلموا ما وراءها، وسيحفرون المناجم كي يفتشوا في أعماق الأرض. وقد

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٦٦).

(٢) المرجع السابق، المتن الثاني عشر: البروج والمصير، (ص ٦٧).

(٣) نفسه، (ص٦٧ ، ٦٨).

يكون كل ذلك محتملًا، ولكنهم سيأتون بها هو أنكى، فسوف يبحثون في العالم العلوي بالملاحظة لاكتشاف القوانين التي تحكم حركة السماء. فأجابهم الإله الواحد قائلًا: سوف أبني الأفلاك بآلية سرية في النجوم كي تتصل بالمصائر التي لا تفتر، وسوف تخضع حياة الإنسان من مولده حتى مماته لأعمال هذه الآلية الخفية، وعندما بدأت الآلية في العمل، أشرف ملاك المصير ثاقب البصر على حركتها وضبطها، ومن هذه الآلية التحم المصير بالضرورة، يبذر المصير البذور، وتدفع الضرورة بالنتائج. وقد بدأ النظام مع بداية المصير والضرورة، النظام الذي هو نسيج الأحداث المتداخل في الزمن. إن الإله الواحد يكسو كل روح إنسانية باللحم بواسطة الكواكب الدوارة في السماء »[1].

ويضيف هِرمِس قائلًا: « إن قدر الإنسان أن يعيش حياته حسب المصير المكرس من أجله على يد القوى السماوية، ثم يفنى ويذوب في العناصر، وهناك من سيبقى اسمهم على الصروح الجبارة التي بنوها، ولكن أسماء كثيرة ستخبو في الظلام، قليل من سيستطيع الهرب من مصيره، أو التحسب من النفوذ الرهيب للأبراج، والتي هي أدوات المصير، تدفع بالحدثان في عالم الإنسان، ولكن إذا استضاء الجانب العقلاني في روح الإنسان بشعاع واحد من نور الإله الواحد فستحبط أعمال ملائكة القضاء والقدر؛ إذ لا حول لها أمام النور الأسمى، إلا أن هؤلاء الناس قلائل، والغالبية تسوقها الكائنات الإلهية التي تحكم العالم الأرضي مستخدمين أجسادنا كأدوات للمصير ».

ويخلص هِرمِس قوله في هذا الشأن بتأكيده على ضرورة توجه الإنسان للتأمل فيقول: « ولكنني أعتقد أن واجبنا هو أن نرضى بأحوالنا الإنسانية، وألا نكف عن التأمل العميق لأمور السماء، وأن نرتفع بذواتنا، عن مجرد طبيعتنا الفانية »[2].

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثاني عشر، (ص٦٨). في حديث الملائكة مع الإله تتمثل لنا الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

(٢) المرجع نفسه، (ص ٦٩).

نظرة هِرمِس (إدريس ﷺ) إلى صفات الإنسان العامة والخاصة وعلاقتها بالأبراج:

يشرح هِرمِس الصفات والطبائع البشرية بقوله: « إن كل شيء نسخة خاصة من شكل عام، وكل حيوان هو متفرد بذاته، وهو عضو في جماعته في ذات الوقت، وكل أفراد الجنس البشري يشتركون في كونهم بشرًا، ولكن كل فرد له سماته الخاصة التي نميزه بها عن غيره من جنسنا.

وهذه الصفة الآدمية ثابتة لا تتغير، فنحن مختلفون عن أسلافنا، ولكننا لسنا أكثر آدمية منهم، وتتغير الصفات الخاصة باطراد، ففي حياة بشرية واحدة نتغير من رضيع إلى شخص ناضج، فكهل، ولا نبقى كما نحن أبدًا، لكن الطفولة والنضج والكهولة صفات عامة للحياة البشرية »[(1)].

ويقارن هِرمِس الأشكال العامة للحياة بمدارات البروج الثابتة، ويقارن الأشكال الخاصة المتغيرة بتغير العلاقات بين البروج وهي تدور في مداراتها في السماء، فتبقى طبائعنا البشرية كما هي طوال حياتنا، ولكن مصائرنا الفردية تختلف باتساق مع الاختلافات في مواقع البروج. وكما يرى المنجمون، يقول هِرمِس بأن مصائرنا تتحدد بأوضاع الكواكب ساعة الميلاد، وهي الكائنات الإلهية التي تتولانا وتحكم أجسادنا وتشكل أرواحنا[(2)].

يقول هِرمِس في حركة الطبيعة وعلاقتها بالكائنات الحية: « لقد رتب الإله الواحد أفلاك الكون على اتساق مع حركة الطبيعة، وأسند إليهم إنتاج كافة أشكال الأحياء. وعندما استخدمت هذه الكائنات الإلهية قواها المختلفة، أنتجت ذوات الأربع والزواحف، والأسماك، والطيور، والحشائش، والنباتات المزهرة، كل حسب طبيعته المختلفة، وكل يحتوي على بذرة بقاء نوعه، وكل كائن حي له شكله الخاص الذي منحته إياه قوى الأفلاك، وذلك الشكل متوافق مع نوعه، إلا أنه فرداني. فجنس الإنسان على سبيل المثال، يشترك في صفات شكلية عامة، نعلم منها أن إنسانًا هو

(١، ٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثالث عشر، وعنوانه: العام والخاص، (ص ٧١).

إنسان، إلا أن لكل فرد من بني الإنسان شكلًا خاصًا به؛ بحيث لا يتشابه اثنان منهما تمام الشبه، فكل شكل فريد في ذاته، حيث إنه خُلق في مكان وزمان معينين. وتختلف الأشكال الخاصة في كل لحظة من كل ساعة، مثلما تدور ملائكة الأفلاك في مداراتها السماوية، ولا تختلف بذلك الأشكال العامة، مثلما تبقى الأفلاك على حالها، ولكن تختلف الأشكال الخاصة لحظة بلحظة، كما تغيرت أوضاع الأفلاك في دورانها في السماء؛ تمطر السماء ثم تقلع، ويأتي الحر ويليه القر، وتتبع الظلمة الضياء، لكن تلك التحولات جميعًا تقع في حدود شكل السماء العام. والأرض دائمة التغير، تلد وتنتج محاصيل مختلفة، لكنها الأرض باقية أبدًا، والمياه قد تركد، وقد تفيض، ولكنها المياه أبدًا. والجسد الإنساني معبد أرضي، أنشأته حركة الأفلاك التي تنتج أشكالًا لا نهائية من نماذج بسيطة، هناك اثنا عشر فلكًا تنتج أشكالًا تقع في اثني عشر نوعًا، إلا أنها لا تنفصل عن بعضها البعض في حركتها، والطبيعة تصنع الجسد الإنساني بحيث يردد تكوينه نماذج النجوم، وبحيث يؤثر كل منهما في الآخر بالتبادل، وحينما نولد ترعانا ملائكة الأفلاك التي تسيطر على وقت الميلاد، وهذه القوى الخاصة التي تتغير مع دوران الأفلاك، تتخلل الجسد وتصوغ شكل الروح، وتتخلل أعصابنا، ونخاعنا، وشرايينا وأوردتنا، وأعمق أعضاء جسدنا »[1].

رؤية هِرمِس (إدريس عليه السلام) لطبيعة الموت ومصير الروح:

يقول هِرمِس في الموت وطبيعة الروح: « إن الزمن مدمر من وجهة نظر الإنسان، فالزمن يؤدي بنا إلى الشيخوخة والموت، أما بالنسبة للكون؛ فالزمن دورة لا تتوقف إلى الأبد، تقيسه دورات الأفلاك، وفى حين تتغير الحياة على الأرض، دومًا تبقى الأفلاك على حالها إلى الأبد ». ويتساءل هِرمِس: « فكيف يتأتى لشيء أن يكون حقيقيًا وهو لا يكف عن التغير المستمر؟ إلا أن هذا التغير صادر من حقيقة ثابتة لا تتغير، واكتشاف الفارق بين الزائل والخالد هو جائزة البعث الروحي »[2].

ويعلمنا هِرمِس أننا يجب أن نقبل الطبيعة الزائلة المحتومة لكل ما هو مادي، فكل ما

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثالث عشر، (ص ٧٢، ٧٣).

(٢) المرجع نفسه، المتن الخامس عشر، وعنوانه: الموت والخلود، (ص ٧٩).

يولد يموت، ولا بد أن ينتهي القديم ليخلق الجديد، فالبراعم الجديدة تنمو من مخلفات المحصول القديم، وبذورها سوف تنمو وتشيخ وتموت، كما أن ميلاد الإنسان ليس بداية الروح، ولكنه عود للحياة في صورة ذلك الشخص المعين، وليس الموت سوى نهاية ذلك الشخص بعينه، وتحول الروح إلى حالة أخرى، وأن الموت هو الخلاص من الجسد الفاني، ومعظم الناس يجهلون هذه الحقيقة، ولذا يخافون الموت [١].

وتحاكم الروح بعد تركها الجسد أمام رئيس الكائنات الإلهية ليكشف عن طهارتها وشرفها، فالأرواح الطاهرة تقاد إلى مكانها في السماء، والأرواح الجاهلة تسقط مرة أخرى إلى عالم المادة حيث يعاد تجسيدها، فالروح التي عرفت الإله في حياتها تصبح عقلًا خالصًا، وعندما تهجر الجسد تتجسد في طيف من نور، وتتحرر من قهر الجسد، وهذه الروح المستنيرة قد عرفت أن طبيعتها الأصلية إلهية، وعند موت جسدها تتحد بالإله، فقد سبقت في مضمار الطهارة، وهي الآن روح خالصة سماوية، وقد أصبحت كائنًا إلهيًا. فنهاية الكينونة بداية الفناء، ونهاية الفناء بداية الكينونة [٢].

كل ما على الأرض يفنى، فبدون الفناء لا خلق جديد، يأتي الجديد من القديم، فكل مولد لجسد حي مثل نمو النبات من الحبة يتبعه فناء من التحلل يأتي البعث، حسب دورات ملائكة السماء، وقوة الطبيعة، والتي تأتي كينونتها من كينونة الإله الواحد. الزمن مدمر للإنسان، أما الكون فهو عجلة دوراة إلى الأبد، تلك الأشكال الأرضية التي تروح وتأتي هي خيالات، فكيف يتأتى لشيء أن يكون حقيقيًا وهو لا يكف عن التغير المستمر؟ لكن تلك الأشياء العابرة الوهمية تنبع من حقيقة ثابتة دائمة [٣] . والميلاد ليس بداية الحياة، فهو لا يعدو أن يكون مولد وعي شخصي، والموت تغير إلى حالة أخرى، فهو لا يعدو أن يكون نهاية لذلك الوعي، ومعظم الناس جاهلون بالحقيقة ويخافون الموت، ويعتقدون أنه أسوأ الشرور، لكن الموت لا يعدو أن يكون هو تحلل الجسد الفاني. وينتهي دورنا كحراس للعالم عندما نتحرر

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٧٩).

(٢، ٣) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الخامس عشر، (ص ٨٠).

من روابط الجسد، فنعود مطهرين إلى الحالة الأولى من طبيعتنا العلوية، وبعد أن نهجر الجسد، يتحرر العقل الذي هو رباني بطبيعته من كل متعلقاته، ويتخذ سمتًا من ضياء يتردد في كل الأكوان، تاركًا الروح لتحاكم وتعاقب حسب أعمالها، ولا تذهب كل الأرواح إلى مكان واحد، ولا إلى أماكن عشوائية، لكن كل روح تؤتمن إلى المكان الذي يناسب طبيعتها [1].

وعندما تترك الروح الجسد تتعرض لمحاكمة واستجواب رئيس الكائنات الإلهية، وعندما يجد أن الروح شريفة طاهرة، يسمح لها بالحياة في مكان يناسب طبيعتها، أما إذا وجد أنها ملوثة بجهل عضال، فإنه يقذف بها إلى الأنوار والأعاصير التي تصطخب حولها إلى الأبد في الرياح العاصفة ما بين السماء والأرض.

ولن يعرف الإله الواحد سوى الروح الربانية التي لم ترتكب خطأً في حق أحد، تلك الروح قد فازت في السبق إلى الطهارة وأصبحت عقلًا كليًّا، وبعد أن تهجر كينونتها المادية تصبح روحًا في جسد من ضياء حتى تعمل في خدمة الإله الواحد.

وعندما يتحلل الجسد يتحلل الشكل المادي أولًا ثم لا يرى بعد ذلك، وتعود الروح الحية إلى الفضاء، وتعود الحواس الجسدية إلى الطبيعة؛ حيث تتألف بطرائق جديدة، وتعمل أعمالًا أخرى [2].

وتصعد الروح إلى أعلى في طبقات السماء، ففي الطبقة الأولى تتحرر من النمو والضمور، وفي الثانية تتحرر من الشرور والمكر، وفي الثالثة تتحرر من الشهوة والخداع، وفي الرابعة تتحرر من الغرور والسيطرة، وفي الخامسة تتحرر من الصفاقة والتهور، وفي السادسة تتحرر من الطمع والثروة، وفي السابعة تتحرر من الخديعة والزيف [3].

وبعد أن تتطهر بطبقات السماء من كل ما حاق بها، تمتلك الروح قواها الحقة، وقد تتعالى إلى الطبقة الثامنة لتبتهج من كل الذين يرحبون بها وهم يسبحون للرب.

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٨٠).

(٢) المرجع السابق، (ص ٨١). (٣) المرجع السابق، المتن الخامس عشر، (ص ٨١).

وتسبح الكائنات الإلهية التي تسكن فوق الطبقة الثامنة بأصوات تميزهم وحدهم، ينادون الأرواح كي تسلم للإله، وتصير من كائناته بالتوحد مع الإله الواحد. هذا هو الخير والإحسان القديم، وهذا هو اكتمال المعرفة الحقة، وبعد أن يتم قبولها في الخلود، تتحول الروح الإنسانية إلى كائن ينضم إلى الكائنات الإلهية التي تهلل وتسبح احتفالًا بانتصار الروح [١].

رؤية هِرمِس (إدريس ﷺ) في كيفية التخلص من عبودية الجسد:

يؤكد هِرمِس في متونه أن هناك طريقًا لتحرير أنفسنا من عذابات الحياة، والتي يسببها جهلنا، فيحضنا على تحرير أنفسنا من عبوديتنا، فننمي بصائرنا، ونستخدم قوة عقولنا في ممارسة العقل المحض، ويسألنا: « فلماذا تسلم نفسك إلى الموت في حين تستطيع الخلود؟ » [٢].

يؤكد لنا هِرمِس أن مرفأ السلام ينتظر أولئك الذين نهضوا لتحدي الجسد فيقول: « لقد فطر الإنسان على صورة الإله، ويستطيع أن يتوحد معه، فالشبيه فقط يعرف شبيهه بالحق، إن خوفنا فقط هو الذي يبعدنا عن الحق، وقلة إيماننا بأنفسنا تربطنا إلى الأرض ». إن في الإنسان قوة يرتفع بها إلى السماء، ولكنه يزحف على الأرض، ويرى أن أكبر خطأ للإنسان هو أنه يمتلك القوة لمعرفة الإله ولا يحققها. فمجرد الرغبة في معرفة الإله تضعنا على طريق الاستنارة، والطريق الروحي ليس صعبًا، فبمجرد اليقظة من الجهل، يأتي الإله إلينا بالمدد، ونعي فجأة أن الإله معنا في أزمنة وأماكن لا نتوقعها، ونهاية رحلة الروح هي الإدراك بأن الإله في كل مكان وفي كل شيء.

ويؤكد هِرمِس أنه من المستحيل دوام السعادة طالما التصقت الروح بالجسد، ولذلك فعلى الإنسان تدريب روحه في هذه الحياة الدنيا حتى لا يضل طريقه إذا دخل الحياة الأخرى التي يستطيع فيها اجتلاء الإله الواحد [٣].

ونجد حكمة هِرمِس تتجلى في مخاطبة العقل فيما يتعلق بأمور الدنيا وعدم

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٨١).

(٢) المرجع السابق، المتن السادس عشر وعنوانه: جهل الروح، (ص ٨٣).

(٣) المرجع السابق، المتن السادس عشر، (ص ٨٤).

الالتفات إلى زخارفها ومغرياتها، فيقول: « هنا على الأرض يكمن أمل الروح في حياة الخلود. وكثير من الناس لا يصدقون، ويعتقدون أنها حكاية فارغة تستحق السخرية، إذ إن ممتلكات الحياة الدنيا تبعث على السرور، ومثل تلك المسرات تخنق الروح، وتربطها إلى الحياة. تمتلكنا أملاكنا، لم نولد مالكين، ولكننا احتزنا أملاكًا، وكل ما يستخدمه المرء لإرضاء جسده غريب عن طبيعته الأولى التي هي أشبه بطبيعة الكائنات الإلهية، وليست الأملاك فقط بغريبة، ولكن الجسد ذاته غريب عن النفس الحقة. إن عقل الكون لا يُبلغ إلا بالفكر وحده، والروح التي لا ترى عمياء عن خير وإحسان الإله الواحد، تتخبطها الأهواء التي تعتري الجسد، فأي نار تحرق مثل الدنس؟.وأي وحش جائع لديه القوة على تمزيق الجسد مثلما يفعل الدنس بالروح؟ ألا ترى العذاب الذي تحترق فيه الروح الدنسة؟ إنها تصرخ: إنني أحترق وأتعذب في النار، لا أدري ماذا أفعل أو ماذا أقول، يلتهمني البؤس الذي يتملكني. أليست هذه الصرخات توسلات روح تتعذب؟ روح تحمل الجسد كسيد لها وليس خادمًا؟!» [1] .

ثم يخاطب هِرمِس الإنسان ليدفع همه وطاقاته المكنونة داخله فيحثه قائلا: « مزق ذلك الرداء الظلامي، ذلك النسيج الجاهلي، تلك القيود الماحقة، حياة الموت والعدم، القبر الذي تحمل، اللص الذي يسكن المنزل، العدو الذي يكره كل ما تحب، اللباس الذي يطحنك ويشدك إلى الأرض، والجهل الذي يفيض على الأرض تجتاحك أنواؤه، فلا تجعله يحملك في تياره؛ اسبح عكس التيار، وابحث عن مرفأ التحرر الآمن، ارس عليه، وستجد مرشدًا يقودك إلى بيت المعرفة، وهناك سترى بقلبك النور الساطع، أما إذا أغلقت على روحك في جسدك، وقللت من شأنك قائلًا: لا أستطيع أن أعرف، إني خائف لا أستطيع، بينما تستطيع الخلود؟ لقد سكرت بالجهل عن الإله الواحد، وقد أعياك جهلك، وأنت الآن تتقيؤه.

أفرغ نفسك من الظلام، وسوف تمتلئ بالنور. ليس هنالك خطأ أعظم من أن تحوز القدرة على إدراك الإله الواحد ثم لا تفعل، فمجرد الرغبة والأمل في معرفته طريق إلى الخير – وهو طريق سهل – سوف يلاقيك الإله الواحد في أي مكان، فانظر باحثًا عنه،

[1] تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٨٤).

في أزمنة وأماكن لا تتوقع أن تجده فيها، سواء أكنت يقظًا أو نائمًا، مسافرًا على البر أو في البحر، ليلًا أو نهارًا، صامتًا كنت أو متحدثًا، ذلك أن الإله الواحد هو الكل »[١].

تعاليم هِرمِس (إدريس عليه السلام) في كيفية التوصل إلى المعرفة الإلهية:

يعلمنا هِرمِس في هذا المتن كيف نصل إلى معرفة الإله، الذي هو الهدف من حياة الإنسان، فيقول: « لا يعرف الشبيه حقًا سوى شبيهه، فلكي نعرف الإله لا بد أن نتشبه به »، فيقدم هِرمِس الطريق إلى هذه المعرفة بقوله: « حتى نستطيع أن نصل إلى ذلك، علينا أن نتخيل أنفسنا في كل مكان في نفس الوقت، وأن نحتضن كل المتناقضات، ونعلم أننا خالدون، ونتصور أنفسنا في الرحم والقبر معًا، ونستطيع بهذا أن ننصهر في الروح العلية[٢].

والعقل هو الجزء الخالد من الإنسان، وهو النور السماوي الذي يشع من الإله، وليس لمخلوق سوى الإنسان وحده هذه الهبة السماوية، والتي تمنحه القدرة على معرفة الإله، ومعرفة كهذه ليست رأيًا، فالرأي لا يتجاوز أن يكون انعكاسًا كابيًا للمعرفة، والمعرفة هي الوعي المباشر بالحقيقة، والإنسان المستنير ليس لديه آراء عن الرب، فهو متوحد معه، والعقل مثل الجائزة التي يمكن للروح أن تحوزها، والإله يريد لنا أن نتعمد بالعقل، ونصبح ربانيين، إلا أن جماهير الجهلاء يعتبرون أولئك الذين ينجحون مجانين، ويضحكون عليهم ويحتقرونهم، وحتى إنهم يقتلونهم، ويثبت التاريخ أن ذلك فوق كل ما يعلو، وتحت كل الأعماق، وتبن في ذاتك كل المتناقضات من حر وقر، ومن صلابة وسيولة. واعتقد أنك في كل مكان في نفس الوقت، على الأرض، وفي البحر، وفي السماء، تخيل نفسك جنينًا في الرحم، ولكنك أيضا شاب وشيخ وجدث ميت، وفى عالم ما وراء النهر، وتأكد أن كل شيء يتعايش مع كل شيء في العقل، في كل الأزمنة والأماكن، كل الأشياء بكل الأشكال وبكل الأحجام، عندئذ ستعرف الإله الواحد »[٣].

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن السادس عشر، (ص ٨٥).

(٢) المرجع السابق، المتن السابع عشر بعنوان: معرفة آتوم (الإله الواحد)، (ص ٨٧).

(٣) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن السابع عشر بعنوان: معرفة آتوم (الإله الواحد)، (ص ٨٨).

وإذا أمكن التحدث عن كنه الإله الواحد فمادته الإلهية هي العقل، ولا يعرف كنهه سواه. العقل لا ينفصل عن الإله الواحد، ولكنه يشع عنه كما الضوء عن الشمس، والعقل يلد الربوبية في بني البشر، فبالعقل يرتفع بعض بني الإنسان إلى أشباه للآلهة كما جاء في تعاليم أوزيريس: « الآلهة أناس خالدون، والناس آلهة فانون ». العقل هو القسم الإلهي في الكائن الإنساني بقدرته على التعالي إلى السماء. والقسم المادي الذي يتكون من النار والماء والتراب والهواء هو الجزء الفاني المرتبط بالأرض، حتى لا يهجر العقل الجسد الذي اؤتُمن عليه؛ تتغذى الروح بالنار والهواء، ويتغذى الجسد بالماء والطين، والعقل هو الجوهر الخامس الذي يأتي من النور، ولم يمُنح سوى للإنسان، ومن بين جميع الكائنات الحية، لم يوهب الروح إلا الإنسان، الذي ترفعه هبة العقل إلى معرفة الإله الواحد، وهذه المعرفة ليست رأيًا هو نسخة باهتة من المعرفة، وصدى لصوتها، كضوء القمر الكابي مقارنًا بوهج الشمس[1].

ويستطرد هِرمِس في حث الإنسان للوصول إلى المعرفة الإلهية فيقول: « إن العقل والكلام عطايا عظيمة منحها الإله الواحد للإنسان وحده، وإذا استُخدمتا بحكمة يمكن أن تجعلا الإنسان مثل الكائنات الإلهية الخالدة، غير أنه متجسد في جسد من الطبيعة، وعندما يترك الجسد وراءه؛ فسوف يكون العقل والكلام مرشديه يقودانه إلى صحبة الإلهيين والأرواح، التي اتخذت مكانًا عليًا. للكائنات الأخرى أصوات ولكنها ليست كلامًا؛ فكل كائن حي له صوته المميز، لكن الناس جميعًا يشتركون في الكلام، فالناس جميعًا واحد بالخلق، واللغات جميعًا واحدة بالمعاني. تترجم الكلمات من لسان إلى لسان، وتظل المعاني واحدة، سواء كانت مصرية أو فارسية أو يونانية؛ ذلك أن المعاني صورة العقل، والعقل صورة الإله الواحد[2]، بمشيئة الإله الواحد، العقل مثل جائزة يمكن للروح أن تفوز بها. لقد ملأ الإله الواحد وعاءً ضخمًا بالعقل وأرسله إلى الأرض، ونودي عليه: أنصت يا قلب الإنسان ! عمّد نفسك بالعقل، وتعرّف على علة خلقك، وارتق إلى من أرسل إليك هذا الوعاء ».

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٨٨، ٨٩).

(٢) المرجع نفسه، (ص ٨٩).

أولئك الذين عمدوا أنفسهم بالعقل وجدوا المعرفة الحقة، وصاروا كاملين، إلا أنهم لم يحسنُوا في أعين الآخرين، فقد اعتبروهم مجانين يبعثون على الضحك، وكان نصيبهم الكراهية والازدراء، وقد يحكم عليهم بالموت [١].

معرفة أسرار الميلاد الروحي عند هِرمِس (إدريس عليه السلام):

يبين لنا هِرمِس في هذا المتن أسرار الميلاد الروحي من جديد أي محاولة تجديد الروح، والذي نستيقظ بعده على أرواحنا الخالدة فيقول: « إن عمل القدر محتوم على الإنسان في دوران الأفلاك، يتعرض فيه الإنسان لآلام الولادة والموت، ومشكلة الإنسان تكمن في اعتقاده الجاهل أنه مجرد جسد ينمو ويعاني، ثم حتمًا يموت، ويقوده إحساسه بظلم هذا المصير إلى إيذاء نفسه وغيره، إما جشعًا لمزيد من الحياة، أو رعبًا من اقتراب الموت، وتلك الجرائم تعمل على تقييد الروح إلى الجسد بشكل أوثق، وتطهير المرء لذاته من الجهل، إذن هو أولى درجات الميلاد من جديد، الميلاد في المعرفة بأننا خالدون [٢].

ولا بد لنا من ميلاد الروح من جديد للهرب من عنائنا الكامن في مصيرنا الإنساني، والطريق الروحي هو ذاته الذي اتبعه أسلافنا، وهو طريق صعب طالما كبلتنا قيود الجسد، فلا بد من النضال كي نسود نفوسنا، والفهم الصحيح يطهرنا من كل أدران الرذائل التي تعذبنا، ويوقظ روحنا الخالدة.

والذي يولد على هذا النحو يتوحد بالإله، ولكن ذلك لا يحدث إلا بأن نكف عن الحديث عنه، بحيث يحدث بشكل طبيعي في صمت وسكون وتأمل عميق، فالكائن المستنير لا يعد يصدق بأنه جسد، فالجسد ينتمي إلى الطبيعة وليس إليه، ومصيره ليس أمرًا مهمًّا، إنه يتوحد مع كل شيء، ويرى الإحسان في كل شيء، ويغتسل بالنور الإلهي، فقد صار عقلًا محضًا [٣].

والميلاد من جديد ليس نظرية يمكن أن نتعلمها، فهو حدث طبيعي يحدث عندما

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن السابع عشر، (ص ٨٩).

(٢، ٣) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثامن عشر، الميلاد من جديد، (ص ٩١).

يشاء الإله، وكل ما علينا هو أن نستعد لتلك الاستنارة، ونضبط نزواتنا، ونرضى بما قسم لنا، فكل شيء حسن في نظر الإنسان الرائي، حتى لو رآه الناس شرًّا، وعرفانه بالإله يمنحه القدرة على رؤية الإحسان الإلهي في كل شيء، حتى لو أساء الناس إليه. وهؤلاء الذين ولدوا بالروح من جديد يعيشون في مملكة الإله. (لن يصل أحد إلى الخلاص ما لم يولد من جديد) [١] .

ويحدد هِرمِس أسرار المادية التي تتحكم في النفس وكيفية التخلص منها، فيقول: « طهر ذاتك من أدران المادة إن أردت أن تولد من جديد، إن أولها الجهل، وثانيها الحزن، وثالثها عدم ضبط النفس، ورابعها الشهوة، وخامسها الظلم، وسادسها الطمع، وسابعها الخديعة، وثامنها الحسد، وتاسعها الخيانة، وعاشرها الغضب، والحادي عشر هو التهور، والثاني عشر هو الحقد. وينضوي تحت تلكم جميعها كثير غيرها، تجبر الإنسان الحبيس في سجن الجسد على معاناة العذاب الذي تولده، ولكنها تنزاح كلها برحمة الإله الواحد ليحل الفهم، هذه طبيعة الميلاد من جديد، وهو الطريق الوحيد إلى الحقيقة، وهو الطريق الذي اتبعه أسلافنا للوصول إلى الخير والإحسان. هو طريق إلهي مقدس على الرغم من صعوبة سفر الروح في الجسد » [٢] .

ثم يضع هِرمِس طرق التخلص من الماديات التي تتحكم في النفس فيقول: « أولى خطوات الروح هي الحرب مع شهوات الجسد، وهو صراع بين الوحدة والتعدد، فأحدهما يهدف إلى التوحد، بينما يهرع الآخر إلى الانقسام، فمن يولد من جديد يتوحد مع الرب الواحد الذي هو النور والحياة، ولن ترى الرؤيا العلية سوى بالامتناع عن الكلام عنها، فالعرفان سكون الحواس، والذي يعرف جمال الخير والإحسان الأول لن يعلم سواه، فلن يسمع شيئًا، ولن يحرك جسده، وسينسى حواسه الجسدية، بينما يغتسل عقله في جمال الإحسان الذي سوف يجتذب روحه عن الجسد، ليوحده مع الكائن الخالد أبدًا [٣] .

والإنسان لن يستطيع أن يصير كائنًا إلهيًّا طالما كان يعتقد أنه جسد فحسب، ولا بد

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثامن عشر، (ص ٩٢).

(٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، (ص ٩٢). (٣) نفسه، (ص٩٣).

له أن يتحول بجمال الإحسان الخالد حتى يصبح إلهيًا. الحكمة هي رحم الميلاد من جديد، والحمل هو الصمت، والبذرة هي الإحسان، والذين ولدوا من جديد لم يعودوا كما كانوا من قبل، فقد أصبحوا إلهيين، أبناء الإله الواحد، فهم يتسعون لكل شيء، وهم في كل شيء، وليسوا من المادة في شيء، فهم عقل محض. والميلاد من جديد ليس نظرية يمكن أن تحاول دراستها، ولكن بمشيئة الإله الواحد سوف تعرف، فالمرء لا يأمل في معرفة الإله الواحد إلا بضبط شهواته، وترك الأقدار لتصنع ما تشاء بجسده الطيني الذي ينتمي إلى الطبيعة وليس إليه، وليس له أن يحسن حياته بالسحر، أو يعارض قدره بالقوة، بل عليه أن يترك الضرورة لتتبع سبلها، وذو البصيرة يرى كل الأمور حسنة مهما بدت لغيره سيئة، ويرى كيف يدبر الناس له المكائد في ضوء معرفته بالإله الواحد الذي هو وحده يحول الشر إلى خير »[1].

خلاصة معرفة الحقيقة عند هرمس (إدريس عليه السلام):

يلخص هِرمِس في هذا المتن تعاليمه ويحض الإنسان على التفكير فيها وراء كلماته ليصل إلى معرفة الحقيقة الكلية العميقة، فيقول: « لقد كانت تعاليم الأديان القديمة أسرارًا، وكان طالبها يقسم يمينًا بحفظها، ويعاقب بالموت إذا حنث به، ولكن الواقع أن هذه الأسرار تحفظ نفسها، فهي معارف مقدسة متاحة مكتوبة بلغة الطبيعة في دوران النجوم وتغريد الطير، والإجابة حاضرة لكل من يستطيع النظر والسماع، ولكل عقل بريء من الآراء »[2].

ويوضح هِرمِس بعضًا من هذه الأسرار العميقة، فيقول: « لو لم نكن على استعداد لتلقي الأسرار، فلن نفهم منها شيئًا، فالكلمات تقودنا إلى أعتاب الحقيقة، ولكن بالتأمل فقط في مغزاها نستطيع أن نتجاوز الأبواب، فلو تأملنا تلك التعاليم لوجدناها حقًا وصدقًا، ولو لم نفعل فلن تزيد عن كونها مفاهيم وآراء ».

ثم يحاول هِرمِس أن يرسم صورة للإله بقوله: « لو استطعنا أن نتصور رؤياه، فسوف تتملك تصوراتنا أرواحنا لتقودنا إلى المعرفة، ومن الصعوبة بمكان أن نتخلى

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن الثامن عشر، (ص ٩٣).

(٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن التاسع عشر، وعنوانه: تعاليم سرية، (ص ٩٥).

عن طرائقنا المعتادة في فهم الأمور، ولكننا نستطيع أن نولد من جديد بفضل لطف الإله، كي نعود إلى مثوانا الأصلي [(١)] .

والإله كالموسيقي الذي يبدع تناسقات الكون، ويعطي لكل منا دورًا ليلعبه، فإذا بدت الحياة لنا نشازًا فليس اللوم على الموسيقي الأعظم، ولكنه يقع علينا، فنحن الأدوات الموسيقية – المترهلة الأوتار – التي يشوب أداؤها جمال اللحن».

ويدعو هِرمِس إلى تأمل حال الإنسان عندما يكرس نفسه للمدد الروحي، فيقول: «إننا بقدرة قادر ننضبط تمامًا في أدائنا الموسيقي، وهو يعلم أوجه ضعفه، لكن الإله يجعل منه مركبًا لمشيئته الإلهية، ويمكن أن يحبونا أيضًا بذلك لو أصبح لدينا استعداد له» [(٢)] .

ويختتم هِرمِس كلامه في أهمية التحقق بالمعرفة الإلهية مخاطبًا الإنسان ليحفظ هذه الأمانة، والتي لا تأتيه إلا برغبة الإله نفسه وإرادته، فيقول: «والآن بعد أن تعلمت هذه الأسرار، تعهد بحفظها، وأقسم على ألا تعلن كيف تتم إعادة الميلاد، فهذه التعاليم وضعت كي يقرأها فقط من يرغب الإله الواحد في معرفتهم.

وبالتأمل فقط سوف تدرك أن كل ما قلته لك صحيح، ولن تدرك بغير ذلك، ولن تصدقني، فالإيمان ينبع من التأمل، والكفر يصدر عن قلة الفكر، والكلام وحده لا يستطيع التعبير عن الحقيقة، لكن قوة العقل فائقة، وحين يقودها الكلام للتفكر في الأشياء حتى قرارها فإنها تجسد سلام الإيمان الحق، ولن تفهم تعاليمي إلا بقوة العقل [(٣)] .

لقد رسمت لك قدر استطاعتي شبهًا للإله الواحد، ولو نظرت إليه بعين قلبك فسوف يقودك إلى معراج التعالي، وسوف ترشدك الرؤيا ذاتها بالقوة المخصوصة بها والكامنة فيها؛ إذ هي تتملك أولئك الذين رأوها، وتأخذ بأيديهم كالمغناطيس الذي يجذب الحديد من الأرض السوداء. وهذه هي رحلة المعرفة، فسارع إليها، وبالرغم

(١، ٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن التاسع عشر، وعنوانه: تعاليم سرية، (ص ٩٥).

(٣) المرجع نفسه، (ص ٩٦).

من صعوبة هجر المألوف للعودة إلى المنزل القديم الذي منه نشأنا، إلا أن لطف الإله الواحد سابغ، وكرمه لا ينتهي [١].

إنه بطبيعته كالموسيقي الذي يؤلف توافقات الكون، ويوحي إلى كل فرد بإيقاعات موسيقاه.

فإذا كانت الموسيقى نشازًا فلا تلم المؤلف، بل أوتار القيثار التي ترهلت لتشوه جمال النغمات.

ولكني لاحظت أنه عندما يتعامل الفنان مع موضوع نبيل، تصبح قيثارته منضبطة بشكل غير مفهوم، حتى إن عيوبها تنطق بأمجاد موسيقية تدهش سامعيه [٢].

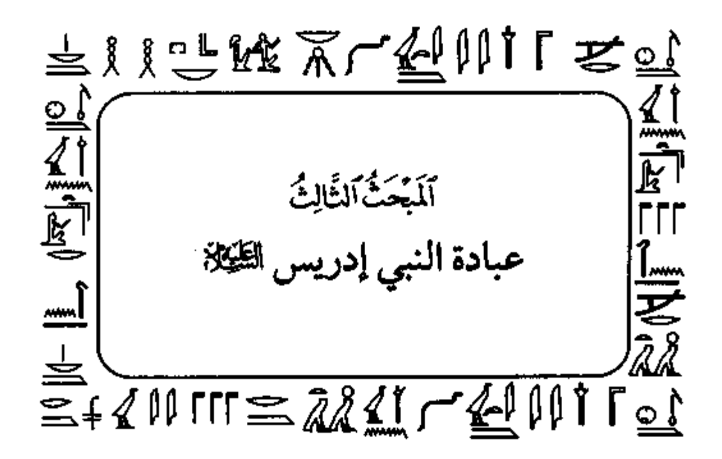
وأعترف أن الأمر كان كذلك معي رغم ضعفي، وصارت موسيقاي جميلة بقوة الإله الواحد، وكذلك سوف تصبح موسيقاك كاملة.

ليس هنالك تنافر بين سكان السماء، فليس لهم سوى غرض واحد، وعقل واحد، وشعور واحد، حيث تربطهم تميمة الحب في كل متناسق وسوف يبدو لهم الجانب الأرضي من الكون وقحًا وغثًّا بدون ألحان التسابيح الحلوة، ولهذا أرسل الإله الواحد جوقة ملائكة الغناء؛ لتعيش بين بني البشر، وتلهمهم بالموسيقى حتى يمجدوا الإله بالتسابيح مع أناشيد السماء، فلنسبح بحمد الإله الواحد بعرفان عميق، فإنه يقبل كلمات الحمد » [٣].

***

(١، ٢) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن التاسع عشر، (ص ٩٦).

(٣) المرجع السابق، (ص ٩٧).



المَبْحَثُ الثَّالِثُ

عبادة النبي إدريس عليه السلام

تذكر المصادر أن أركان الديانة التي بلغها إدريس عليه السلام لأتباعه من قدماء المصريين وغيرهم خمسة، وترمز بعلامة النجمة الخماسية كرمز للنور الإلهي، وهي:

١- التوحيد:

ويكون بشهادة أن لا إله إلا الله، ذكره الألوسي في كلامه في إدريس عليه السلام بقوله: « كانت ملته، هي توحيد الله تعالى »[1].

٢- الصلاة:

وترتبط بالرمز النجمة الخماسي وهو عدد مرات الصلاة، أي خمس صلوات، وشروطها ثلاثة: الطهارة، ستر العورة، استقبال القبلة، والوضوء قبل الصلاة، ويراعى فيه التثليث أي غسل الأعضاء ثلاث مرات، وقبلتهم نحو الجنوب.

وأوضاع الصلاة في الديانة الإدريسية خمسة: الوقوف في وضع التكبير، والوقوف مع وضع الكف الأيمن فوق الأيسر، والركوع، والسجود، والقعود.

ففي صلاته وتسبيحاته ورد في كتاب متون هِرمِس، المتن العشرين الذي يحمل عنوان (تسبيح لآتوم) وهو اسم الإله الواحد الأعلى عند قدماء المصريين، صلوات هِرمِس (إدريس عليه السلام) وتسبيحه للإله، وهي تكشف لنا عن جوانب روحية ومعرفية

---

(١) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، (٦/ ٢٠٧).

استولت على وجدانه، وهي بكل المقاييس تجليات إلهية تتسم بكل معاني الخضوع والخشوع، وقمة المعرفة، والتحقق بالقدرة الإلهية التي تسمو عن وصفها، وذلك في توجهاته إلى الإله الواحد الأحد، **يقول هِرمِس في صلاته وتسبيحاته:**

« أصلّي في باحة مفتوحة للسماء مستقبلًا الشرق في الفجر، والغرب في الغسق، حتى ينفتح الكون أمامي، ويستقبل الكون كله أصوات تسابيحي.

انفتحي أيتها الأرض العظيمة، وامسكي همسات أوراقك أيتها الأشجار، فأنا أهم بالترنم بمدائح الواحد الكل [1] .

أيتها العدالة سبحي للحق في ذاتي، أيها الصدق سبح للقدوس في روحي، أيتها الأثرة سبحي للمهيمن في صلاتي، هي كلماتك التي تتغنى بمديحك من خلالي، فالكل منك، والكل إليك.

وتقبل قرابين الكلم هذه من جسد وروح تعاليا إليك، فليس هناك لسان قادر على النطق، ولا يفصح لك سوى الصمت.

أحمدك بقلب فياض، فبلطفك فحسب، أدرك نورك وعرفانك.

أشكرك يا من لا يعلم اسمه أحد، يا من نعرفه باسم الإله الواحد، فأنت مولانا.

يا من ندعوه أبًا لأنك أظهرت في فعالك من الحب لنا والتعاطف معنا ما يظهر لنا الآباء.

بل إن حبك أعظم من حب الآباء، إذ حبوتنا هبة العقل والنطق والمعرفة.

العقل الذي يمكننا من التقرب إليك، والنطق الذي يتيح لنا أن ندعوك، والمعرفة التي تهيئ لنا نجد الخلاص في نورك، وتملؤنا بغبطة وجودك.

لا سبيل إلى حمدك سوى بتعلم عظمتك.

تعلمت معرفة جلالك بنور العقل الوضاء.

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، مرجع سابق، المتن العشرون، بعنوان: تسبيح لأنوم (الإله الواحد)، مرجع سابق، (ص ٩٩).

تعلمت أنك حياة الإنسان الحقيقية.

تعلمت أنك الرحم الذي يلد ذاته.

تعلمت أنك الثبات الأبدي الذي لا يتحرك، ولكنه يحرك الكون بأجمعه.

من ذا الذي يستطيع الحديث عنك؟

من ذا الذي يستطيع الحديث إليك؟ أين أولي وجهي لأحمدك؟

أنت اللانهائي الذي يحتوي كل المتناهيات، وليس هناك مكان ليس أنت، فالكل فيك أنت [١].

ماذا أستطيع أن أقدم لك؟ فأنت كل شيء، تمنح كل شيء، ولا تأخذ أي شيء، ولا ينقص منك شيء.

أنَّى لي أن أحمدك؟ هل أحمدك لما تظهر أم لما تخفى؟ وأنَّى لي أن أسبح بحمدك؟

فهل أنا حاكم على ذاتي؟ وهل لي ما هو ملكي؟ وهل أنا غيرك؟

فأنت كل ما هو أنا، أنت كل ما أفعل، أنت كل ما أقول.

أنت كل ما يحدث، أنت كل ما لم يحدث.

أنت العقل في فكرك، أنت الأب في خلقك.

أنت الإله الواحد الذي يفعل كل شيء.

أنت الخير والإحسان الأول في كل مكان.

لقد أفصحت لي عن كينونتك فأحييت، وجعلتني – بهبة من روحك الخالدة – في زمرة الكائنات الإلهية، ولم أبرح جسدي بعد فملأتني بالبهجة.

بتسابيحي هذه أعبدك يا من أنت الخير وحدك [٢].

ولا أطلب سوى أن تكون مشيئتك ألا أتحول أبدًا عن عرفانك وحبك، والحياة المباركة في ظلك، يا من وهبتني تلك الرؤى الخيرة الجميلة، لقد كادت عين عقلي أن

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، المتن العشرون، (ص ١٠٠).

(٢) المرجع نفسه، (ص ١٠١).

تغشى من نور بهائك السرمدي الذي يكسف الضوء المرئي، ولا تحميني منه سوى رحمتك.

لقد أبدعت في كياني كيانًا دون مادة، ألحقني بكيانك الأبدي.

لقد ولدت ثانية في الفكر، فلم يعد لي الجسد الذي كان لي.

لم أعد ذلك الشيء المجسد الملون.

لقد صرت غريبًا عن كل ما يُرى بعين الجسد، فتلك العيون لم تعد تراني.

إنني أداتك، والعقل قيثارتك، وحكمتك تفجر في الموسيقى، فأغني روحي بعد أن مسني حبك [(١)].

لقد أبدعت مني كائنًا جديدًا لم يعد يُرى بعين الجسد، ولكنه يُشهَدُ بنور العقل.

وعندما يولد المرء من جديد، يفقد جسديته الملموسة ذات البعاد ويصبح كله عقلًا.

أدرك أنني أصبحت الكل، أنني في السماء والأرض، أنني في المياه والهواء، أنني في الوحش والطير، أنني رضيع، أنني في الرحم، أنني قبل الحمل، أنني الحضور الحاضر في كل مكان.

أرى أعماقًا لا قرار لها، فكيف لي بوصف هذه الرؤيا ؟ بعقلي أرى العقل.

وأعرف الواحد الذي يستعيدني من النسيان، أرى روحي، أخشى أن أنبس.

لقد وجدت ينبوع القوة لكل القوى التي لا بداية لها، أرى ينبوعًا يصطخب بالحياة،

إنني العقل، فقد رأيت، وجدت ما كنت أبحث عنه، وجدت السلام بمشيئتك، لقد ولدت مرة أخرى.

لا تكفي اللغة، فالكائنات الإلهية تغني تسابيح بالسكون، وأنا أسبح صامتًا » [(٢)].

---

(١) تيموثي فريدرك وبيتر غاندي، متون هِرمِس، مرجع سابق، (ص٩٩ – ١٠٣).

(٢) المرجع نفسه، (ص ١٠٢، ١٠٣).

٣- الزكاة:

حث إدريس عليه السلام على ضرورة الزكاة والتصدق للمساكين، يذكر ابن العبري: سن إدريس عليه السلام للناس الزكاة [١] . ويذكر القفطي أن إدريس عليه السلام أمر قومه بزكاة المال ومعونة الضعفاء [٢] .

٤- الصيام:

ذكر الألوسي، وابن العبري، والقفطي، والقرطبي أن الصيام عند إدريس عليه السلام نوعين: حسي، وروحي، فقالوا في الصيام الحسي: « أمر إدريس عليه السلام قومه بالصيام وكان بالإمساك عن الطعام والشراب والكلام ومباشرة النساء، وهي أمور حسية، والصيام الروحي يعني صوم العيون، والآذان، والأفواه، والقلوب، والأيدي، والأجساد، وتطهيرها جميعًا بالصوم، وهو مستحق في طلب الغفران والتكفير عن الذنوب والخطايا، وهذا الصيام هو الذي يؤكد عليه الإسلام ».

٥- الحج:

يذكر أبو عبدالله السيوطي: تؤكد عقيدة الصابئة أن الكعبة من بناء نبيهم إدريس عليه السلام، وكان الأنبياء الذين من بعد آدم إلى زمان إبراهيم الخليل يعظمون البيت (الكعبة)، ويحجونه ويطوفون به، ويصلون عنده ويدعون [٣] . ويذكر الأزرقي عن ابن إسحق عن عروة بن الزبير قال: « بلغني أن نوحًا قد حج البيت، وإدريس عليه السلام سابقًا لنوح » [٤] .

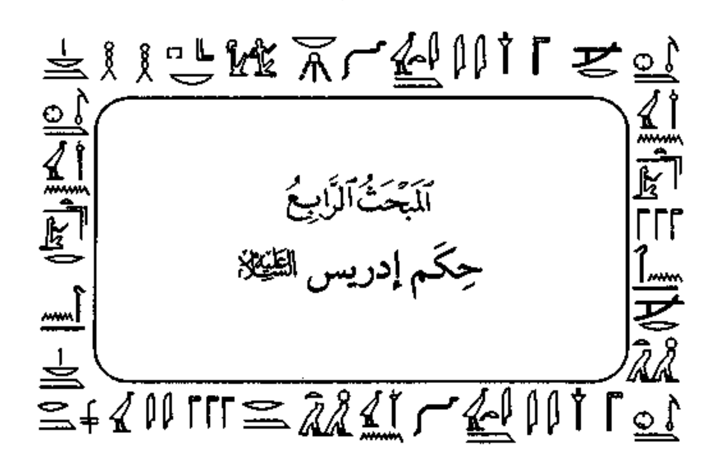
* * *

(١) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، مرجع سابق، (ص ١٢).

(٢) القفطي، إخبار العلماء، مرجع سابق، (ص ٤).

(٣) شهاب الدين أبي العباس السيوطي، إتحاف الإخصا بفضائل المسجد الأقصى، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥م، (١/ ١٨٠).

(٤) العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠١م، (ص ٩١). وانظر السيوطي في الدر المنثور، (٣١٦/١).



سبق أن ذكرنا أن إدريس عليه السلام كان نبيًّا آتاه الله من فضله الكثير؛ فكان له شرف الانتساب إلى آدم عليه السلام، فورث عنه علومًا حظي بها وطبقها في حياته مع قومه مجاهدًا عابدًا عاملًا، فبث فيهم المعرفة بالله والعلم به، وقد ذكرت عدة من المصادر الإسلامية مكانة هذا النبي الرفيعة وحكمته وعلومه.

وكان ممن اهتم بذكر هذه المصادر العربية حول إدريس عليه السلام، والذي يطلق عليه أيضًا (هِرمِس)، د. ماجد مصطفى الصعيدي، في كتابه القيم (هِرمِس في المصادر العربية)؛ حيث أورد معظم المصادر العربية التي حكت عن هِرمِس (إدريس عليه السلام).

فورد قوله عن المبشر بن فاتك صاحب كتاب (مختار الحكم ومحاسن الكلم) في قسمه الثاني الذي يحمل عنوان (مختار مواعيظ هِرمِس وآدابه) . وهِرمِس هو إدريس عليه السلام الذي عرف بالنبي المثلث، والمقصود بالمثلث: النبوة، والحكمة، والملك. وقيل في معنى المثلث: المعظم ثلاثة - فنجد كثيرًا من المواعظ والحكم والتأملات التي جاءت على لسان هِرمِس، نوردها كما هي؛ لما فيها من مواعظ ونصائح وأقوال عرفانية تنم عن خلاصة الحكمة والمعرفة الإلهية الحقة.

دعوته إلى الإحسان وترك الجهالة مع الخالق والمخلوقين:

يقول إدريس عليه السلام في فضائل الصفات التي يجب للإنسان التحلي بها والالتزام بالطاعة حتى يكون قريبًا من الله: « لا ترفعوا دعاءكم إلى الله بالجهالة ولا بالنيات

المدخولة، ولا تعصوه ولا تتعدوا حدوده ونواميسه، ولا يجرين أحد منكم في معاملة أخيه إلى ما يكره أن يُعامل بمثله، واتفقوا وتحابوا وثابروا على الصوم والصلاة جماعة، ببصائر صافية نقية، ونيات غير متقسمة ولا مشوبة، وتوادوا على طاعة الله ﷻ، والتقوى له، واسعوا للخير واجتهدوا فيه، ولتكن تأديتكم فرائض الله عليكم بالتمام والكمال، والخشوع والخضوع من غير عُجْب ولا استكبار، وإياكم والتفاخر والتكاثر، وعليكم بالإخبات والتواضع، لكي تستثمروا ثمار الخير من أعمالكم »[1].

وقال: « ابعدوا عن مخالطة الخونة والفسقة ومبتغي الضلال ومقابح الأعمال ».

وقال: « لا تحلفوا كاذبين، ولا تهجموا على الله باليمين، واعتمدوا الصدق حتى يكون « نعم » من قولكم « نعم »، و« لا » « لا »، وتورعوا عن تحليف الكذابين بالله جل ذكره؛ وإياكم أن تشاركوهم في الإثم إذا علمتم منهم الحنث، وليكن الأثر في نفوسكم أن تكلوهم إلى الله عالم السرائر، فحسبكم به من حاكم بعدل، وناطق بفصل، يوم يجُزي المُحسن بإحسانه والمسيء بإساءته »[2].

وقال: « تحفظوا من مخالطة القوم الذين لا يهتدون إلى الحق، ولا يكملون معرفته، ولا يتعلقون منه بعصمة، غير أنهم يسمعونه سماعًا ولا يعقلونه فعالًا. لا تنصبوا لمكاره الناس الحبائل، ولا تبغوا لهم الغوائل، ولا تسعوا لهم في المضرَّة، فإن ذلك لا يخفى؛ ومتى خفي في الأول لم يخف في المستأنف، وارفعوا أنفسكم عن أن تفعلوا هذا الفعال وتقوموا هذا المقام »[3].

وقال: « أطيعوا الله، وأطيعوا رؤساءكم، واخضعوا لسلطانكم، وأكرموا كبراءكم، وبرُّوا مؤدبيكم، ولتغلب عليكم محبة الله والحق، ولا تخالفوا الرأي

---

(١) جاء هذا المعنى في قوله تعالى في سورة (الإسراء/ ٣٧): ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾.

(٢) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٧٥، ٧٦).

(٣) نفسه، (ص ٧٨). ورد هذا المعنى في قوله تعالى في سورة (البقرة/ ٦٠): ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

الصواب، ومشاورة النصحاء؛ لتأمنوا الندامة وتسلموا من الملامة »[١].

وقال: « لا تتفاضلوا إلا بأعمالكم، ولا تجوروا في الحكم، ولا تستعملوا النفاق، ولا تُزَكُّوا الخونة، ولا تُخَوِّنوا الأزكياء »[٢].

وقال: « لا تحبوا كثرة الضحك والهزل، ولا تطنزوا بالناس، وإن ظهرتم من أحد على عاهة، أو عورة، أو حالة مذمومة، فلا تعيبوه ولا تضحكوا منه، بل اعتبروا وارجعوا إلى الله، فإن البشرية تجمعكم، وأنتم وهو من طينة واحدة خلقتم؛ وليس الضاحك منه بآمِن من أن يناله مثله في المستأنَف، والواجب عليكم إذا رأيتم ذوي البلوى، أن ترفعوا نواظركم إلى الله سبحانه، وتحمدوه على العافية وتسألوه الإعاذة »[٣].

وقال: « إذا جادلكم المخالفون لكم في الدين بالفظاظة وسوء القول، فلا تقابلوهم بمثل ذلك، بل بالرفق والدلالة والهداية ولُطف المخاطبة، واعتصموا بالله وقولوا بأجمعكم: اللهم أصلح بريَّتك وأَجْرِ عليهم من قضائك وقدرك ما يقودهم إلى الألفة والسلم والإيمان والهدى »[٤].

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق ، (ص ٧٩). وتقابل قوله تعالى في سورة (النساء/ ٥٩): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾.

(٢) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٧٩). في هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ: « **لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى** » مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٥/ ٤١١). ويقول رسول الله ﷺ: « **ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولًا لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور** » مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٢/ ٤٣١). وقال تعالى عن المنافقين: ﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧]، وآيات ذم النفاق كثيرة.

(٣) وجاء هذا المعنى في قوله تعالى في سورة (الحجرات/ ١١): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

(٤) وهذا المعنى يظهر في قوله تعالى في سورة (الفرقان/ ٦٣): ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾، وكذلك قوله تعالى في سورة (النحل/ ١٢٥): ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ =

وقال: « أكثِروا من الصمت في المحافل، ولا تطلقوا ألسنتكم بحضرة المتحفظين عليكم بما عسى أن يجعلوه سلاحًا يضربونكم به، وأقلوا المراء والهذر والفضل من القول » (١).

وقال: « احذروا مصاحبة الأشرار، والحُساد، والمشتملين على العداوة والأحقاد، والسُّكارى والجُهَّال، وإذا هممتم بالخير فقدِّموا فعله لئلاّ يعارضكم سواه فتتوقفوا عنه ».

وقال: « لا تغبطوا الفاسق على أن يواتيه الحظ، فإن استمتاعه قليل وعاقبته الوبال، والله لا يُصلح أعماله » (٢).

وقال: « نَفِّسوا عن المكروبين، فَرِّجوا عن المحزونين، افتدوا الأسارى، عالجوا المرضى، اكسوا العُراة، أضيفوا الغرباء، أطعموا الجياع، ارْوُوا العِطاش، عَزُّوا المُصاب، خلِّصوا المظلومين ممن يظلمهم » (٣).

وقال: « لا تزيدوا المحزونين حزنًا، ولا تصبروا مع خطوب زمانهم عونًا عليهم، بل سلُّوهم وعزوهم وعاونوهم، وعاضدوهم وواسوهم بالقول الحسن والفعل الجميل (٤)، وإن كانوا ممن أسلفوكم الإساءة؛ فاغتفروا لهم، وانتصروا بهم على ما نالهم من العقوبة ».

وقال: « اكتسبوا الأصدقاء، وقدموا الاختبار لهم قبل الاستنامة إليهم، ولا تعجلوا بالثقة بهم قبل المحنة؛ لئلا يلحقكم الندم، وتنالكم منهم المضرة » (٥).

=﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، وقوله تعالى في سورة (آل عمران/ ١٥٩): ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٠، ٨١). (٢) نفسه، (ص ٨٢).

(٣) ورد في هذا المعنى قول رسول الله ﷺ: « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » أخرجه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٢).

(٤) قال تعالى في سورة (البقرة/ ٨٣): ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

(٥) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٤).

وقال: « مَن أعطاه الله فضلًا في دنياه فلا يفخرَنَّ به على أخيه، ولا يتداخلْه الكبر والتعاظم، وليكن ذلك الفضل محتَقَرًا في عينه، فإن الله ﷻ خلق الفقراء والأغنياء خلقًا واحدًا، وهم عنده سواء ».

وقال: « لا تبدر منكم عند الغضب كلمة الفحش؛ فإنها تزيدكم العار والمنقصة، وتُلْحِقُ بكم العيب والهُجْنة، وتجرُّعليكم المآثم والعقوبة ».

وقال: « من كظم غيظه، وقيَّد لفظه [1] ، ونظَّف منطقه، وطهَّر نفسه فقد غلب الشرَّ كله » [2] .

وقال: « الدليل على غريزة الجود السماحة عند العُسَرة، وعلى غريزة الورع الصدق عند السخط، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب ».

وقال: « من سره مودة الناس إياه، ومعونتهم له، وحسن القول منهم فيه، حقيق بأن يكون على مثل ذلك لهم ».

وقال: « من أحب أن يُجاد عليه عند فاقته؛ فلْيَجُدْ مما وُسِّع له فيه على أهل الحاجة إليه » [3] .

وقال: « السلامة ألَّا يعادي المرء أحدًا، ولا تكون منه إساءة إلى من عاداه وأضرَّ به، بل يحسن إليه ويلين له القول، فإن من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء: أن يبدِّلوا العدوَّ صديقًا، والجاهل عالـمًا، والفاجر برًّا ».

وقال: « الصالح مَن خيرُه لكل واحد، ومَن يَعُدُّ خيرَ كل أحدٍ لنفسه خيرًا » [4] .

وقال: « مِن أوكد أسباب الحلم، رحمة الجُهَّال » [5] .

وقال: « المزاح يُفني الهيبة، كما تُفني النار الحطب ».

---

(١) وجاء هذا المعنى في سورة (آل عمران/ ١٣٤) قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(٢) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٥).

(٣) المرجع السابق، (ص ٨٦).

(٤، ٥) المرجع السابق، (ص ٨٨).

وقال: « الحاسد يكثُر وده في اللقاء وبُغضُه في المغيب، واسمه صديق ومعناه عدو »[١].

وقال: « كأنَّ الحاسد إنما خُلِقَ ليغتاظ »[٢].

وقال: « اقتَّص مِن شهوةٍ خالفت عقلك بالخلاف عليها ».

وقال: « إن الغضب إذا كان له سبب يُعرَف كان الرضا سهلًا يسيرًا؛ وإذا كان بلا سبب كان الرضا صعبًا مستصعبًا؛ وذلك لأن المحال غير موجود على كل حال »[٣].

وقال: « المستشير على طرف النجاح »[٤].

وسئل: ما الذي يَهُدُّ؟ فقال: « الغضب والحسد؛ وأبلَغُ منهما الهمُّ »[٥].

وقال: « النصح بين الملأ تقريع ».

وقال: « إعادة الاعتذار تذكير للذنب ».

وقال: « ما عفا عن الذنب من قرَّع به »[٦].

وقال: « الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حدثًا »[٧].

وقال: « غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله ».

وقال: « الميت يقل الحاسد له، ويكثر الكذاب عليه ».

وقال: « يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك »[٨].

وقال: « اجتنب مصاحبة الكذاب، فإنه مثل السراب يلمع ولا ينفع ».

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٩، ٩٠).

(٢) نفسه، (ص ٨٩، ٩٠). (٣) نفسه، (ص ٨٩، ٩٠).

(٤) والمعنى في قوله تعالى في سورة (النساء/ ٦٥): ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾. وقوله تعالى في سورة (آل عمران/ ١٥٩): ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.

(٥) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٩، ٩٠).

(٦) المرجع السابق، (ص ٩٠، ٩١). (٧) نفسه، (ص ٩٢).

(٨) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٩٢).

وقال: « من تجرأ لك تجرَّأ عليك ».

وقال: « من كثر حقده قل عتابه ».

وقال: « الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها ».

وقال: « من مدحك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك ».

وقال: « الغضب يصدئ العقل حتى لا يرى صاحبه حسنًا فيفعله، أو قبيحًا فيجتنبه ».

وقال: « من تكلف ما لا يعنيه فاته ما يعنيه ».

وقال: « عار الفضيحة يكدر لذتها ».

وقال: « لا تقطع أخاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه؛ ولا تتبعه بعد القطيعة وقيعة فتسد طريقه عن الرجوع إليك، ولعل التجارب أن ترده عليك وتصلحه لك ».

وقال: « خير الأصحاب من نسي ذنبك فلم يُقَرِّعك به، ومعروفه عندك؛ فلم يَمنُنْ به عليك »[١].

وقال: « أعط الحق من نفسك؛ فإن لم تُعطه منها كان الحكم خصمك »[٢].

وقال: « نعمة الجاهل كروضة على مزبلة ».

وقال: « إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضًا ».

وقال: « رب كلام جوابه السكوت؛ ورب عملٍ الكف عنه أفضل؛ ورب خصومة الإعراض عنها أصوب ».

وقال: « الأحمق لا يحس بشيء من القبيح، والجاهل الذي إذا أحس بشيء ظنه غيره، والجبان الذي يخاف ما لا يحس به ».

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٩٣).

(٢) المرجع السابق، (ص٩٤).

وقال: « أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض، لسان ناطق بالحق والعدل »[(١)] .

وقال: « الخير والشر واصلان إلى الناس لا محالة؛ فطوبى والويل لمن جرى وصولهما إلى الناس على يديه »[(٢)] .

وقال: « كفى للمذنب بالظفر شفيعًا للمذنب إلى الحكيم ».

وسئل عن الجود فقال: « هو أن تجود بمالك، وتصون نفسك عن مال غيرك ».

وقال: « هب ما أنكرت لما عرفت، واغفر ما أغضبك لما أرضاك »[(٣)] .

وقال: « أمر الدنيا أكثر من أن تطاع فيها الأحقاد ».

وقال: « قابل غضبك بحلمك، وجهلك بعلمك، ونسيانك بذكرك ».

وقال: « الحياء في الصبا أجمل من الخوف؛ لأن الحياء يدل على العقل، والخوف يدل على الرهبة ».

وقال: « تزود من الخير وأنت مقبل؛ خير من أن تتزود منه وأنت مدبر »[(٤)] .

وقال: « الشريف من استعمل الفضائل، وأعظم الشرف؛ العدل والفقه، والجود قبل الطلب »[(٥)] .

وقال: « لا خير فيمن يستر وجه العفو بمكروه التقريع ».

وقال: « لا تعاجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقًا ».

وقال: « زلة العالم تكسر السفينة تُغرق وتُغرق خلقًا كثيرًا ».

وقال: « الغنى وطن، والفقر غربة، والطمع رق، واليأس حرية »[(٦)] .

وذكر الشهرستاني قوله في هرمس أنه هو المحمودة آثاره، والمرضية أقواله وأفعاله، الذي يعد من الأنبياء الكبار، ويقال هو إدريس النبي ﷺ، ثم يذكر حكمه فيقول ومن حكم هرمس قوله: « أول ما يجب على المرء الفاضل بطباعه المحمودة، المرضي في

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٩٤).

(٢) نفسه، (ص ٩٥).

(٣) المرجع السابق، (ص ٩٥).

(٤) نفسه، (ص ٩٦).

(٥) نفسه، (ص ١٠١).

(٦) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ١٠٢).

عادته، المرجو في عاقبته، تعظيم الله ﷻ، وشكره على معرفته، وبعد ذلك فللناموس عليه حق الطاعة له، والاعتراف بمنزلته، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد، ولنفسه عليه حق الاجتهاد والدأب في فتح باب السعادة، ولخلصائه عليه حق التحلي لهم بالود والتسارع إليهم بالبذل، فإذا أحكم هذه الأسس لم يبق عليه إلا ثلاثة: كف الأذى عن العامة، وحسن المعاشرة، وسهولة الخلق »[1].

وقال أخنوخ: « مودة الإخوان أن لا تكون لرجاء منفعة أو لدفع مضرة، ولكن لصلاح فيه وطباع له »[2].

وقال أخنوخ (إدريس عليه السلام): « أفضل ما يحتاج إليه في تدبير الأمور الاجتهاد، وأظلم الظلمات الجهل »[3].

وقال أخنوخ: « أوثق الإسار الحرص »[4].

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، (٢/ ١٠٣)، وتلك المعاني نجدها حاضرة ومفصلة في كتاب الله العظيم الشامل لجوامع الكلم، يقول الله تعالى في كف الأذى عن العامة في سورة (المائدة/ ٢): ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وفي (الآية/ ٥٨) من الأحزاب: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ وجاء في حسن المعاشرة قوله تعالى في سورة (التوبة/ ٧١): ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وجاء في حديث رسول الله ﷺ: « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** » وشبك بين أصابعه. أخرجه البخاري في الصلاة (٤٨١) ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥) وفي الصحيح « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٦). وفي سهولة الخلق قال تعالى في سورة (النساء/ ٨٦): ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾.

(٢) الشهرستاني، مرجع سابق، (٢/ ١٠٤). وتلك تقابل قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

(٣) الشهرستاني، مرجع سابق، (٢/ ١٠٤)، وقد ذم القرآن الجاهلين في آيات كثيرات منها: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

(٤) الشهرستاني، مرجع سابق، (٢/ ١٠٤)، والإسار هو القيد الذي يشد به الأسير، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٥/ ٤١٥). ويقال أسرت الرجل أسرًا وإسارًا فهو أسير ومأسور، والجمع أسرى،=

وقال أخنوخ: « من أفضل البر ثلاثة: الصدق في الغضب، والجود في العسرة، والعفو عند المقدرة »[١].

وقال أخنوخ: « من لم يعرف عيب نفسه فلا قدر لنفسه عنده »[٢].

وقال أخنوخ: « لا ينبغي للعاقل أن يستخف بثلاثة أقوام: السلطان والعلماء والإخوان، فإن من استخف بالسلطان أفسد عليه عيشه، ومن استخف بالعلماء أفسد عليه دينه، ومن استخف بالإخوان أفسد عليه مروءته »[٣].

وقال: « المرء حقيق له أن يطلب الحكمة ويثبتها في نفسه أولًا: بأن لا يجزع من المصائب التي تعم الأخيار[٤]، ولا يأخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف، ولا يعير أحدًا بما هو فيه، ولا يغيره الغنى والسلطان، وأن يعدل بين نيته وقوله حتى لا يتفاوت، وأن تكون سنته ما لا عيب فيه، وأن يكون دينه ما لا يختلف فيه، وحجته ما لا ينتقض »[٥].

=ابن منظور، لسان العرب (٤/ ١٩). والحِرْصُ: الجشع الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق محمود خاطر (حرص) وتقابل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(١) الشهرستاني، مرجع سابق، (٢/ ١٠٤)، وهذه المعاني يتضمنها القرآن الكريم فجاء في جزاء الصادقين ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٤]. وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]. والجود في العسرة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. والعفو عند المقدرة: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]. ويقول النبي ﷺ: **« ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »** [مسلم].

(٢) الشهرستاني، (٢/ ١٠٤)، وجاء في الصحيح: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالا، يكتب له بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض ». أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨).

(٣) الشهرستاني، مرجع سابق، (٢/ ١٠٤).

(٤) الشهرستاني، مرجع سابق، (٢/ ١٠٤)، وهي مذكورة في قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

(٥) الشهرستاني، (٢/ ١٠٤)، وهذه المعاني تقابل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]،=

وقال أخنوخ: « أنفع الأمور للناس، القناعة والرضى، وأضرها، الشره والسخط، وإنما يكون كل السرور بالقناعة والرضى، وكل الحزن بالشره والسخط »[١].

ويحكى عن أخنوخ فيما كتبه أن أصل الضلال والهلكة لأهله، أن يعد ما في العالم من الخير من عطية الله ﷻ ومواهبه، ولا يعد ما فيه من الشر والفساد من عمل الشيطان ومكايده، ومن افترى على أخيه فرية لم يخلص من تبعتها حتى يجازى بها، فكيف يخلص من أعظم الفرية على الله ﷻ أن يجعله سببًا للشرور وهو معدن الخير[٢].

وقال أخنوخ: « الخير والشر واصلان إلى أهلهما لا محالة، فطوبى لمن جرى وصول الخير إليه وعلى يديه، والويل لمن جرى وصول الشر إليه وعلى يديه »[٣].

وقال أخنوخ: « الإخاء الدائم الذي لا يقطعه شيء؛ اثنان: أحدهما محبة المرء نفسه في أمر معاده وتهذيبه إياها في العلم الصحيح والعمل الصالح، والآخر مودته لأخيه في دين الحق؛ فإن ذلك مصاحب أخاه في الدنيا بجسده وفي الآخرة بروحه »[٤].

وقال: « الغضب سلطان الفظاظة، والحرص سلطان الفاقة، وهما منشأ كل سيئة، ومفسدا كل جسد، ومهلكا كل روح »[٥].

وقال أخنوخ: « كل شيء يطاق تغييره إلا الطباع، وكل شيء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء ».

= وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١] وتظهر هذه الحكمة في قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، (٢/ ١٠٤).

(٢) الشهرستاني، (٢/ ١٠٥)، ويقابل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٩].

(٣) الشهرستاني، (٢/ ١٠٥)، والمعنى يقابل قوله تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

(٤) الشهرستاني، مرجع سابق (٢/ ١٠٥)، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

(٥) الشهرستاني، (٢/ ١٠٥)، عن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني قال: « **لا تغضب** » فردد مرارًا قال: « **لا تغضب** » أخرجه البخاري في الأدب (٦١١٦).

وقال: « الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن؛ لأن هذين خلاء النفس، وهذين خلاء البدن »[(١)].

وقال: « أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض، لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق في الجماعة »[(٢)].

وقال: « أدحض الناس حجة من شهد على نفسه بدحوض حجته »[(٣)].

وقال أخنوخ: « من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الأذى، فدينه دين الله ﷻ، وخصمه شاهد له بفلج حجته، ومن كان دينه الإهلاك والفظاظة والأذى، فدينه دين الشيطان وهو بدحوض حجته شاهد على نفسه »[(٤)].

ويظهر ذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ .

وقال أخنوخ: « الملوك تحتمل الأشياء كلها إلا ثلاثة: قدح في الملك، وإفشاء للسر، وتعرض للحرمة »[(٥)].

وقال: « لا تكن أيها الإنسان كالصبي إذا جاع ضغا، ولا كالعبد إذا شبع طغى، ولا كالجاهل إذا ملك بغى »[(٦)].

وقال: « لا تشيرن على عدو ولا صديق إلا بالنصيحة، فأما الصديق فتقضي بذلك من واجبه حقه، وأما العدو فإنه إذا عرف نصيحتك إياه هابك وحسدك، وإن صح عقله استحى منك وراجعك »[(٧)].

---

(١) الشهرستاني، (٢/ ١٠٥). (٢) نفسه.

(٣) الشهرستاني، (٢/ ١٠٥)، ونستشهد في هذا بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

(٤) الشهرستاني، (٢/ ١٠٥). (٥) الشهرستاني، الملل والنحل، (٢/ ١٠٦).

(٦) الشهرستاني، (٢/ ١٠٦) وضغا بمعنى صاح.

(٧) الشهرستاني، (٢/ ١٠٦).

وقال: « يدل على غريزة الجود، السماحة عند العسرة [١]، وعلى غريزة الورع، الصدق عند الشره [٢]، وعلى غريزة الحلم، العفو عند الغضب » [٣].

وقال أخنوخ: « من سره مودة الناس له ومعونتهم إياه وحسن القول منهم فيه، حقيق بأن يكون على مثل ذلك لهم » [٤].

دعوته إلى ترك الدنيا

قال أخنوخ في التكالب على الدنيا وملذاتها: « خير الدنيا حسرة، وشرها ندم » [٥].

وقال: « تحرَّزوا واهربوا من المآكل الخبيثة والمكاسب الدنيَّة فإنها وإن ملأت أكياسهم من المال، فإنها تفرغ قلوبكم من الإيمان، وعوِّدوا نفوسكم إكرام الأخيار والأشرار، أما الأخيار فمن أجل خيرهم، وأما الأشرار فلاستكفاف شرهم » [٦].

وقال: « الموت كسهم مرسل، وعمرك بقدر مسيره نحوك ».

وقال: « ربما شَرِقَ شارب الماء قبل ريِّه؛ ومَن تجاوز الكفاف لم يُغْنِه الإكثار ».

وقال: « الساعي كاذب إلى مَن سعى إليه، أو خائن لمن سعى فيه » [٧].

وقال: « من جرى في عنان أمله، عثر بأجله » [٨].

وقال: « الناس اثنان: طالب لا يجد، وواجد لا يكتفي » [٩].

---

(١) الشهرستاني، (٢/ ١٠٦)، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى ». البخاري في البيوع، (٢٠٧٦).

(٢) المرجع السابق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: « إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وعليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ». أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٦٠٧).

(٣) الشهرستاني، (٢/ ١٠٦). ويظهر هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤].

(٤) الشهرستاني، (٢/ ١٠٦).

(٥) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (٢/ ٧٤).

(٦) المرجع السابق، (ص ٧٦ – ٧٨).

(٧) المرجع السابق ، (ص ٨٨).

(٨) المرجع السابق، (ص ٨٩، ٩٠).

(٩) المرجع السابق، (ص ٩٠، ٩١).

وقال: « الدنيا تهين من كانت تكرمه، والأرض تأكل من كانت تطعمه »[١].

وقال: « الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة، والهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها »[٢].

وقال: « لكل شيء حيلة غير الموت؛ وكل شيء فان غير الإثم؛ وكل شيء يبيد غير العمل الصالح؛ وكل شيء يطاق تغييره غير الطباع؛ وكل شيء يُقدر على إصلاحه غير الخلق السوء؛ وكل شيء يُستطاع دفعه غير القضاء ».

وقال: « ليس العجب ممن امتنعت عليه الشهوات أن يكون فاضلًا، وإنما العجب ممن الشهوات مقرونة به ويكون فاضلًا »[٣].

وقال أخنوخ: « الاستخفاف بالموت أحد فضائل النفس ».

دعوته إلى تقوى الله:

وفي دعوته لتقوى الله يقول أخنوخ: « من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيئ العمل، كما أن الصانع الذي يعرف الصنائع كلها، إذا أراد الخياطة، أخذ آلتها وترك آلة النجارة؛ وإذا أراد الكتابة أخذ آلتها وترك آلة الخياطة: فحُب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان في قلب أبدًا ».

وقال: « أيها الإنسان ! إذا اتقيت ربك وحذرت الطرق المؤدية إلى الشر، لم تقع فيه ».

وقال: « لا تمل مع الهوى وحلاوة الدنيا الصادة لك عن الشغل بمعادك، فتكون كالغريق المشتغل عن التدبير لخلاص نفسه بحمل بضاعة ثقيلة قد اغتر بحسنها وهي سبب عطبه »[٤].

وقال: « اعلموا واستيقنوا أن تقوى الله سبحانه هي الحكمة الكبرى والنعمة العظمى، والسبب الداعي إلى الخير، والفاتح لأبواب الفهم والعقل؛ لأن الله ﷻ لما أحب عباده، وهب لهم العقل واختص أنبياءه ورسله بروح القدس، فكشفوا لهم عن

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٩٢).

(٢) نفسه، (ص ٩٣).   (٣) نفسه، (ص ١٠٢).   (٤) نفسه، (ص ٧٤).

سرائر الديانة وحقائق الحكمة لينتهوا عن الضلال ويتبعوا الرشاد »[١].

وقال: « ساووا بين باطنكم وظاهركم في المخاطبات بينكم، ولا تكن ألسنتكم مخالفة لضمائركم »[٢].

وقال: « ليكن الفقر مع الاستقامة أحب إليكم من الثروة مع الإثم، فإن المال يفنى وأعمال البر والخير تبقى »[٣].

وقال: « لا يمكن أن يكون الإنسان عادلًا وهو غير خائف من الله ﷻ، وإنما يكون العدول عدولًا إذا استكثروا من خشية الله، وبذلك يُكتسب روحُ القدس في يوم القيامة، ويفتح له أبواب الفردوس وعالم النور حتى تسبح أنفسهم مع النفوس المطهرة العاملة مع الله ﷻ، المستحقة للحياة الأبدية »[٤].

وقال في حثه على القيام بعبادة الصيام نجد منظومة متكاملة موجهه إلى الجوارح والشعور: « إذا دخلتم في الصيام؛ فطهِّروا نفوسكم من كل دنس ونجس، وصوموا لله بقلوب خالصة صافية متنزهة عن الأفكار السيئة والهواجس المنكرة، فإن الله يستنجس القلوب الملطخة والنيات المدخولة، ومع صيام أفواهكم من المآكل، فلْتَصُمْ جوارحكم من المآثم، فإن الله لا يرضى منكم بأن تصوموا عن المطاعم فقط، لكن عن المناكير كلها، والفواحش بأسرها، ليت شعري! ما يغني عنكم الصوم إذا كانت أفعالكم مذمومة وبصائركم مشوبة؟! وواظبوا في صيامكم على بيوت الله، واعمروها بالصلاة والدعاء، ولا تستكثروا بالعبادة، ولا تروموا بها السمعة والشهرة، بل استعملوها بالتذلل لله ﷻ والاستكانة له، وإذا أديتم فرائضكم، وعيَّدتم أعيادكم، وانقلبتم إلى منازلكم مسرورين بحرمكم وأولادكم؛ فاذكروا أهل الضُّرِّ والمسكنة، ومُدوا أيديكم إليهم بالبر والمواساة »[٥].

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٧٥، ٧٦).

(٢) نفسه، (ص ٧٩). (٣) نفسه، (ص ٧٩).

(٤) المرجع السابق، (ص ٨١).

(٥) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٣). يلاحظ قوله في الصيام وحكمته في صيام الخواص لمن يريد الاستزادة في تقوى الله.

وقال: « الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العودة ».

وقال: « لا أشْجَع مِن بريء، ولا أجبن مِن مُريب!» [١] .

دعوته إلى شكر الله وطاعته

إدريس عليه السلام من أوائل الأنبياء الخاضعين والمتوجهين للخالق دائمًا بالشكر والعرفان، لذا فهو دائمًا ما يوجه تعاليمه للبشر بضرورة التوجه إلى الله بالشكر على نعمه الكثيرة الظاهرة والباطنة، فيقول في هذا الشأن: لن يستطيع أحدكم أن يشكر الله ﷻ على نعمه بمثل الإنعام بها على خلقه [٢] .

وقال: « إن يكن من أحدكم فرطة وارتكب منكرًا فليُقْلِعْ عنها، ولا تحمله السلامة عنها على المعاودة إليها، بل على التوبة والإقلاع عنها؛ فإنها وإن سُتِرَتْ عليه في الدنيا فإنه يُفتضَح بها يوم الدين ويُجازى عنها بعقوبة لا رحمة معها » [٣] .

وقال: « لتكن أفواهكم مملوءة بحمد الله وشكره عند الشدة والرخاء، والفقر والغناء » [٤] .

وقال: « ليكن همُّكم مصروفًا إلى الله رب السماء والأرض – سبحانه – وارفعوا إليه صلواتكم ودعاءكم بصفاء من ضمائركم وعلى غير شوب من خواطركم. واجهدوا أن تناجوه بقلوب سليمة واعتقادات مستقيمة، يسمعْ منكم ويستجبْ لكم، ويبُلغكم آمالكم، ويفتح لكم أبوابَ الرُّشد في مساعيكم ومتوجَّهاتكم، ويعصمكم من أفكار السوء، ويحفظْ أنفسكم من المكاره، ويُنجِّكم من فخاخ الآثام، ويرد عنكم المخاوف، ويَكُبَّ رؤوس أعدائكم تحت أقدامكم » [٥] . ونجد قمة البلاغة في هذه الحكمة.

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٩، ٩٠).

(٢) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٧٣)، نقلًا عن أبي الوفاء المبشر بن فاتك: مختار الحكم ومحاسن الكلم – حققه وقدم له وعلق عليه عبدالرحمن بدوي – منشورات المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد – مطبعة المعهد المصري للدراسات الإسلامية – الطبعة الأولى – مدريد ١٩٥٨: ١م، ٣م.

(٣) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٧٦ – ٧٨).

(٤) نفسه، (ص ٧٩).

(٥) المرجع السابق، (ص ٨٢).

وقال أخنوخ: « أجدر الأشياء أن لا يندم عليه صاحبه، العمل الصالح » ويقابل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

نصائحه إلى الملوك والحكام:

في نصائحه تلك نجد أخنوخ (إدريس عليه السلام) في توجيهه النصح والحكم للملوك والحكام وكأنه تخطى العصور والأزمنة ليخاطب حكام وملوك عصرنا الحالي يقول أخنوخ: « خير الملوك شرفًا من بدَّل سُنَّة السوء في مملكته إلى السُّنَّة الصالحة، وشرُّهم من بدَّل السُّنَّة الصالحة الحسنة إلى السُّنَّة السوء » [(١)].

وقال: « ينبغي للملوك وذوي السلطان أن لا يملكوا ويسلطوا إلا من له رحمة ومودة لكل أحد، مثل ما يكون عند الأب الرحيم المحب للولد الكريم عليه » [(٢)].

وقال: « إذا لم يكن الملك يقدر على قهر حواسه وغلبة شهواته، فكيف يقدر على ضبط رعيته وما بعد عن مملكته؟! فسبيل الملك أن يبتدئ بسلطانه على نفسه؛ ليستقيم له سلطانه على غيره » [(٣)].

ونجد توجه الحكيم هِرمِس (إدريس عليه السلام) بالنصحية والحكمة الحسنة إلى الملوك والحكام والرؤساء الذين يولون أمر شعوبهم، فجاء في وصية إلى بسيلوخيس وهو آمون الملك: « أول ما آمرك به تقوى الله عز وجل وإيثار طاعته، ومن تولى أمر الناس فيجب عليه أن يكون ذاكرًا ثلاثة أشياء: أولها: أن يده مطلقة على قوم كثير؛ والثاني: أن الذين يده مطلقة عليهم أحرار لا عبيد؛ والثالث: أن سلطانه إنما يثبت مدة يسيرة، فسبيلك أن تطهر نفسك؛ بحسن النية والقول بالحق، وإياك أن تُمهل الحرب والجهاد لمن لا يؤمن بالله – جل اسمه – ويتبع سنتي وشريعتي لما يرغب إليه من دخولهم في طاعة الله عز وجل. واحذر أن ترغب في أخذ أموالهم وتركهم على طغيانهم، فإن المال لا رغبة فيه إلا من حله وما لله – جل اسمه – فيه رضا، واعلم أن الرعية تسكن إلى من أحسن إليها، ولا

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٨٦). (٢)نفسه، (ص ٩٥).
(٣) ماجد الصعيدي، مرجع سابق، (ص ١٠٣).

تحسن المملكة إلا بالرعية، فمتى ما لم تكن للسلطان رعية، حصل سلطان نفسه إذا سلم منه، وإياك والغفلة عن النظر في أمورهم وأمور مملكتك ثم نفسك »[١].

وقدم ما تصلح به آخرتك ينصلح أمر دنياك، وسبيلك إذا لاقيت حربًا أن تكون حازم الرأي في جميع أمرك، واحذر الهزيمة فإنها إذا وقعت بعسكر ليس يشد حزامًا سريعًا. وأكثر الجواسيس لتكون أخبار أعدائك معك وقتًا فوقتًا، واحذر من حيلة تعمل عليك. وإذا أمرت بأمر فاسأل عنه بعد ذلك، ولا تقصر فيه، فيلحقك من ذلك نقصان الهيبة. وإذا أمرت أن يُكتب لك كتاب فاحذر ختمه وإنفاذه دون أن تقرأه أنت، لأن الحيل تقع بالملوك؛ وما أنت أول ملك أُهِّل لهذا الأمر، وإياك أن تأنس إلى أحد وتكشف إليه سرَّك، بل يكون خواصك ورعيتك يأنسون إليك بحسن سياستك لهم[٢].

واجعل النوم لك بقدر راحة جسمك، ولا تشغل نفسك إلا بجد الأشياء ليكون أمرك كله جدًّا بلا هزل، وإذا هممت فافعل؛ وإذا ظفرت فأبقِ، وإذا أبقيت فاحذر، وإياك والغفلة عن الكيمياء العظمى وسياسة أهلها وميل قلوبهم والمسامحة لهم وهم الفلاحون، وإن الكيمياء عمارة الأرض بالزرع والنبات، فإن الرعية بها يسكنون، والجيد منها يكثرون، وبيوت الأعمال منها تعمر، والدولة بها تثبت؛ فليس سبيلك أن تغفل عن أمرٍ هذا عقباه، وسبيلك أن تكرم أصحاب المراتب في المذاهب من كل إنسان على قدر أهله وعلمه، وانتهز إكرامهم لئلا تجهل الرعية حقوق أهل الفضل، ومن يطلب العلم فأكرمه، واعرف حقه وفوض الإحسان إليه، لتزيد همتُه فيه، ويلطف عقله، ويصفو ذهنه، ويقل همُّه في أمر دنياه – تنتفع به إن شاء الله، وعجل العقوبة على المفسدين في الأرض، بعد أن يصح عندك جرمهم وتتضح جنايتهم[٣].

ومن قدح في ملكك فاضرب عنقه وأشهر ليحذر غيره، ومن سرق فاقطع يده.

ومن تلصص في طريق فاضرب عنقه واصلبه ليشتهر بذلك وتأمن سبلك، ومن وجد مع ذكر مثله يفسق به فحرقه بالنار واجب، ومن وجد مع امرأة يزني بها فاضربه

---

(١) ماجد الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٩٧).

(٢) نفسه، (ص ٩٨). (٣) المرجع السابق، (ص ٩٩).

خمسين جلدة، وارجم المرأة مائة حجر بعد إقامة البينة الثقة على ذلك، واحذر أن تسمع قول ساع: بل إذا صح عندك سعايته فعجل عليه العقوبة وأشهره ترح قلبك أن يشاغل بالمحال.

وإياك والغفلة عمن في الحبوس في كل شهر لئلا يكون فيهم مظلوم: فمن استحق التخلية أطلقت سبيله بعد الإحسان إليه، وإن استحق العقوبة عجلت عليه، ومن استحق أن يمهل عليه إلى أن يكشف عن حاله، رددته فيه، واحذر الإعجاب برأيك؛ والزم المشاورة لمن حسن عقله، وطعن في سنِّه لكثرة ما مر عليه من التجارب. وحصل آراءهم: فإن رأيت في أحدهم سدادًا، وإلا فاعقد أنت من جميعهم رأيًا سديدًا ترشد. وبالله التوفيق [(١)] .

وأودُّ في هذا المقام أن أتحدث عن بشارة إدريس عليه السلام (أخنوخ) بالرسول محمد ﷺ:

إن المتأمل في الخطب الأخروية التي تضمنها سفر أخنوخ الأول والواردة في مخطوطات البحر الميت يجد كثير من أقوال إدريس عليه السلام تتضمن الإفصاح بمجيء الرسول ﷺ ونجد أن هذا الخبر من خلال أقواله في رؤيته لمبدأ الحياة يقول النص على لسان أخنوخ: « رأيت الذي يحفظ الحياة كأن رأسه مثل الصوف الأبيض، وكان معه آخر، كان لوجهه مظهر إنساني طافح بالنعمة مثل أحد الملائكة القديسين، فسألت حول ابن الإنسان هذا أحد الملائكة القديسين الذي كان يرافقني ويبين لي الأسرار كلها: « من هو؟ ومن أين جاء؟ ولماذا يرافق مبدأ الأيام؟ ».

فأجابني:

« إنه ابن الإنسان الذي إليه ينتمي الحق.

وقد أقام العدل معه، وهو الذي سيكشف كنز الأسرار كله.

لأنه هو الذي اختاره رب الأرواح

والذي انتصر نصيبه أمام رب الأرواح.

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ١٠٠).

وفق الحق وللأبد.

ابن الإنسان هذا الذي رأيته

سيرفع الملوك والجبابرة من مضاجعهم، والأقوياء من مقاعدهم.

سيفصم روابط الأقوياء

ويسحق أسنان الخطأة.

سيطرد الملوك من عروشهم، من ممالكهم.

لأنهم لا يسبحونه ولا يمجدونه »[1].

وعن أسبقية وجوده يقول:

لفظ اسمه بحضور مبدأ الأيام.

قبل أن تخلق الشمس والإشارات.

قبل أن تُصنع نجوم السماء.

كان اسمه قد أعلن بحضور رب الأرواح.

سيكون عصا للأبرار.

وسيتكئون عليه بلا خوف من التعثر.

سيكون نور الأمم.

سيكون أمل الذين يتألمون في قلبهم.

أمامه سينحني ويسجد جميع سكان الأرض.

سيمجدون ويباركون ويمدحون رب الأرواح.

ولهذا أصبح المصطفى والذي كان قد أخفى بحضوره منذ ما قبل خلق العالم وحتى نهاية الدهر.

---

(١) قمران، (ص ٥١).

لكن حكمة رب الأرواح كشفته للقديسين والأبرار [١].

وإذا ما تمعنا في سياق النصين نجد الآتي:

١- يتحدث إدريس عن مقدم ابن الإنسان، الذي سيهزم الملوك ويطردهم من ممالكهم، وهزيمة مملكتي الفرس والروم أمام دول الإسلام؛ التي هي أفضل الأمثلة الكثيرة للدول العظيمة التي استطاع الإسلام إنهاءها وتحويلها إلى ممالك إسلامية.

٢- يتحدث إدريس أن اسمه كان موجودًا قبل الخلائق وأن اسمه قد أعلن بحضور رب الأرواح، قارن رؤية آدم ﷺ باب الجنة وهو مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله.

٣- قوله سيكون نور الأمم، وسيتكئون عليه بلا خوف من التعثر؛ تأمل الآية القرآنية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.

٤- ذكر إدريس ﷺ لفظ المصطفى وهو اسم من أسماء رسول الله ﷺ مما يدل على أن ذكر إدريس ﷺ للمصطفى رسول الله ﷺ تعد من أقدم البشارات التي بشر بها الأنبياء عليهم السلام [٢].

دعوته إلى العلم والحكمة:

يدعو إدريس ﷺ لهداية البشر بالعلم والمعرفة فيقول: « لم يكن البشر ليهتدوا إلى معرفة عظمة الله ﷻ لولا أن عرفهم نفسه، وهداهم إلى عبادته بالوساطة من أنبيائه وحملة وحيه المختارين المصطفين، الناطقين عن روح القدس، المرشدين إلى تقوى الله وسبيل طاعته، الموقفين لنا على حدود أوامره وزواجره، وحفظ نواميسه وسننه، والسلوك في مذاهب رضاه المؤدية إلى الحياة الدائمة والنعيم المتصل » [٣].

وقال: « استشعروا الحكمة واتبعوا الديانة، وعودوا أنفسكم الوقار والسكينة،

---

(١) قمران، (٢/ ٥٣).

(٢) قمران، انظر محمد حميد الله، التاريخ المقارن للقرآن الكريم والصحف السماوية الأخرى، مجلة الأمة القطرية، عدد ٢١ يوليو ١٩٨٢م، (ص ٤٣)، وعزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، (ص ٣٦٨).

(٣) ماجد الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٧٤).

وتحلَّوْا بالآداب الحسنة الجميلة، روُّوا في أموركم ولا تعجلوا، ولا سيما في مجازاة المسيء؛ واجعلوا الحياة ملء وجوهكم، والخيفة من الله حشو جنوبكم، وتدبروا بالصحة والاستقامة، واحذروا عواقب الندامة، فبسلوك هذه السبل تصير النفس حرة معتوقة من رق الجهالة وعبودية الحداثة ».

وقال: « تأدبوا بآداب الله التي دعاكم إليها وأمركم بحفظها؛ واتبعوا الحكماء والعلماء وخذوا عنهم الفضائل؛ ولتكن شهواتكم مصروفة إلى طلب الحمد واستحقاق المدح، ولا تصرفوا إلى الشرور ومقابح الأمور »[1].

وقال: « اجمعوا بين محبة الديانة والحكمة، وقفوا نفوسكم على تعليمها؛ وإن قدرتم على أن يكون زمان مقامكم في هذه الدنيا مصروفًا بأسره إلى ذلك دون غيره فافعلوا، ومتى كنتم بهذه الصفة سهل عليكم ما يصعب على غيركم، وكان ما يحصل لكم من شرف الفضيلة أنفع من ذخائر الذهب والفضة لأن هذه تفنى ولا تبقى، وثواب الله يبقى ولا يفنى »[2].

وقال: « حياة الناس في الحكمة، والحكمة في الإيمان بالله ﷻ في حفظ الدين، أولّا تعلمون أن الحكمة والإيمان بالله لا يفترقان: إن وُجِدَ أحدهما، وُجِد الآخر، وإن عُدِم عُدِم؟ »[3].

وقال: « روضوا أولادكم بالتعليم من الصغر، وقبل أن يكبروا، لئلا يتمرَّدوا عليكم، ويميلوا إلى الشرور، ويلحقكم الإثم فيهم »[4].

وقال: « لا ينبغي لطالب الحكمة أن يكون طلبه إياها ورغبته فيها لثوابٍ عليها أو ثمنٍ لها، ولكنه ينبغي أن يكون ذلك منه رغبةً لنفسه فيها لفضلها على كل شيء سواها ».

وقال: « إذا كانت الحكمة خالصةً فهي معدن كل سعادة، ومظهر كل أدب، وماحقة كل سوء »[5].

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٧٦ – ٧٨).

(٢) مرجع سابق، (ص ٧٨).

(٣) نفسه، (ص ٨١).

(٤) ماجد الصعيدي، (ص ٨٢).

(٥) المرجع السابق، (ص ٨٥).

وقال: « مَن فضَّل العلماء، وقَصَدَ العدل، واستفاد العمل الصالح، واجتهد في طلب الحكمة وتزين بالأدب، أصاب ما يرغب فيه من خير الدنيا والآخرة »[(١)].

وقال: « أعظم الناس مصيبةً في الدنيا والآخرة من لم يكن له عقل ولا حكمة، ولا له في الأدب رغبة ».

وقال: « مَنْ مَنَع ما عنده من العلم والأدب للصالحين؛ قوّى بذلك أجهلَ الأشرار؛ ومن منع العلم لمستحقه؛ منعه الله منفعته في الدنيا والآخرة ».

وقال: « لا يبخل بالعلم على مستحقيه إلَّا جاهلٌ قليل العلم؛ وإن لم يكن قليل العلم فهو دنيء الهمة حَسَّاد ».

وقال: « من جاد بالعلم والحكمة فهو أفضل ممن جاد بالمال وأبقى لذكره؛ لأن المال يفنى والعلم يبقى »[(٢)].

وقال: « ما أقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة ! وما أكثر قلة المعرفة مع مِلْك النفس!»[(٣)].

وقال: « لا تستقلَّ شيئًا من زيادة الله ﷻ لك فتستنفرْ بقيتها منك »[(٤)].

وسُئل: ما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبوابَ العلماء؟ فقال: « لمعرفة العلماء بفضل الغنى، ولجهل الأغنياء بفضل العلم، وإن العلم ممدوح بكل لسان، مُتَزَيَّنٌ به في كل مكان »[(٥)].

وقال: « العقل بغير أدب كالشجرة العاقر، والعقل مع الأدب كالشجرة المثمرة ».

وقال: « العلم بالخير والشر هو تمام العلم، وبتمام العلم يكون تمام الحكمة، وتمام الحكمة سلامة العاقبة ».

وقال: « ما ينبغي للعالم أن يطلب طاعة غيره، وطاعةُ نفسه ممتنعة عليه ».

وقال: « من عرف الجهل كان عاقلاً، ومن جهله كان جاهلًا، ومن جهل صورة

---

(١) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، ، (ص ٨٦).

(٢) المرجع السابق، (ص ٨٧).

(٣) المرجع نفسه، (ص ٨٨).

(٤) نفسه، (ص ٨٨).

(٥) المرجع السابق، (ص ٨٩، ٩٠).

الحكمة، جهل صورة ذاته، ومن جهل ذاته كان بغير ذاته أجهل »[1] .

وقال: « الحكمة إنما هي كالجواهر في الصدف في قعور البحار فلا تُنال إلا بالغواصين الحُذَّاق ».

وقال: « لا تمدح بكمال العقل من لم يكمل عقلُه، ولا بكمال العلم من لم يكمل علمه ».

وقال: « الأدب صورة العقل، فحسِّن عقلك ما قدرت ».

وقال: « العاقل لا تدعه عيوبه يفرح بما ظهر من محاسنه »[2] .

وقال: « أفضل ما خلق الله تعالى في هذا العالم الناس؛ وأفضل ما في الناس العقل؛ وأفضل أمور العقل تدبر صاحبه بالعدل، وكف نفسه عن الذنوب »[3] .

وقال: « غاية النفس المنطقية؛ المعرفة الحقيقية، وغاية فعل القوة الشهوانية؛ المحبة، وغاية فعل القوة الغضبية؛ السلامة »[4] .

وقال لتلميذه فواطيلس: أفهمت ما قلت لك؟ قال نعم، قال: لا أرى عليك أثر الفهم، قال: وكيف ذلك؟ قال: لا أراك مسرورًا، والدليل على الفهم السرور[5] .

وقال: « حقيق أن يطلب المرء الحكمة ويثبتها في نفسه؛ ولا يجزع من المصائب التي تعم الأخيار؛ ولا يأخذ بالكبر ولا فيما يبلغ من سرف، ولا يزهو بحال الغنى والسلطان؛ ويعدل بين نيته وقوله وفعله؛ وتكون سنته لا عيب فيها ودينه غير مختلف، وحجته لا تنقض؛ فما يغير الله ما به من الأمن له ولعقبه ».

وقال: « لا يستطيع أحد أن يجد الخير والحكمة إلا أن تخلص نفسه في المعاد، ولا خلاص له منه إلا أن تكون له ثلاثة أشياء: وزير وولى وصديق، فوزيره عقله، ووليه عفته، وصديقه عمله الصالح »[6] .

(١، ٢) ماجد مصطفى الصعيدي، مرجع سابق، (ص ٩٠، ٩١).

(٣) نفسه، (ص ٩٤).

(٤) المرجع السابق، (ص ٩٥).

(٥) المرجع السابق، (ص ٩٦).

(٦) نفسه، (ص ١٠١).

ومن حكم ووصايا هِرمِس (إدريس عليه السلام) السابق ذكرها، والتي نجدها تخرج من فم حكيم ليس بإنسان عادي، بل رسول نبي ومجتبى، تظهر خلاصة الحكمة والمعرفة في كل أقواله، وكل ألفاظه، وكل معانيه، فنجد في كل قول من أقواله منهاجًا لحياة إيمانية خالصة تشمل أفراد الإنسانية، العامل، والعابد، والقاضي، والقائد، والحاكم، والوالد، والابن، والصديق، والوزير، والغني، والفقير وغيرهم، كما نجد بها روح الدين الخالص وسمات الإيمان وفضائل المعاملات وهي لا تخرج عما جاء في كتاب الله المنزل، فإذا استطعنا استيعاب تلك الحكم، وحاولنا تطبيقها في حياتنا العملية في عبادتنا ومعاملاتنا وأعمالنا، فسوف نصل إلى إرضاء الله وحبه وقربه الذي نسعى من أجله، فننال الخير والسعادة في الدارين، وتلك هي الحكمة التي وصفها المولى عز وجل في كتابه العزيز بقوله تعالى في سورة (البقرة/ ٢٦٩): ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾.

حِكَم أخنوخ في الروايات اليهودية:

وردت نصائح ومواعظ أخنوخ في الروايات اليهودية في كتاب (أسرار أخنوخ) المذكور في مخطوطات البحر الميت على لسان أخنوخ وتتضمن صفات العدل والعطف والرحمة ومساعدة المحتاج والأمانة والاستقامة والحكمة والمعرفة... وغيرها فجاء فيها:

- طوبى للذي يقوم بحكم عادل، ويكسو بثوب الرجل العريان، ويعطي الخبز للجائع. (وفيه الحث على التصدق).

- طوبى للذي يحكم حكما عادلًا لليتيم والأرملة، ويساعد كل ضحية للظلم. (الحث على توخي العدل).

- طوبى للذي يبتعد عن درب التغير، ويمشي في الدروب المستقيمة. (الحث على الاستقامة).

- طوبى للذي يبذر بذار العدل، لأنه سيحصدها مضاعفة سبع مرات.

- طوبى للذي فيه الحقيقة، وللذي يقول الحق لقريبه. (توخي الصدق).

- طوبى للذي على شفتيه الورع والعذوبة. (حثه على الكلم الطيب).

- طوبى للذي يفهم أعمال الرب ويمجده، ويعرف الصانع من صنعته [١].

وجاء في مواعظ أخنوخ لأبنائه ومن يأتي بعدهم ،طبقًا للرواية اليهودية في كتاب أسرار أخنوخ:

- يا أبنائي، احفظوا قلوبكم من كل ظلم، فليورثكم الميزان النور على مدى القرون.

- لا تقولوا يا أبنائي: أبونا مع الرب، وصلواته ستنقذنا من الخطيئة، فأنتم ترون أنني أكتب كافة الأعمال لكل إنسان، ولا يستطيع أحد تدمير كتابة يدي، لأن الرب يرى كل شيء.

وفي وصيته لنشر تعاليمه يقول أخنوخ:

- يا أبنائي، ضعوا في آذانكم كلام أبيكم كله، لكي يكون كل ما أقوله لكم موروثًا بأمان، والكتب التي أعطيتكم إياها لا تخفوها، بل اشرحوها لجميع الذين يريدون ذلك، لرؤية إذا كانوا سيعرفون أعمال الرب [٢].

وجاء قوله في العطف على الحيوان والإنسان:

- من يسيء إلى حيوان سرًّا، فتلك شريعة سيئة وهو ظالم لنفسه. (حثه على العطف بالحيوان)

- من يسيء إلى نفس إنسان إنما يخطئ بحق نفسه. (حثه على العطف بالإنسان).

- احفظوا قلوبكم من كل ظلم يمقته الرب.

- ما يطلبه الإنسان من الرب من أجل نفسه، فليطلبه من أجل كل نفس حية [٣].

- طوبى للإنسان الذي يحمل في وفاته التقدمة إلى الرب؛ لأنه سينال ثوابه.

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٥٦)، وفي هذا القول الترغيب في معرفة قدرة الخالق.

(٢) نفسه: (٣/ ١٥٦ – ١٥٩)، وفيه النصيحة بعدم كتم المعرفة ونشر العلم.

(٣) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٦٠).

- عندما يكسو إنسان العاري، ويعطي الخبز للجائع، فإنه سينال ثوابه، ولكن إذا كان قلبه يتذمر، فإنه يخسر عندها كل شيء، ولا يحصل على شيء.

- عندما يشبع فقير ويكون قلبه محتقرًا، فإنه يخسر عندها عمله الصالح كله، ولا يحصل على شيء [1].

- امشوا أمام وجه الرب واخدموه هو وحده واحملوا كل تقدمه إلى الرب [2].

وفي نصائحه لأبنائه يقول في الإصحاح التسعين، القسم الثامن عشر - كما جاء في كتاب المحذوف من التوراة:

- يا أولادي، لا تقتربوا من الاستقامة بقلب مزدوج، ولا تتعايشوا مع الناس ذوي الرأيين، سيروا في طريق الاستقامة، وابتعدوا عن الظلم، لأن كل من يسير في طريق الظلم سوف يهلك إلى الأبد.

وفي دعوته للسلام يقول في الإصحاح الثالث والتسعين ناصحًا أبناءه:

- سيروا في طرق السلام حتى يمكنكم أن تعيشوا، وأن تعدوا جديرين، احتفظوا بكلامي في أعماق تفكيركم، لأنني أعرف أن المذنبين يشيرون على الناس حتى يقترفوا الجريمة ببراعة [3].

وفي وعيده للمذنبين يقول أخنوخ في الإصحاح الثالث والتسعون:

- الويل للذين يشيدون الظلم والجور.

- الويل للذين شيدوا بيوتهم بالجريمة، لأن بيوتهم سوف تهدم من أساساتها وبالسيف هم أنفسهم سوف يسقطون، سوف يهلكون بعدل فجأة.

- الويل لكم أيها الأغنياء، لأنكم بثرواتكم قد وثقتم لكن من ثرواتكم سوف تنقلون، لأنكم لم تتذكروا الأكثر علوًّا في أيام ازدهاركم.

---

(١) مخطوطات البحر الميت، (٣/ ١٦١)، وهذا الأمر فيه (توجه بالنية الحسنة).

(٢) نفسه، (٣/ ١٦٢).

(٣) سهيل زكار، النصوص اليهودية المسيحية، المحذوف من التوراة كاملًا، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٦م (ص ١٣٧ - ١٤١). وفي هذه المعاني يأتي التحذير من النفاق والظلم.

ويقول في الإصحاح الرابع والتسعون أسفًا على ذلك العذاب الذي سوف يلاقيه المذنبون:

- يا لعيني كانتا سحب ماء، حتى أكون قادرًا على البكاء عليكم، وأصب دموعي مثل المطر، وأرتاح من أسى قلبي.

- من الذي أذن لكم لأن تكرهوا ولأن تعتدوا؟

- القضاء سوف يلحقكم أيها المذنبون.

- المستقيمون لن يخافوا من الأشرار، لأن الرب سوف يضعهم ثانية تحت سلطانكم، حتى يمكنكم أن تنتقموا لأنفسكم منهم وفقًا لما يرضيكم.

- الويل لكم يا من تشهدون شهادة الزور، وأنتم أيها المقترفون للظلم، لأنكم سوف تهلكون فجأة [(١)] .

ويقول في الإصحاح الخامس والتسعون:

- انتظر بصبر أيها المستقيم لأن المذنبين سوف يهلكون فجأة ويزولون من أمامك ولسوف تمارس السلطة عليهم، وفقـًا لمشيئتك.

- سوف لن تخاف ممن يسببون الاضطراب لك، لأن الاسترداد سوف يكون لك، ونور رائع سوف يشع من حولك، وصوت الهدوء سوف يسمع من السماء، الويل لكم أيها المذنبون، لأن ثروتكم تجعلكم تشبهون القديسين، لكن قلوبهم توجه الملامة إليكم، عارفين أنكم مذنبون، هذه الكلمة سوف تشهد ضدكم، من أجل تذكر الجريمة [(٢)] .

- الويل لك أنت الذي تعيش على القمح، وتشرب قوة أعمق الينابيع، وبجبروت قوتك تدوس على المتواضع.

---

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، (ص ١٤٢).

(٢) سهيل زكار، مرجع سابق، وفي هذا المعنى نجد قول الله ﷻ في سورة النور: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

- الويل لك أنت الذي تشرب الماء حسب رغبتك، لأنك سوف تجازى فجأة وتهلك وتذبل، لأنك هجرت نبع الحياة.

- الويل لك أيها القوي، الذي بالقوة يحطم الاستقامة، لأن يوم دمارك سوف يأتي، في حين أنه سوف يكون في ذلك الوقت بالذات، كثير من الأيام الجيدة ستكون حصة المستقيم، حتى في زمن حكمك[١].

- مثل ماء زيفكم سوف يرحل، لأن ثروتكم لن تكون دائمة، بل ستخرج فجأة من بين أيديكم لأنكم حصلتم عليها كلها بالجور، وإلى اللعنة القصوى سوف يرسل بكم[٢].

- لقد أقسمت لكم أيها المذنبون بالواحد المقدس والعظيم بأن أعمالكم الشريرة مكشوفة في السماء، وأن أيًّا من أعمالكم الظالمة مخفي أو هو سر.

- لا تفكروا في عقولكم، ولا تقولوا في قلوبكم، بأن كل جريمة ليست ظاهرة ومرئية في السماء، بل هي مدونة يوميًّا أمام الأكثر سموًّا، وبناء عليه هي سوف تعرض، لأن كل ظلم أنتم اقترفتموه سوف يسجل يوميًّا إلى زمن إدانتكم[٣].

- الويل لكم، أيها القساة في قلوبكم، الذين تقترفون الجرائم، وتتغذون على الدماء، من أين تتغذى على الأشياء الجيدة، وتشرب، وتشبع؟ أو ليس هذا بسبب أن ربنا الأكثر سموًّا، قد أمد بوفرة كبيرة وأمن كل شيء صالح على الأرض؟[٤].

- الويل لك يا من تنشر جريمة جارك، لأنك في جهنم سوف تذبح.

- الويل لك يا من تبني بيوتك بجهد الآخرين، التي كل جزء منها شيد بطوبة إثم، وبحجر جريمة، أنا أخبرك أنك لن تحصل على السلام.

---

(١) سهيل زكار، المرجع السابق، (ص ١٤٣). (٢) المرجع نفسه، (ص ١٤٤).

(٣) قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

(٤) سهيل زكار، (ص ١٤٥).

- الويل لكم يا من تزدرون جميع الميراث الدائم لآبائكم، في حين تسير نفوسكم خلف الأوثان، لأنه لكم لن يكون هناك هدوء وطمأنينة [١] .

- كل غمامة سوف تكون شاهدًا ضدكم، وكذلك الثلج، والندى، والمطر، لأنهم جميعًا سوف يمنعون عنكم، حتى لا ينزلوا عليكم، ولا أن يكونوا خاضعين لجرائمكم [٢] .

- أرواحكم أنتم الذين سوف تموتون باستقامة ستكون موجودة وستبتهج أرواحهم سوف تمجد، ولسوف يرد ذكرهم أمام وجه الواحد الجبار من جيل إلى جيل، كما أنهم لن يخافوا الآن من الحرمان [٣] .

- أنا أقسم لكم أيها الأبرار، إنه في السماء يقوم الملائكة بتدوين صلاحكم أمام الواحد المجيد والقدير [٤] .

- والآن لا تخافوا أيها الأبرار، عندما ترون المذنبين مزدهرين وناجحين في سبلهم.

- وكونوا متأكدين مني، أن الضوء والظلام، والنهار والليل، يرون آثامكم، لا تكونوا غير أتقياء في تفكيركم، لا تكذبوا، لا تسلموا كلمة الاستقامة؛ لا تكذبوا ضد كلمة الواحد المقدس والقدير، لا تمجدوا أصنامكم، لأن جميع كذبكم، وكل عدم تقواكم ليس من أجل الاستقامة، بل من أجل جريمة كبرى [٥] .

- هم سوف يتفوهون بأشياء شريرة، سوف يتكلمون زيفًا، وينفذون أعمالًا كبيرة، ويؤلفون كتبًا بكلامهم، لكن عندما سيكتبون كلامي صحيحًا بلغاتهم.

- هم لن يغيروه أو يتلفوه، بل سيكتبونه كله صحيحًا، كل ما تفوهت به من البداية يتعلق بهم.

---

(١) سهيل زكار، مرجع سابق، (ص ١٤٧). (٢) سهيل زكار، مرجع سابق، (ص ١٤٨).

(٣) سهيل زكار، مرجع سابق، (ص ١٥١). يلاحظ ذكر أسماء الله الحسنى، الواحد، الجبار.

(٤) نفسه، (ص ١٥٢). أيضًا هنا ذكر لأسماء الله تعالى، الواحد، المجيد، القدير.

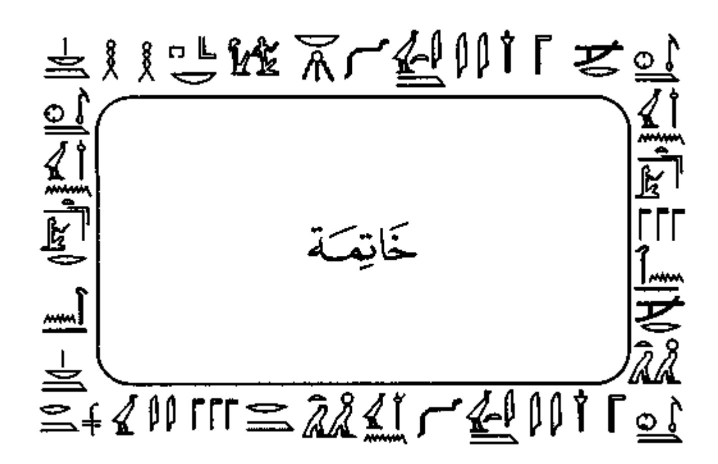
(٥) أيضًا هنا ذكر لأسماء الله الحسنى، الواحد، المقدس، القدير.

- سر آخر أنا سوف أكشفه أيضًا، إلى الأبرار وإلى الحكماء سوف تعطى كتب بهجة وانسجام، وحكمة عظيمة، إليهم سوف تعطى الكتب التي فيها سوف يؤمنون.

- وفيها سوف يغتبطون، وجميع الأبرار سوف يكافأون، وهم الذين سوف يحصلون من هذه الكتب على المعرفة حول الطريق المستقيم [1] .

* * *

(١) سهيل زكار، النصوص اليهودية المسيحية، المحذوف من التوراة كاملًا، مرجع سابق، (ص ١٥٣).



بعد عرض حياة إدريس عليه السلام وصفاته العلية وخصائص نبوته نخلص منها بما يلي:

• اختلفت مسميات إدريس عليه السلام وألقابه باختلاف الشعوب والترجمات، حتى قاربت العشرين اسمًا، أشهرها إدريس عليه السلام الوارد في القرآن الكريم الذي يعني الدارس والمتعلم، وحنوخ في العبرية، وأخنوخ في ترجمات العهدين القديم والجديد التوراة والإنجيل، وهرمس الحكيم في المصرية القديمة واليونانية، غير أن جميع المسميات تلك ترمز إلى شخص واحد وهو النبي إدريس عليه السلام.

• إن ما أوردناه من روايات عن إدريس عليه السلام من خصائص فريدة وصفات مميزة وقدرة فائقة أولاه الله بها، سواء في متونه المصرية القديمة، أو الروايات اليهودية، أو الروايات الإسلامية، نجد جميعها تؤكد على مكانته وقدره العالي عند المولى عز وجل، وكذلك معرفته السامية بقدرة الخالق عز وجل، وخضوعه وطاعته للقدرة الإلهية، ودعوته وصبره ومثابرته على حث البشر إلى طاعة الله عز وجل، مما جعله جديرًا للاقتداء به، كما أمرنا الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

• النبي إدريس عليه السلام هو الرسول المصدق لآيات الله في خلقه، وهو نموذج العابد العامل الخاضع لأوامر الله واجتناب نواهيه، وهو الصابر المجاهد مع قومه في سبيل الله وتعاليمه طرق الوصول للمعرفة الإلهية الحقة؛ استنادًا لقول الله تعالى: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٥]، وهو من الأنبياء

الذين أنعم الله عليهم بالاجتباء والهداية من ذرية آدم ﷺ، فقال تعالى في سورة مريم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ ، ثم هو الذي شرفه الله بالرفع إلى المكان العلي، فقال تعالى في حقه: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾.

ومقارنة بالروايات اليهودية الواردة بشأن أخنوخ (إدريس ﷺ) وما نقل منها في التفاسير الإسلامية، وخاصة تفسير ابن كثير، ثم الرجوع لقول القرآن الكريم، يلاحظ ما يلي:

في الرواية اليهودية:

• اهتمام مؤلفي القصص الدينية بشخصيات مقدسة، كالأنبياء مثل أخنوخ وإبراهيم وغيرهما؛ استنادًا على تأكيد أنهم ورثة لتلك الشخصيات.

• تشويه صورة ومكانة الملائكة، وإلصاق الخطيئة بهم، والقول بوقوعهم في أخطاء لا يقع فيها إلا البشر؛ مثل القتل، وشرب الخمر، والزنا، وتعليم النساء أمور السحر والتبرج والزينة لأجل الفتنة، وتعليم البشر استخدام الآلات الحادة والأسلحة.

• تطويع النصوص للمبالغة في تحميل النساء كل الشرور التي تقع على الأرض، وتصويرهن بمشيعي الفتنة بين البشر.

• قدرة مؤلفي الروايات على توسيع وزيادة النص المقدس المقتضب الوارد في سفر التكوين (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه)، فظهرت مبالغات واستطرادات وخيالات الرواة؛ بوصفهم رحلاته المتكررة مع الملائكة إلى السماوات، طلب الملائكة شفاعته عند الرب، تقديمه الأوامر للملائكة، تتويجه رئيسًا على الملائكة، ودعوة الملائكة له بالإله الأصغر (إلوهيم هاقاطون).

• استخدام الرواة اليهود قصص الأنبياء لخدمة الرؤية الاستعلائية في التميز عن باقي الأمم؛ فعلى الرغم من قدم عهد أخنوخ، وأنه ليس من أنبياء بني إسرائيل، إلا أن اليهود يزعمون نسبته لأنفسهم، ويظهر ذلك في أقوال الربانيين بشأن أخنوخ:

- أخنوخ هو الذي سلم الشريعة لموسى ﷺ على جبل سيناء.

- أخبر أخنوخ موسى بأسرار لا يعرفها إلا الخاصة من أبناء بني إسرائيل

للتغلب على الأعداء.

- دعاء أخنوخ للرب أن يرحم بني إسرائيل من ظلم الأمم الأخرى (الجوييم).

- الادعاء بنزول أخنوخ فلسطين في نهاية الزمان بصحبة الملائكة للتمهيد بمقدم المسيح.

ويلاحظ في الروايات الإسلامية عن إدريس ﷺ:

• الإقرار بمكانة إدريس ﷺ السامية طبقًا لما ورد في النصوص القرآنية الواردة في حقه ﷺ ومكانته العالية، وبيان قدره الكبير كنبي مرسل مكرم من قبل الله تعالى.

• ورود بعض المبالغات التي صاحبت روايات ابن كثير وغيره، والمنقولة عن الإسرائيليات فيما يختص بدعوى خطيئة الملائكة التي أخطأت مع المرأة (الزهرة) في زمن إدريس، كذلك صعود إدريس ﷺ إلى السماء، وحواره مع الملائكة التي كانت تصاحبه في الأرض، وإصعادهم له إلى السماء، وأنه ذاق الموت، وشاهد النار، ورأى الجنة وطلب أن يبقى فيها.

• يمثل دخول الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية خطورة كبيرة على مفاهيم القارئ المسلم العام الذي تستهويه تلك الروايات، ويقبل عليها ظنًّا منه أنها غذاء روحي، وزيادة في المعرفة.

• إن روح العصر الذي نعيشه تعتمد على سرعة الحصول على المعلومة المركزة والصحيحة، والمعتمدة على القرآن والسنة الصحيحة بلا إطناب أو زيادة أو مبالغة.

• دخول هذه الإسرائيليات التفاسير الإسلامية هي من الوسائل التي يجد فيها الغرب متنفسًا لغزو فكره لعالمنا العربي الإسلامي، وخاصة في وقتنا الحاضر.

• ضرورة بذل الجهد لإخراج وتنقية التفاسير الإسلامية من الروايات الإسرائيلية، والتي لم ترد في الكتاب والسنة، والخارجة عن التصور العقلي والمنطقي.

• إن مهمة تنقية التفاسير الإسلامية من كل ما هو إسرائيلي هي عمل مشترك يقوم به:

- المتخصص في التفسير القرآني المتتبع للمعاني القرآنية.

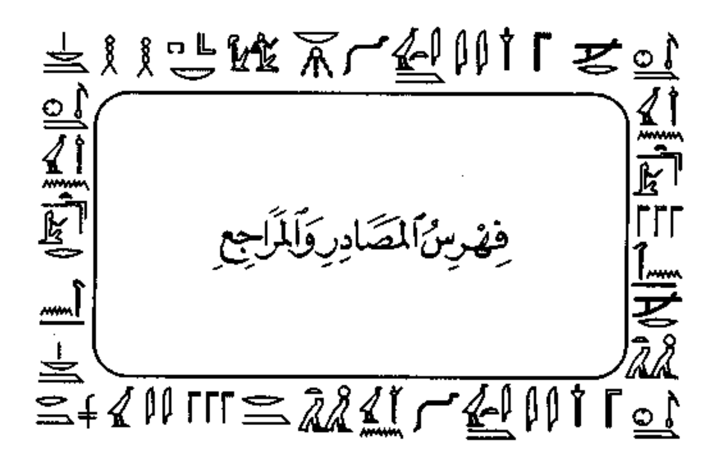
- المتخصص في الحديث النبوي المتتبع الأسانيد؛ لإظهار تلك الإسرائيليات وتنقية التفاسير منها.

- المتخصص في الدراسات العبرية المطلع على المصادر والكتب اليهودية؛ للقيام بعمليات التوثيق الصحيح للنصوص من المراجع اليهودية الأصلية.

• من يريد دراسة الإسرائيليات، فليفرد لها مصنفات لا يطلع عليها إلا المتخصص الذي يعلم كيفية التعامل معها.

• إن وجود هذه الإسرائيليات داخل التفاسير الإسلامية يساعد على تسلل المغرضين داخل النصوص الإسلامية؛ لخدمة أهدافهم عن طريق استغلال الروايات غير الصحيحة؛ فالإسلام لم يسلم من الهجوم والتحدي عهودًا طويلة، ويشهد اليوم هجومًا أشد. ومن هنا فلا بد من التيقظ لها.

***



أولًا: المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- الكتاب المقدس: العهد القديم والعهد الجديد - مترجم من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، الإصدار الثالث.

٣- مخطوطات البحر الميت، تحقيق أندريه دوبون سومر ومارك فيلوننكو، ترجمة موسى ديب الخوري، ٣ أجزاء، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ١٩٩٨م.

كتب السنة:

٤- ابن الحجاج: مسلم ، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٥- ابن حنبل: أحمد، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر.

٦- البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق، مصطفى ديب البغا.

٧- الترمذي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

٨- الحاكم، المستدرك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٩- النسائي، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

كتب التفاسير:

١٠-ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م .

١١-ابن كثير، التفسير، تحقيق مكتبة أولاد الشيخ، القاهرة ،١٤٢١ هـ.

١٢-ابن كثير، تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٣-البيضاوي، التفسير، دار الفكر، بيروت.

١٤-الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥-الخازن: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، تفسير، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الفكر، بيروت، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

١٦-الرازي، التفسير، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٧-الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث، بيروت، تحقيق عبد الرازق المهدي.

١٨-السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، التفسير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، تحقيق ابن عثيمين.

١٩-السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد، أبو الليث، تفسير السمرقندي، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمود مطرجي .

٢٠-السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير السمعاني، دار الوطن، الرياض، ط ١، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٢١-السيوطي: جلال الدين، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

٢٢-الطبري: محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت،١٤٠٥هـ.

٢٣-القرطبي، التفسير، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.

٢٤-مقاتل، تفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، تحقيق أحمد فريد.

٢٥-النسفي، تفسير، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، تحقيق: مروان الشعار.

٢٦-النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

ثانيًا: المراجع العربية:

٢٧-ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٢٨-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

٢٩-ابن جلجل: أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥م.

٣٠-ابن حجر: أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٤م.

٣١-ابن حزم، الفصل في الملل والنحل ، مكتبة الخانجي، القاهرة .

٣٢-ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م .

٣٣-ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت .

٣٤-ابن عربي، فصوص الحكم، دار الفكر العربي.

٣٥-ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمري .

٣٦-ابن قتيبة الدينوري، المعارف، تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، طبعة مصر، ١٩٣٤م.

٣٧-ابن كثير، البداية والنهاية، دار الغد العربي، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣٨-ابن منبه: وهب، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ.

٣٩-أبو شهبة: محمد بن محمد، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٤٠-أبو نعيم، حلية الأولياء، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤١-الأندلسي: أبو داود سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٥م.

٤٢- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، دار المثنى، بغداد.

٤٣- تيموثي فريدرك. بيتر غاندي، متون هِرمِس، حكمة الفراعنة المفقودة، ترجمة: عمر الفاروق عمر، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، رقم٣٥٧، مصر، ٢٠٠٠م.

٤٤-جنزبرج: لويس، قصص اليهود، ترجمة جمال الرفاعي، تقديم محمد خليفة حسن، المجلس الأعلى للثقافة، عدد ٤٦٥، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٤٥-حنفي: السيد، علم الإنسان، ط١٤ ،القاهرة، ٢٠٠٥م.

٤٦-الخياط: عبد العزيز عزت، اليهود وخرافاتهم حول أنبيائهم والقدس، دار المتقدمة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤٧-درويش: هدى، الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤٨-درويش: هدى، عقيدة القبالاه ودورها في تشكيل العقلية اليهودية العنصرية المعاصرة، مجلة الدراسات الشرقية، العدد ٣٣ يوليو ٢٠٠٤م.

٤٩-الديار بكري: حسين بن محمد بن الحسن، ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج١، بيروت.

٥٠-الذهبي: محمد السيد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية، الكتاب السابع والثلاثون، ١٩٧١م.

٥١-ربيع: آمال محمد عبد الرحمن، الإسرائيليات في تفسير الطبري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١م.

٥٢-رسائل إخوان الصفا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٥م.

٥٣-رشدي البدراوي، قصص الأنبياء والتاريخ، ج١، طبع المؤلف، ٢٠٠٤م.

٥٤-زكار: سهيل، المحذوف من التوراة كاملًا، دار قتيبة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م.

٥٥-السحمراني: أسعد، موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠١م.

٥٦-سلامة موسى، مصر أصل الحضارة، مطابع المستقبل.

٥٧-السواح: فراس، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠١م.

٥٨-سوسة: أحمد، العرب واليهود في التاريخ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، دمشق، بدون تاريخ.

٥٩-السيار: نديم، ليسوا آلهة ولكن ملائكة، الناشر المؤلف، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٦٠-السيار: نديم، المصريون القدماء أول الحنفاء، الناشر المؤلف، ٢٠٠٤م.

٦١-السيوطي: شهاب الدين أبو العباس، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٥م.

٦٢-شليوة: سمير عبد العزيز، الدخيل والإسرائيليات في تفسير القرآن الكريم، القاهرة ١٩٨٣م.

٦٣-الشهرستاني: أبو الفتح محمد عبد الكريم بن بكر أحمد، الملل والنحل،

مؤسسة الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ.

٦٤-طبارة: عفيف، مع الأنبياء في القرآن، دار العلم، بيروت، ١٩٧٩م.

٦٥-الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٦-طنطاوي: محمد سيد، القصة في القرآن، دار المعارف، ١٩٩٥م .

٦٧-ظاظا: حسن، الفكر الديني اليهودي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩م.

٦٨-عبد الرازق محمد أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب.

٦٩-العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠١م.

٧٠-عوض: إبراهيم، الأسطورة، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، دائرة المعارف الإسلامية.

٧١-قاسم: عبده قاسم؛ بين التاريخ والفولكلور؛ الطبعة الثانية، ٢٠٠١ م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر.

٧٢-القاضي: مجير الدين بن اليمن الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة دنديس، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ، تحقيق عدنان يونس وعبد المجيد نباتة.

٧٣-القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، طبعة عالم الكتب، دراسة وتحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط، بيروت، ١٩٩٢م.

٧٤-القرماني، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ترجمة وتحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م .

٧٥-القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة دار صادر، بيروت.

٧٦-القفطي، تاريخ الحكماء، دار الآثار، بيروت.

٧٧-القنوجي: صديق حسن خان، أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، تحقيق عبد الجبار زكار .

٧٨-المزي أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م)، تحقيق بشار عواد.

٧٩-ماجد مصطفى الصعيدي، هِرمِس في المصادر العربية، دار الكرز، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٨٠-محمود أبو الفيض، الدين المقارن، نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٠م .

٨١-محيي الدين بن عربي، فصوص الحكم، توزيع دار الفكر العربي .

٨٢-مرسى: أحمد علي، وجودي: فاروق محمد، الفولكلور والإسرائيليات، دار المعارف، مصر.

٨٣-المسعودي، مروج الذهب، دار الفكر، بيروت.

٨٤-المناوي: عبد الرؤوف، فيض القدير، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـ .

٨٥-موسكاتي: سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون تاريخ .

٨٦-ناظم: منى، القصة الحسيدية، القاهرة، ١٩٩٤م .

٨٧-ناظم: منى، المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، مؤسسة الاتحاد والصحافة والنشر، أبو ظبي .

٨٨-ناظم: منى، حولية كلية الآداب ٣٢، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٩م .

٨٩-النجار: عبد الوهاب، قصص الأنبياء، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٨٥ .

٩٠-هـ .ج كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج، ترجمة عبد الحميد سليم، الألف كتاب الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩١-وهب: ابن منبه، التيجان في ملوك حمير، تحقيق ونشر مركز الأبحاث اليمنية، ١٣٤٧هـ .

ثالثًا: الموسوعات والمعاجم ودوائر المعارف العربية:

٩٢-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت .

٩٣-البستاني: بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت .

٩٤-دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد شنتناوي، دار المعرفة، بيروت.

٩٥-دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م .

٩٦-سجيف: ديفيد، قاموس عبري – عربي، دار شوكن للنشر، أورشليم وتل أبيب.

٩٧-الشامي: رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة ٢٠٠٣م .

٩٨-فيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م .

٩٩-قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة واللاهوتيين، مجمع كنائس الشرق الأدنى، دار مكتبة العائلة، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٠٠- معجم المنجد، قسم الإعلام، إشراف فردنيان توتل، الطبعة اليسوعية، بيروت.

١٠١- موسوعة الأديان الميسرة، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠١م.

١٠٢- وجدي: محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ١٩٨٠م، ١٠ مجلدات، القاهرة.

رابعًا: المصادر والمراجع العبرية:

المصادر العبرية:

١٠٣- תורה נביאים כתובים והברית החדשה התנ"ך על פי המזורה בכתב יד, לנינגרד הכמהדורה השלישית של ביבליה הבראיקה שטוטדרטנסיה. החברה לכתבי הקודש. ירושלים .1991 .

مواقع إلكترونية:

١٠٤- הספרים החיצוניים. ספר חיי חנוך.

http://www.daat.ac.il/daat/hasfarim/hanoch.pdf

المراجع العبرية:

الكتب ספרים:

١٠٥- ביעוז: מיכאל. על מהותה של מצוות שילוח השעיר לעזאזל. הפקולטה למדעי היהדות. לשכת רב הקמפוס מאת המרכז ללימודי יסוד ביהדות. המחלקה לתנ"ך. דף שבוע"י. מספר 493. תשס"ג.

١٠٦- זלמן שלמה: אריאל. לקסיקון לתודעה יהודית .הוצשת הסדה רמת–גן.

١٠٧- ילקוט שמעוני. מדרש על תורה נביאים וכתובים. מלוקט מתוך ספרי תורה שבעל פה.

١٠٨- פר חנוך א .הספרים החיצוניים. האינציקלופדיה העברית. מוסד בר אילן.

١٠٩- ליין לכסנדר. תפקידם של הכרובים. אוניברסיטת בר–אילן. הפקולטה למדעי היהדות. לשכת רב הקמפוס .מאת היחידה ללימודי יסוד ביהדות. המחלקה למתמטיקה ומכללת אשקלון. מספר 537. תשס"ד.

مواقع إلكترونية للكتب:

١١٠- בר אילן.מאיר. שמות של מלכים.

faculty.biu.ac.il/~barilm/angel.html

الموسوعات العبرية: אינציקלופדיות

١١١- האינציקלופדיה העברית .כרך שבעה עשר. הוצאת ספרים פועלים 1988.

مواقع إلكترونية للموسوعات والمعاجم:

١١٢- אינציקלופדיה – ידיעות אחרונות.

www.ynet.co.il/yaan

١١٣- האינציקלופדיה היהודית –דעת- ערך אגדה.

www.daat.ac.il/encyclopedia

١١٤- האינציקלופדיה העברית.

١١٥- www.wikipedia.org/wiki

١١٦- האינציקלופדיה היהודית.

١١٧- www.moriya.org.il

خامسًا: المراجع الإنجليزية:

١١٨- Ginzberg, Louis, Legends of the Jews. 7 vols. Jewish -Publication Society, Philadelphia.

***

السيرة الذاتية للمؤلفة

د. هدى درويش

حاصلة على:

- ليسانس آداب، جامعة عين شمس، قسم اللغات الشرقية، فرع اللغة العبرية، بتقدير جيد جدًا.
- دبلوم الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الأديان المقارنة في معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، بتقدير جيد جدًا.
- ماجستير في الدراسات والبحوث الآسيوية، قسم الأديان المقارنة، في موضوع (موقف الاتجاهات الإسلامية في تركيا من إجراءات الحركة الكمالية في مجالي اللغة العربية والعلوم الإسلامية: نموذج دعوة الإمام سليمان حلمي)، بتقدير امتياز.
- دكتوراه في الدراسات الآسيوية، قسم الأديان المقارنة، في موضوع (علاقة تركيا باليهود وإسرائيل وأثرها على المنطقة العربية في الفترة ١٦٤٨ – ١٩٩٩ م)، بمرتبة الشرف الأولى.
- عملت مترجمة للغة العبرية في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بوحدة الدراسات الإسرائيلية بالأهرام والهيئة العامة للاستعلامات، خلال الفترة (١٩٧٤ – ١٩٧٥م).
- شغلت منصب المدير التنفيذي لمركز بحوث العالم التركي بالقاهرة عشر سنوات.
- مدرس، ثم أستاذ مساعد، بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية.
- تشغل حاليًا رئيس قسم الديانات المقارنة بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية.
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة.
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
- أشرفت على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه، واشتركت في عدد من المؤتمرات داخل مصر وخارجها.

أهم الجوائز العلمية:

- حاصلة على جائزة الجامعة التقديرية كأحسن رسالة دكتوراه لعام (٢٠٠١/ ٢٠٠٢م) بعنوان علاقة تركيا باليهود وأثرها على المنطقة العربية لأهميتها الوطنية والقومية.
- حاصلة على جائزة جامعة الزقازيق التشجيعية في مجال الآداب والعلوم والدراسات الإنسانية، عام ٢٠٠٨م.

أهم المؤلفات العلمية:

- كتاب (الإسلاميون وتركيا العلمانية: نموذج الإمام سليمان حلمي)، دار الآفاق العربية، ١٩٩٨م.
- كتاب (العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة ١٦٤٨م إلى نهاية القرن العشرين)، جزءان، إصدار دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢م، ورشحته مجلة البيان – العدد ١٨٩، يوليو ٢٠٠٣م – كأحد الإصدارات المفضلة الصادرة في العالم العربي لعام ٢٠٠٣م.

- كتاب (أفغانستان بين السلام والحرب)، سلسلة كتاب التصوف الإسلامي، الكتاب ٤٨، يناير ٢٠٠٢م.
- كتاب (حقيقة يهود الدونمة في تركيا)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- كتاب (حجاب المرأة بين الأديان والعلمانية)، عين للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- كتاب (الصلاة في الشرائع القديمة والرسالات السماوية: اليهودية – المسيحية – الإسلام)، عين للدراسات، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- كتاب (أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس : دراسة عن اليهود المارنواس) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٨م.

الأبحاث العلمية:

- بحث بعنوان: (موقف الإسلام من أهل الكتاب: الدولة العثمانية نموذجًا) مؤتمر الفلسفة وحوار الحضارات، جامعة الزقازيق، الفترة من ٢٦-٢٧ مارس ٢٠٠٣م.
- دراسة بعنوان: (تركيا بين التأثير اليهودي والواقع العربي في الماضي والحاضر والمستقبل)، مجلة شؤون الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد الخامس، ٢٠٠٣م.
- بحث: (دور جامعة المستقبل في توجيه خطاب ديني موحد) في المؤتمر القومي السنوي العاشر العربي الثاني بعنوان (جامعة المستقبل في الوطن العربي) في المدة من ٢٧-٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣م، والمقام بدار الضيافة – مركز تطوير التعليم الجامعي – جامعة عين شمس.
- بحث بعنوان: (عقيدة القبالاه ودورها في تشكيل العقيدة اليهودية العنصرية المعاصرة)، نشر مجلة الدراسات الشرقية، عدد ٣٣، يونيو ٢٠٠٤م.
- بحث بعنوان: (السلوك الاقتصادي في حياة نبي الله إبراهيم: دراسة بين القرآن والتوراة)، نشر مجلة رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد الخامس عشر، العددان الأول والثاني، ٢٠٠٥م.
- بحث بعنوان: (أدلة التصوف عند الشيخ بديع الزمان: سعيد النورسي) في ندوة (الجانب الصوفي في فكر الإمام سعيد النورسي) في ١٥/ ٢/ ٢٠٠٦م بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، فرع الزقازيق، بالاشتراك مع مركز دراسات النور بإستانبول.
- بحث بعنوان: (البعث في العقيدة اليهودية: دراسة في فكر موسى بن ميمون)، إيداع بدار الكتب المصرية ١١٣٧٠/ ٢٠٠٧م.
- بحث بعنوان (الحوار الديني من أجل السلام العالمي نموذج المفكر الإسلامي فتح الله جولن)، مقدم إلى المؤتمر الدولي: (التقاليد الثقافية لمصر والشرق: من التاريخ القديم حتى العولمة)، (٢٨ أكتوبر – ٤ نوفمبر ٢٠٠٨م)، (أكاديمية العلوم الروسية – معهد الاستشراق)، (الجامعة المصرية – الروسية)، القاهرة، مصر.

رقم الإيداع ٢٥١٥٠/ ٢٠٠٨ – الترقيم الدولي 7-694-342-977